بسم الله الرحمن الرحيم

ميقات الحج

العدد : ٣٨

رجب ـ ذو الحجة

١٤٣٣هـ ـ السنة : ١٩

مجلة نصف سنويّة تعنى بالشؤون الثقافية
والتّاريخية والسياسية والاجتماعية للحج

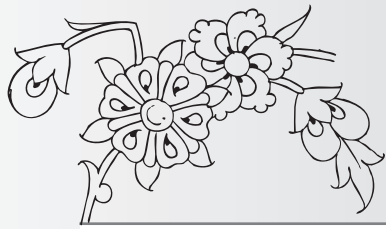

المدير المسؤول: السيّد علي قاضي عسكر
مدير التحرير: محمّد علي المقدادي
إيران، طهران، صندوق البريد: ٥٨٥٦ / ١٤١٥٥
www.hajj.ir

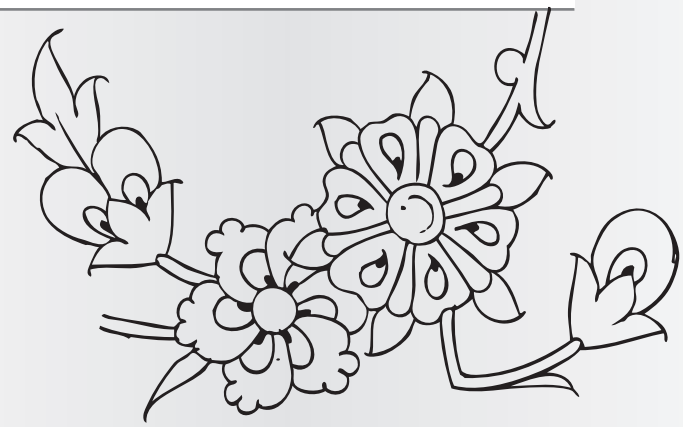

الفهرس:

مقالتان:

١. أساطير مختلفة في سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ٥

٢. «منى التاريخ والتشريع» ١٣

آية الله الشيخ جعفر السبحاني

«الزهرة في مناسك الحجّ والعمرة» ٣١

للفاضل الهندي تحقيق : الشيخ محمد الإسلامي اليزدي

تحويل المقام من موضعه الفعلي وتأثيره في حكم الطواف وصلاته ٧٧

سماحة العلامة الشيخ محمد القايني

مطارحات في العقيدة (٣) نظرية عدالة الصحابة في الميزان ١٠١

سماحة العلامة السيد كمال الحيدري ـ إعداد: حسن الحاج

فضائل الحرمين الشريفين في تراث أهل البيت: «٢» ١٥٣

محمدعلي المقدادي

شخصيات من الحرمين الشريفين (٣٢) محمد بن أبي بكر ـ ربيب الإمامة وحبيبها ١٩٧

محسن الأسدي

«قصيدة البردة» (٢) مدح سيّدنا ونبيّنا محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله ٢٥٣

أخبار من الحرمين الشريفين ٢٧٩

ملاحظات:

يرجى من العلماء والمحققين الأفاضل الذين يرغبون في التعاون مع المجلة أن يراعوا عند إرسال مقالاتهم النقاط التالية:

١ ـ أن تقترن المقالات بذكر المصادر والهوامش بدقّة وتفصيلٍ.

٢ ـ أن لا تتجاوز المقالة ٤٠ صفحة وأن تكون مضروبة على الآلة الكاتبة إن أمكن أوأن تكتب بخط اليد على وجه واحد من كلّ ورقة.

٣ ـ أن تكون المادّة المرسلة للنشر في المجلة غير منشورة سابقاً وغير مرسلة للنشر إلى مجلة أخرى.

٤ ـ تقوم هيئة التحرير بدراسة وتقييم البحوث والدراسات المقدمة إلى المجلة، ولهاالحقّ في صياغتها وتعديلها بما تراه مناسباً مع مراعاة المضمون والمعنى.

٥ ـ يعتمد ترتيب البحوث والمقالات في المجلة على أسس فنيّة وليس لأسباب أخرى.

٦ ـ تعتذر هيئة التحرير عن إعادة المقالات إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر.

٧ ـ المقالات والبحوث التي تنشر على صفحات المجلة تمثل وجهات نظر وآراء كتّابها.

٨ ـ ترسل جميع البحوث والمقالات على عنوان المجلة في طهران.

٩ ـ ترحّب هيئة التحرير في مجلة ميقات الحج بملاحظات القرّاء الكرام ومقترحاتهم.

مقالتان:

١ . أساطير مختلقة في سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

آية الله الشيخ جعفر السبحاني

* * *

إلحاقاً بما نشر في العدد ٣٧ من هذه المجلة وتحت عنوان: (غار حراء وذكريات النبي صلى الله عليه وآله فيه) راح سماحة الشيخ السبحاني يذكر في العدد هذا أموراً أخرى من كتب السير، سمّاها أساطيرَ مختلقةً في سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فيقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ أصحاب السير لم يذكروا عن حياة النبيﷺ أيام طفولته وشبابه إلاّ شيئاً قليلاً، ومع ذلك توجد في ثنايا ما ذكروه ـ حتى أيام حياته في بدء البعثة ـ أمورٌ يردّها النقل والعقل الحصيف، وقد وعدنا القرّاءَ في العدد السابق أن نذكر شيئاً من ذلك، فنقول:

١. أُسطورة شرح الصدر

أمّا ما يرجع إلى أيام طفولته؛ فهو ما اشتهر بين المحدّثين بقصة شرح الصدر، فقد قالوا: بأنّه قد نزل ملكان وشرحا صدره، فأخرجا منه العلقة، التي هي محل مغمز الشيطان عند الولادة، واعتمدوا في ذلك على ما نقلته كتب السيرة النبوية عن أمّه الرضاعية (حليمة)، وإليك النقل:

قالت حليمة: .... وبلغ حفيد عبدالمطلب سنتين، فبينما هوﷺ وأخوه في بُهم لنا خلف بيوتنا (والبهم: أولاد الضأن) إذ أتى أخوه يعدو فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه، فشقّا بطنه فهما يسوطانه،[1] قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائماً منتقعاً،[2] وجهه لما ناله من الفزع، أي من رؤية الملائكة.

ثم قالت (حليمة): فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: مالك يا بنيّ؟

فقالﷺ: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض (أي: وهما جبرئيل وميكائيل) فأقبلا يبتدراني، فأخذاني فأضجعاني فشقّا بطني، فالتمسا فيه شيئاً، فوجداه فأخذاه وطرحاه ولا أدري ما هو.

---

١ . أي يدخلان يديهما في بطنه.

٢ . أي متغيّراً، صار لونه كلون النقع أو الغبار.

ثم ذكر أهل السيرة منهم السهيلي: أنّ الذي أخرجاه هي العلقة، التي هي محل مغمز الشيطان عند الولادة، أي مطمعه.

ثم إنّ صاحب السيرة الحلبية بسط الكلام في الأقوال المختلفة في هذا الباب بما يزيد على عشرين صفحة.[1]

ثم إنّ المؤلّف حاول الجمع بين الروايات المختلفة، التي تدلّ تارةً على أنّه كان في حجر حليمة، وأُخرى أنّه كان ابن عشر سنين، وثالثة أنّه كان ابن عشرين سنة، كما حاول الجمع بين شقّ الصدر والبطن والقلب، كما تكلّم في كيفية الشق وغسل أحشاء البطن، ثمّ إعادتها إلى محلّها، إلى غير ذلك من الأُمور المتعارضة.

أقول: مهما كثرت رواة هذا الأمر، فإنّه لا يمكن الاعتماد على أخبارهم، وذلك:

أوّلاً: أنّ عظمة النبي الأكرمﷺ تتجلّى في العزوف عن ارتكاب المعاصي والآثام، مع قدرته على فعلها وممارستها، وقد قلنا في محلّه: إنّ العصمة لا تسلب الاختيار والقدرة عن المعصوم، فلو صحّ ما في هذه الروايات من أنّ الملائكة أخرجت ما هو حظّ الشيطان ومغمزه ومطمعه، أو صحّ ما يقولون: أخرج الغلّ والحسد منه ـ كما في رواية أخرى ـ ،[2] فمعنى ذلك أنّ النبيّﷺ صار غير قادر على الإتيان بكلّ المعاصي أو بعضها كالغلّ والحسد، وهذا يحطّ من عظمة النبيّﷺ، فالنبيّ الأكرمﷺ أجلّ وأفضل من النبي يوسفعليه السلام حيث إنّه في قمّة شبابه وقوّة شهوته، استعصم وقطع الطريق أمام إغراء امرأة العزيز التي هيّأت نفسها وتزيّنت بأجمل أنواع الزينة، و ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللّٰهِ إِنَّهُ رَبِّي**

---

١ . لاحظ السيرة الحلبية١ : ١٥١ـ ١٧٠.

٢ . لاحظ السيرة الحلبية١ : ١٦٠ ـ ١٦٧.

﴿أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.[1]

فلو لم تكن في النبيّ يوسف عليه السلام حاجة جنسية شديدة، لما كان لهذا الردّ قيمة ولا فضل بين العقلاء.

فكذلك النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما بلغ هذه المرتبة والمكانة؛ لأنّه كان ذا قدرة على المعصية، إلاّ أنّه لم يعص الله طرفة عين حتى لقائه بالرفيق الأعلى.

وثانياً: أنّ عليّاً عليه السلام كان أعرف الناس بحالات النبي صلى الله عليه وآله وبمحطات حياته وملابساتها؛ لأنّه كان ربيب بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، إذ ربّاه في حجره منذ أن كان وليداً، ومع ذلك لم نجد في كلامه إشارة إلى تلك العملية الجراحية الّتي أُجريت لأخيه صلى الله عليه وآله، وإنّما قال، وهو يصفُ أيّام طفولته صلى الله عليه وآله بعد الفطام بقوله: «لقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره».[2]

فإذا كان للنبيّ صلى الله عليه وآله عند الله تلك المنزلة، فأيّ حاجة لنزول ملكين؛ لكي يشقّان بطنه أو صدره على وجه يدخل الخوف والفزع عليه، ويصير لون وجهه كلون النقع، ويخرجان مغمز الشيطان من بطنه أو صدره، أو يغسلان أحشاءه، إلى غير ذلك ممّا يشبه الأساطير؟!

قال المفسّر الكبير الطبرسي، وهو ينكر قسماً من روايات المعراج: وكذلك ما رُوي أنّه [يعني جبريل] شقّ بطنه وغسله؛ لأنّه صلى الله عليه وآله كان طاهراً مطهّراً من كلّ سوء وعيب، وكيف يطهر القلب وما فيه من الاعتقاد بالماء؟![3]

---

١ . سورة يوسف: ٢٣.

٢ . نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢، المعروفة بالخطبة القاصعة، الفقرة ١١٧.

٣ . مجمع البيان: ٦ : ٢٤٨، تفسير سورة بني إسرائيل (الإسراء).

٢. أُسطورة فتور الوحي

ما ذكرناه أُسطورة باطلة تتعلّق بحياة النبيﷺ أيام طفولته، وإليك أُسطورة أُخرى تتعلّق ببدء البعثة، أي بعد نزوله من غار حراء، ونزول الآيات الخمس الأُولى من سورة العلق عليه، حيث إنّ المشركين أشاعوا أنّ محمداً قد قلاه ربه وتركه، ولو كان من الله تعالى لتتابع عليه نزول الوحي، فنزل ـ رداً على هذه الشائعة ـ قوله سبحانه: ﴿**وَ الضُّحى * وَ اللَّيْلِ إِذا سَجى * ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ ما قَلى**﴾.

ونحن وإن لا ننكر وجود هذه الشائعة، ولكن نناقش ما تداول فى كتب التفسير والسيرة حول هذه الأسطورة وهي: احتباس الوحي عنهﷺ وما ذكروا له من أسباب، وإليك خلاصة كلامهم:

قالوا: ... احتبس الوحي عنهﷺ اثني عشر يوماً وقيل: أربعين يوماً، ثم ذكروا أسباباً مختلفة نشير إلى بعضها:

١. إنّ المسلمين قالوا: ما لكَ لا ينزل عليك الوحي يا رسول الله؟!

فقالﷺ: «وكيف ينزل عليَّ الوحي وأنتم لا تنقّون براجمكم،[1] ولا تقلّمون أظفاركم».

٢. وقيل: لمّا نزلت السورة قال النبيّﷺ لجبرائيلعليه السلام: «ما جئت حتّى اشتقتُ إليك»، فقال جبرائيلعليه السلام: وأنا كنت أشدّ إليك شوقاً، ولكنّي عبد مأمور، وما نتنزّل إلاّ بأمر ربّك.

٣. وقيل: سأل اليهودُ رسولَ اللهﷺ عن ذي القرنين وأصحاب الكهف، وعن الروح. فقال: «سأُخبركم غداً»، ولم يقل: إن شاء الله؛ فاحتبس عنه

١ . البراجم: العُقد التي تكون في ظهور الأصابع، يجتمع فيها الوسخ، الواحدة: برجمة بالضم. النهاية، لابن الأثير١ : ١١٣، مادة «برجم».

الوحي هذه الأيّام، فاغتمّ لشماتة الأعداء، فنزلت السورة تسلية لقلبه.

٤. وقيل: إنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله رمي بحجر في إصبعه فدُميَتْ، فقال:

هل أنت إلاّ إصبع دُميت وفي سبيل الله ما لقيت.[١]

فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يوحى إليه.

وقالت له أمّ جميل بنت حرب، امرأة أبي لهب: يا محمّد ما أرى شيطانك إلاّ قد تركك، لم أره قَرُبَكَ منذ ليلتين أو ثلاث؛ فنزلت السورة.[٢]

مختارنا في هذه المسألة:

إنّ هذا النوع من الاختلاف الهائل في سبب الاحتباس ومدّته، يثير الشك في صحّة هذا السبب، الذي لم يزل يُتناقل بين أصحاب التفاسير، حتى أنّ الدكتور محمدحسين هيكل أرسله إرسال المسلّمات في كتابه: «حياة محمد» وقال: انتظر هداية الوحي إيّاه في أمره، وإنارة سبيله، فإذا الوحي يفتر، وإذا جبريل لاينزل عليه... إلى أن قال: وقد روي أن خديجة قالت له: ما أرى ربّك إلاّ قد قلاك، وتولاّه الخوف والوجل، فهما يبتعثانه من جديد، يطوي الجبال وينقطع في حراء، يرتفع بكلّ نفسه ابتغاء وجه ربّه، يسأله: لِمَ قلاه بعد أن اصطفاه؟ ولمْ تكن خديجة أقلّ منه إشفاقاً ووجلاً... وإنّه لكذلكَ تساوره هذه المخاوف، إذ جاءه الوحي بعد طول فتوره، وإذ نزل عليه بقوله تعالى: ﴿**وَالضُّحى**﴾.[٣]

ورؤية هيكل هذه، لها أصل في الصحاح، وقد صقَلها وصبّها في قالب القصص الروائية!! والعجب أنّ رجلاً مثقّفاً كهيكل اعتمد على ذلك!!

---

١. وهو بيت شعر تمثّل به النبي صلى الله عليه وآله وليس من إنشائه.

٢. مجمع البيان ١٠: ٧٦٤.

٣. حياة محمد: ١٣٨، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة عشرة.

وأوّل من شكّ في هذا السبب محمّد عبده شيخ الأزهر، وقال: ليس في نسق السورة ما يشير إلى ذلك، فمن أين للمشركين أن يعلموا فترة الوحي؟ ولكن النبي كان قد اشتاق إلى الوحي بعد أن ذاق حلاوته، وكلّ ذوق يصحبه قلق، وكلّ قلق يشوبه خوف.

وما ذكره شيخ الأزهر حقّ لامرية فيه، لولا ما في آخر كلامه، حيث قال: «وقد جاء في الصحيح: بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله حزن لفترة الوحي حزناً كبيراً»؛ إذ ليس في نسق السورة أيضاً ما يشير إلى حزنه لفترة الوحي كما صرّح به.

والظاهر أنَّ مسألة انقطاع الوحي فرية تاريخية، صنعتها يد الجعل لغايات خاصّة، ولم تكن هناك أيّة فترة، وأنّ المسألة كانت بصورة أُخرى، وهي:

تعلّقت مشيئته سبحانه على نزول الوحي تدريجاً، وفي فترة بعد فترة، حسب المقتضيات والأسباب الموجبة لنزوله أوّلاً، وتثبيتاً لفؤاد النبي صلى الله عليه وآله بذلك ثانياً.

قال سبحانه مشيراً إلى الأمر الأوّل: ﴿**وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً**﴾.[1]

وقال سبحانه ـ مشيراً إلى الأمر الثاني، وأنّ من بواعث نزول الوحي تدريجاً كونه سبباً لتثبيت فؤاده ـ : ﴿**وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً**﴾.[2]

فعلى ضوء ذلك، لم يكن هناك إلاّ موضوع طبيعيّ على صعيد الوحي، وهو نزوله تدريجياً لا دفعة واحدة، غير أنّ المشركين الجاهلين بمشيئته سبحانه، وأسرار نزول الوحي تدريجياً، كانوا يترقّبون نزول الوحي عليه دوماً وفي كلّ يوم وساعة، أو نزول مجموع الشريعة دفعة واحدة، كما نزلت التوراة على

---

١ . الإسراء: ١٠٦.

٢ . الفرقان: ٣٢.

موسى عليه السلام، قال سبحانه: ﴿وَ كَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْها بِقُوَّةٍ وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها سَأُرِيكُمْ دارَ الْفاسِقِينَ﴾،[1] فلمّا شاهدوا خلاف ما كانوا يترقّبونه من مدّعي النبوة، انصرفوا إلى اتّهام النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّه ودعه ربه الذي أنزل عليه الوحي، أو الشيطان الذي يلهمه على حدّ تعبيرهم.

بقيت هنا كلمة، وهي أنّ قوله سبحانه: ﴿وَ مَا قَلىٰ﴾ يعرب عن أنّه كانت هناك تهمة أُلصقت بالنبي صلى الله عليه وآله فما هو السبب في إلصاقها به؟

أقول: ليس هذا الاتّهام فريداً في بابه، وقد اتّهموه بالكهانة والسحر والجنون والشعر، ولم يوجد لهذه التهم سبب واقعي، وإنّما هم انتحلوها من عند أنفسهم بسبب وساوس شيطانية، وما نحن بصدده من هذا المقام.

١. الأعراف: ١٤٥.

٢ . «منى التاريخ والتشريع»[١]

لقد وقفتُ على كتاب للأُستاذ الدكتور الشيخ عبدالوهاب إبراهيم أبوسليمان بعنوان: «منى التاريخ والتشريع»،[٢] وبعد أن طالعته وجدته كتاباً ممتعاً جداً، ولذلك قمت بتلخيص ما جاء فيه؛ لينتفع به طلاب العلم والمختصون بمباحث الحج ومناسكه، والله من وراء القصد.

جعفر السبحاني

المؤلف: عضو هيئة كبار العلماء في مكّة المكرّمة، ومسؤول مكتبة الحرم المكي الشريف المشيّدة في محل ولادة نبي الله الأكرم صلى الله عليه وآله.

والكتاب: عبارة عن بحث ألقاه فضيلة الشيخ في أحد المعاهد العلمية

١. طبع الكتاب بالحجم المتوسط (الرقعي) عام ١٤٢٨هـ، في ٧٥ صفحة، في مطابع سحر بجدّة.
٢. ولو أسماه بـ: «منى تاريخاً وتشريعاً» لكان أفضل.

المتعلقة بأمور الحجّ، في ٢٨ ذي القعدة ١٤٢٧هـ.

ويتألف البحث من تمهيد وخاتمة، بينهما قسمان:

الأوّل: منى المشعر، ويشتمل على مبحثين.

القسم الثاني: منى التشريع، ويشتمل على ثلاثة مباحث.

أما التمهيد: فقد ركز الدكتور فيه على دراسة منى من ستة جوانب:

١. منى العَلَمَ على المكان، وعرّفها بقوله:

منى عَلَمٌ على أحد أهم الأمكنة، التي تقام فيها معظم شعائر الحجّ، ابتداءً بيوم التروية (الثامن) وانتهاءً برمي الجمرات في اليوم الثالث عشر من ذي الحجّة (الثالث من أيام التشريق). وذكر بعد ذلك وضع منى الاجتماعي، ومن يسكنها والملامح العمرانية، والقصور المشيّدة فيها، وأسماء الأحياء السكنية المحيطة بها.

٢. شوارع منى الرئيسية

وذكر في أوّلها الطريق الأعظم، وهو الذي سلكه النبيﷺ إلى جمرة العقبة، وقال: إنّه يتوسط وادي منى في خط مستقيم من مزدلفة مارّاً بوادي محسّر، ويتمثل هذا الطريق ـ في الوقت الحاضر ـ في طريق المشاة الممتد من عرفات، فمزدلفة، فوادي محسّر، منتهياً إلى منى، فجمرة العقبة.

٣. سبب تسميتها منى

وقد ذكر لذلك وجوهاً ثلاثة:

أ. تمنّي آدمعليه السلام الجنّة في هذه البقعة.

ب. سميت منى لما يمنى (أي يراق) فيها من الدماء تقرباً إلى الله عزّوجلّ.

ج. كل موضع يُجتمع فيه، فهو «منى» عند العرب.

٤. أيام منى، أسماؤها وخصائصها

قال: تُعد أيام منى من أعظم أيام الإسلام وأحبها، جمعت من العبادات ما تتميز به عن غيرها من المناسبات الدينية، فعنونت بخصائصها، ووضع لأيامها عنوان يشملها وهو «أيام التشريق» لكثرة تشريق اللحم في الشمس فيها بعد تقطيعه وتقديده.

واليوم الأوّل من هذه الأيام الثلاثة يقال له: «يوم القرّ»،[١] وسمي «يوم الرؤوس» وله فضائل عظيمة وخصائص بارزة.

ويسمى أيضاً «يوم النحر» أو «يوم الحج الأكبر» أو «يوم عيد الأضحى».

وأمّا اليوم الثاني من أيام التشريق (الثاني عشر من ذي الحجّة) فيقال له: «يوم النفر الأوّل» وقيل: يقال له: «يوم الرؤوس».

وأمّا اليوم الثالث من أيام التشريق فيقال له: «يوم الخلاء» لأنّ منى تخلو فيه من أهلها ويسمى: «يوم الخلا» كما يسمى «يوم النفر الآخر».

أقول: وبعد أن ذكر المؤلف الأسماء الخاصة بأيام التشريق قال: ثم إنّ هذه الأيام مصنفة إلى نوعين: أيام معدودات وأيام معلومات، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر الأيام المعدودات أوّلاً في قوله تعالى: ﴿**واذكروا الله في أيام معدودات**﴾.[٢] وذكرت الأيام المعلومات ثانياً في قوله تعالى: ﴿**ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**﴾.[٣]

---

١. وذلك لأنّ الناس يستقرّون فيه بمنى، وقيل هو اسم لليوم الثاني من أيام التشريق.

٢. البقرة: ٢٠٣.

٣. الحج: ٢٨.

وبذلك دخل الباحث في موضوع قرآني فقهي شيّق؛ لبيان آراء الفقهاء والمفسرين، ليوضّح الفرق بين المعلومات والمعدودات.

٥. حدود منى الشرعية

قال الباحث ـ نقلاً عن كشاف القناع للبهوتي ـ : حدّها من واد محسّر إلى جمرة العقبة، ووادي محسر وجمرة العقبة ليسا من منى، وفي الأثار ما يؤيد هذا.

ثم قال: وفي ضوء هذا التحديد، رسمت حدود منى في الوقت الحاضر، ووضعت لوحات إرشادية لبيانها، وفي مرحلة تاريخية سابقة شيّدت العلامات الإرشادية بناء بالحجر والأسمنت المسلح، ومازالت قائمة إلى الآن. ثمّ نطرق إلى بيان آراء المذاهب الأربعة في تحديد حدود منى.

وقال في آخر هذا الموضوع: رقعة منى محدودة المساحة، وهي مكان إقامة الحجاج لأيام عديدة، تتجلى سماحة الإسلام ويسر تشريعاته حين يزدحم الحاج، ويضيق المكان، ويتحدد الزمان، ويضعف الإنسان، أو تضيق عنده ذات اليد؛ لإكمال النواقص وتعويض الواجبات، الأخذ بالمقصد التشريعي التيسير والسماحة هو المخرج من هذا المأزق الحرج.

٦. فضائل منى

نقل الباحث عن الأزرقي عدداً من الروايات عن فضل مسجد الخيف والصلاة فيه، وقال: و عن ابن جريج، عن إسماعيل بن أُميّة، أنّ خالد بن مضرس أخبره أنّه رأى أشياخاً من الأنصار يتحرون مصلى النبيﷺ أمام المنارة قريباً منها.[1]

و بهذا ثمّ التمهيد الذي أعدّه الباحث في ٢٧ صفحة.

---

١. أخبار مكة، للأزرقي، ٢: ٧٦٨.

القسم الأول: منى في ذاكرة التاريخ الإسلامي

هذا هو المبحث الأوّل من القسم الأوّل الذي أسماه في مقدمة الكتاب «منى المشعر» وتحدث في هذا المبحث عن تاريخ منى المدّون المتفق عليه، الذي يبدأ من عهد أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وكيف أنّ جبريل علّم إبراهيم مناسك الحجّ حتى انتهى به إلى عرفة، فقال له: أعرفت مناسكك؟ فسمّيت عرفات لذلك.

وتحدث الكاتب عن أول من نصب الأنصاب في منى، و كيف أنّها بعد أن كانت ترمز إلى توحيد عبادة الله عزوجل، تحولت إلى مكان لعبادة الأوثان، ويتحمل وزر هذا التغيير عمرو بن لحي، الذي نصب بمنى سبعة أصنام، وقسّم عليهن حصى الجمار.[1]

وأشار الكاتب إلى الأحداث التاريخية التي جرت في أرض منى ومنها حلف الأحزاب، وبيعتا العقبة، واللتان آتيا ثمارهما نصراً مؤزراً، وفتحاً مجيداً، فأصحبتا ـ بما تمّ فيهما من عهود بين النبيﷺ والأنصار ـ بداية الانطلاق للدين الإسلامي.

الأماكن المأثورة الثابتة تاريخياً

هذا هو المبحث الثاني من القسم الأوّل، وذكر المؤلف فيه:

١ . مصلى رسول اللهﷺ بمنى، وقال: الأحجار التي بين يدي المنارة، وهي موضع مصلى النبيﷺ، ونقل عن الأزرقي قوله: وقال جدي: لم نزل نرى الناس وأهل العلم يصلون هنالك، ويقال له: مسجد العيشومة، وفيه عيشومة أبداً خضراء في الجدب والخصب بين حجرين من القبلة، وتلك العيشومة

١ . أخبار مكة٢ : ٧٧١.

قديمة لم تزل ثم.[1]

٢. مسجد الخيف، وسمّي بذلك؛ لأنّه بني على خيف الجبل،[2] وروى الأزرقي بسنده إلى ابن عباس قال: «صلى في مسجد الخيف سبعون نبياً مخطمون بالليف، قال مروان: يعني: رواحلهم».

وبسنده ـ أيضاً ـ عن مجاهد أنّه قال: «حج خمسة وسبعون نبياً، كلّهم قد طاف بالبيت، وصلى في مسجد منى، فإن استطعت أن لا تفوتك الصلاة في مسجد منى فافعل».

وبسنده إلى ابن جريج عن عطاء قال: سمعت أباهريرة يقول: لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد منى كل سبت.[3]

ثم قال المؤلف: وقد جدد بناؤه في العهد السعودي، وتمّت به توسعات

---

١. أخبار مكة٢ : ٧٦٩.

٢. الخيف في الأصل ما انحدر من غلظ الجبل، وارتفع من مسيل الماء.

٣. أخبار مكة٢ : ٧٦٨.

كبيرة، وأزيل منه كلّ ما يشير إلى المواقع الأثرية فيه!!

٣. مسجد الكبش، أي الكبش الذي هبط على إبراهيم فداءً لابنه إسماعيل، وقيل: إنّه الكبش الذي ذبحه ابن آدم فتقبل منه، أو ذبحه إبراهيم فداءً لولده إسحاق.

ونقل الباحث عن العلامة الكردي ـ فيما يخص وجود هذا المسجد ـ : نقول: إنّه لم يبق اليوم لهذا المسجد من أثر.[١]

٤. مسجد البيعة (شعب الأنصار)، ويقع على يسار الذاهب إلى منى.

وقد تمت فيه بيعتا العقبة الأُولى والثانية، وغيّرت مجرى التاريخ الإنساني في نهايته، وتركت آثارها على أرض الواقع شاهداً

على ما دار في تلك الأماكن من أحداث ووقائع تمثل مرحلة حاسمة في تاريخ الإسلام، وأنّ من الواجب الاحتفاظ به معلماً تاريخياً من معالم التاريخ الإسلامي.

٥. موضع منزل رسول الله صلى الله عليه وآله بمنى ومنازل أصحابه، وقد نظم

١ . التاريخ القويم لمكّة وبيت الله الكريم، لمحمد طاهر الكردي٦ : ٢٨.

رسول الله ﷺ منازل صحابته الكرام بمنى، فأقام المهاجرين أمام مسجد الخيف، والأنصار من ورائه، وأقام ﷺ منزله على يسار المصلى.

٦. غار المرسلات (مسجد المرسلات) وهو الذي نزلت فيه سورة المرسلات، ويقع خلف مسجد الخيف أسفل الجبل يأثره الخلف عن السلف، وهو غير موجود في الوقت الحاضر، قد جاءت عليه الهدميات وتوسعة منى وإزالة المباني منها.

ونقل عن العلامة الكردي ـ فيما يخص هذا المسجد ـ قوله: قال الغازي: ومنها: مسجد لطيف يماني مسجد الخيف فيه غار به أثر يقال: إنّه أثر رأس رسول الله ﷺ بلحف الجبل المشرف على مسجد الخيف المسمّى بالضب... قال الغازي: هنا أقول: قد اندرس مسجد المرسلات الآن، ولم يبق أثر للمسجد، ولا للغار.[1]

القسم الثاني: منى التشريع

قال الكاتب: منى الشعيرة مجموعة من الآيات البينات، والتشريعات حوت من مقاصد الشريعة في الحجّ مجموعة ما تحقق منفرداً في بقية المشاعر: مقاصد عقدية، ومقاصد تشريعية، مقاصد علمية وفكرية، مقاصد سياسية، مقاصد اقتصادية، مقاصد اجتماعية.

ثم تحدث المؤلف عن هذه المقاصد، وذكر في قسم المقاصد العقدية فائدتين هما: أنّ الحجّ مدرسة إيمانية، عملية تطبيقية، لحمتها وسداها التوحيد الخالص لله عزّوجلّ، والآخر هو أنّه يجب على الحاج أن يستفيد من أداء شعيرة الحج دروساً مستقبلية في العقيدة الصحيحة، والمداومة على ذكر الله

١. نفس المصدر٦ : ١٢٧.

تعالى والثناء عليه، كما كان حاله في أثناء أدائه لمناسك الحجّ.

ثمّ تعرض المؤلف إلى بيان المقاصد العلمية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية، وفي نهاية آخرها قال: [إنّ] مقاصد هذا الركن الإسلامي العظيم وأسراره جذبت أنظار المثقفين في الأمة:

الفقيه ينطلق من توجه فقهي محض، يستخرج الأحكام.

العالم المقاصدي يستنبط المقاصد الشرعية والحكم المرعية في الشريعة.

عالم السلوك ينطلق من توجه روحي صاف،

الأديب يستلهم المشاعر والعواطف في تلك المجتمعات الإيمانية.

عالم الاجتماع يتحدث من منطلق اجتماعي، وكذلك المفكر، وعالم الاقتصاد، وهكذا تتآخى كلّ تلك المقاصد ولا تتنازع، أو تتقاطع، أو تتعارض.

ثمّ إنّ المؤلف انتقل لبيان المقاصد الشرعية، التي تتجلى واضحة بارزة أعظم ما تكون مجتمعة في مشعر منى، وأشدّ ما يحتاج إليه منها حاضراً، وذكر لذلك نماذج منها:

ـ (مقصد) التيسير ورفع الحرج عن الأمة في شعائر منى.

وذكر في هذا المقصد القاعدة الأولى من القواعد الخمسة، التي درسها في هذا القسم من بحثه، وهي: قاعدة تردد الأحكام بين الجواز والفضيلة، وقال: تجلى الاتجاه نحو التيسير واضحاً صريحاً، ودليلاً قاطعاً في [الوجوه] التالية:

١. إجابات المصطفى صلى الله عليه وآله في قوله: «افعل ولا حرج».

٢. أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حجّ مرّة واحدة؟

٣. اجتهاد الأئمة ـ رحمة الله تعالى عليهم ـ واختلافهم.

٤. تأثر الفقهاء في دراسة أحكام المناسك بكلّ ما تقدم.

ـ المقصد الثاني: التنويع مع التخيير في الأحكام أداءً وقضاءً (وجعلها

القاعدة الثانية) وذلك يتمثل في أنّ المكلف مختار في أن يأخذ بما يناسبه من الأحكام التالية:

١. التمتع أو القران.[١]

٢. العقوبة لارتكاب محظور من محظورات الإحرام، (الكفارة).

٣. التحلل الأصغر عند المالكية.

ـ القاعدة الثالثة: اختلاف المذاهب، واختيار الأرفق والأوفق منها في الفتيا، ومن ذلك:

رمي الجمرات أيام التشريق الثلاثة يبدأ من الزوال إلى الفجر وذكرهنا رأي الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام كما ورد عنه في الأمالي بقوله: فارم الجمار كل يوم عند زوال الشمس، وأي ساعة شئت غير أنّ أفضل ذلك عند زوال الشمس، ثم قال عليه السلام: إرم قبل الظهر، وبعدها، وإن شئت ضحى، وإن شئت بالعشي.[٢]

ـ القاعدة الرابعة: التلفيق، أو تتبع الرخص، وقال: لهذه القاعدة الشرعية دور بارز في تخفيف الكثير من القضايا الحرجة في الحج، التي يصعب تطبيقها حسب الأوامر الشرعية الإسلامية، كما هو الحال في نساء الحجيج إذا حضن قبل طواف الإفاضة، ولم يمكنهن الإقامة حتى الطهر.

ـ القاعدة الخامسة: نظرية أنّ الشريعة الإسلامية جاءت أصالة على مرتبتين: التخفيف والتشديد.

---

١ . التمتع للنائي، والقِران لمن ساق الهدي في مذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام.

٢ . يُبدأ بالرمي من طلوع الشمس إلى المغرب في مذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام. وقد نقل مسلم في صحيحه كيفية حج رسول الله صلى الله عليه وآله عن الإمام الباقر عليه السلام، لاحظ للوقوف على تفصيل هذه الرواية: صحيح مسلم٤ : ٣٩ـ ٤٣، باب حجة النبي صلى الله عليه وآله؛ سنن أبي داود٢ : ١٨٢، الحديث ١٩٠٥؛ شرح صحيح مسلم، للنووي٨ : ١٧٠، باب حجة النبي.

وأنّ المكلفين على قسمين: قوّي وضعيف، ولكلّ من هذين القسمين أحكام تناسبه.

المبحث الثاني [من القسم الثاني]: مناسك منى يوم النحر (العاشر من ذي الحجة):

١. أداء الصلوات بمنى، وقال: اختلفت المذاهب الفقهية في سبب القصر والجمع في الحجّ هل هي من قبيل النسك، أو بسبب السفر؟ وأجاب الباحث عن هذا السؤال بذكر آراء المذاهب الأربعة.

٢. ابتداء وقت التكبير وانتهاؤه.

٣. رمي جمرة العقبة يوم العيد.

٤. نحر الهدي، أو ذبحه.

٥. الحلق أو التقصير.

٦. طواف الإفاضة.[1]

٧. تقديم سعي الحجّ لأهل مكة.

٨. ترتيب مناسك يوم النحر.

١. أو طواف النساء (في فقه مذهب أهل البيت عليهم السلام).

٩. صلاة العيد.

المبحث الثالث: مناسك أيام التشريق وعلاقتها بقواعد التيسير.

وقد أورد في هذا المبحث، المناسك التالية:

١. المبيت بمنى.

٢. رمي الجمرات أيام التشريق.

٣. النيابة في رمي الجمرات.

وبعد أن أتم هذا المبحث، لخص دراسته في خاتمة جميلة في خمس صفحات، ومما ذكره هناك: أنّ التصرّف فيها [يعني الآثار التاريخية الإسلامية] بالهدم والإزالة هو محو لصفحات مشرقة في التاريخ الإسلامي، ويتحول التاريخ من حقيقة إلى أسطورة تروى، يكفي أنّ السلف حافظوا عليها قروناً عديدة، ولم يروا في إبقائها والمحافظة عليها أي محظور شرعي يمسّ العقيدة الصحيحة، ونحن في العصر الحاضر أولى أن نحافظ عليها؛ لتضل شاهداً حيّاً على ـ تضحيات السلف ـ و ما لاقاه نبي الإسلامﷺ من مشقة في إبلاغ الدعوة، ونشر عقيدة التوحيد.

ثمّ إنّ المؤلف عاد يذكر ظواهر بارزة لقواعد التيسير على المكلفين في أحكام الشريعة الإسلامية فتوى، وقضاء أمر إلهي، ومقصد شرعي قطعي منشود في كلّ مظاهر التشريع الإسلامي.[١]

وقد جمع هذه الظواهر في عشرة نماذج جميلة، أضفت على البحث صبغة جعلته جديراً بالمطالعة، واكتفي بذكر عاشرة هذه النماذج، قال:

---

١ . لا شكّ أنّ الأحكام الشرعية نابعة عن مقاصد وغايات ترجع إلى صلاح الفرد والمجتمع، وإنّما يعتبر ملاكاً لتسرية الحكم إلى ما لا نصّ فيه فيما لو دلّ الدليل الشرعي على أنّ ما دلّ عليه الدليل ملاك قطعي فريد في بابه، وليس من مقولة الحكمة، والتفصيل في محلّه.

الفائدة المرجوّة من تلك الرحلة الإيمانية هو أن تسلم لأمة عقيدتها، وتصح لها جوانبها الفقهية التشريعية، مسكوة برداء التيسير والتسامح، فتستقيم أُمورها الاجتماعية والسلوكية، [و] يتحقق لها كل ذلك من أداء شعيرة الحجّ السنوية كما أرادها المولى عزّوجل؛ لتصبح عنواناً عملياً على الفكر والسلوك، والتعامل المثالي، فتحقق بجدارة أنّها أمّة مسلمة، تستعيد مكانتها، وتميّزها بين أُمم الأرض.

* * *

إلى هنا تمّ عرض رسالة «منى التاريخ والتشريع» بتلخيص، غير أنّ المؤلف اكتفى بإشارة إلى لزوم صيانة الآثار الإسلامية، ولما يترتب على هدمها من نتائج، ونحن نزيد بياناً ونقول:

إنّ كلّ واقعة أو أي حادثة من الحوادث تُعدّ في الأيام الأُولى لوقوعها من الحقائق القطعية لدى المعاصرين لها، ولكنّها مع مرور الزمن وتعاقب الأجيال، تفقد تلك الواقعة قطعيتها، بصورة تدريجيّة بنحو يلقي الشك والترديد ظلاله عليها إلى درجة قد تصل الحالة إلى أن تعتبر أُسطورة خيالية في نظر بعض الأجيال.

ولا شكّ أنّ الحوادث والوقائع التاريخية غير مستثناة من هذه الحالة، فبالرغم من قطعيتها ووضوحها في الأيام الأُولى، ولكنّها قد تصل إذا أُهملت ولم تلق عناية خاصة إلى أن تصبح أُسطورة تاريخية في نظر الأجيال القادمة.

بل إنّ تكرار هذا الخطر وتلك الفاجعة في الحضارة الإسلامية أخطر من غيرها، وذلك باعتبار أنّ الرسالة الإسلامية هي خاتمة الرسالات، وهي الرسالة الخالدة التي تسير مع الإنسان، وترسم له طريقه إلى يوم القيامة، ولا شكّ أن الأجيال القادمة إنّما تتبع هذه الرسالة، وتنهل من نميرها العذب إذا كانت تلك الأجيال على يقين من أحقية تلك الرسالة، وعلى علم بواقعيتها

وأصالتها، وممّا لا ريب فيه أنّ أحد العوامل الفاعلة والمهمة في ثبوت «قطعية» الرسالة وأصالتها، وتحكيم جذورها التاريخية، تكمن في الحفاظ على الآثار المتعلّقة بتاريخ الرسول الأكرمﷺ وجهاده وقيادته وحركته في المجتمع.

فصيانة هذه الآثار على وجه الإطلاق تضفي على الشريعة في نظر غير معتنقيها واقعية وحقيقة، وتزيل عن وجهها أيّ ريب أوشك في صحّة البعثة والدعوة، وجهاد الأُمّة ونضال المؤمنين.

ولقد بذل علماؤنا وسلفنا الصالح جهوداً جبارة، ومساعي مشكورة، في مجال الحفاظ على ذلك التراث المهم، وأوصلوا الأمانة سالمة إلى الأجيال اللاحقة، وبذلك قدّموا خدمات عظيمة للأجيال من خلال ذلك العمل الرائع المتمثّل في صيانة الآثار وحفظها، ممّا كان له أثره الفاعل في النظر إلى الدين الإسلامي نظرة واقعية، وإلى الشخصيات الإسلامية نظرة قطعية لاريب ولا تردّد فيها أبداً.

من هنا يستطيع المسلمون أن يتحدّثوا عن دينهم، ويدعو الناس إليه بقوّة واطمئنان تامّين، ويواجهون العالم و هم مرفوعو الرؤوس، ويقولون: أيّها الناس لقد بعث رجل في أرض الحجاز قبل ١٤٠٠ سنة لقيادة المجتمع البشري، وقد حقّق نجاحاً باهراً في مهمته، التي استمرت ٢٣ عاماً موزّعة على مرحلتين: ١٣ عاماً منها في مكة، وعشرة منها في المدينة، و هذه آثار حياته محفوظة تماماً في مكة و المدينة، فهذه هي الدار التي ولد فيها، وهذا مسجده، وهذا البيت الذي دفن فيه، وهذه بيوت زوجاته، وهذا غار حراء الذي كان يتعبّد به، والذي هبط الوحي عليه فيه، وهو في سنّ الأربعين من عمره الشريف، ومنه بدأت حركة الرسالة الإسلامية، فآمنت به طائفة وكفرت أُخرى، وقد واجه في طريق الدعوة أشدّ المصاعب في مكة ممّا اضطره للهجرة

إلى المدينة، وفي طريق هجرته لجأ إلى «غار ثور» في جنوب مكة، وبعد أن أمن الطلب، توجّه صوب المدينة مهاجراً؛ ليستقبله الأوس والخزرج، ويؤسّس هناك نواة الحكومة الإسلامية الجديدة.

وقد خاض صلى الله عليه وآله في تلك الفترة من حياته الشريفة معارك ضارية مع المشركين واليهود، قدّم خلالها قافلة من الشهداء في بدر وأُحد وخيبر وحنين، كما قام صلى الله عليه وآله بإرسال المبلّغين إلى سائر أراضي الجزيرة العربية، داعين الناس إلى التوحيد ونبذ الشرك والوثنية، وبعد أن أتمّ رسالته وأدّى مهمته على أحسن وجه، لبّى نداء ربّه في السنة الحادية عشرة من هجرته الشريفة، وقد استلم الراية التي رفعها أهل بيته وأنصاره وأصحابه، وساروا على النهج الذي سار عليه، ونشروا مفاهيم القرآن وقيمه في أرجاء المعمورة.

والآن، إذا قضينا على هذه الآثار، فقد قضينا على معالم وجوده صلى الله عليه وآله ودلائل أصالته وحقيقته، ومهّدنا السبيل لأعداء الإسلام ليقولوا ما يريدون.

إنّ هدم آثار النبوة وآثار أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام لا يُعد إساءة إليهم وهتكاً لحرمتهم فقط، بل هو اعتداء سافر على أصالة نبوّة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله ومعالم دينه القويم. إنّ رسالة الإسلام رسالة خالدة أبدية، وسوف يبقى الإسلام ديناً للبشرية جمعاء إلى يوم القيامة، ولا بدّ للأجيال القادمة ـ على طول الزمن ـ أن تعترف بأصالتها وتؤمن بقداستها. ولأجل تحقيق هذا الهدف يجب أن نحافظ ـ دائماً ـ على آثار صاحب الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله لكي نكون قد خطونا خطوة في سبيل استمرارية هذا الدين وبقائه على مدى العصور القادمة، حتّى لا يشكّك أحد في وجود نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله كما شكّكوا في وجود النبي عيسى عليه السلام.

لقد اهتمّ المسلمون اهتماماً كبيراً بشأن آثار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسيرته وسلوكه، حتّى أنّهم سجّلوا دقائق أُموره وخصائص حياته ومميّزات شخصيته، وكلّ ما

يرتبط به كخاتمه، وحذائه، وسواكه، وسيفه، ودرعه، ورمحه، وجواده، وإبله، وغلامه، حتّى الآبار، التي شرب منها الماء، والأراضي التي أوقفها لوجه الله سبحانه، والطعام المفضّل لديه، بل وكيفية مشيته وأكله وشربه، وما يرتبط بلحيته المقدّسة وخضابه لها، وغير ذلك، ولا زالت آثار البعض منها باقية إلى يومنا هذا.[1]

هذا، وإذا استعرضنا تاريخ الشرائع السماوية نجد في تاريخ السيد المسيح عليه السلام خير شاهد على ما نذهب إليه، فمن المسلّم به أنّ الإنسان المسلم ـ وتبعاً للقرآن الكريم والسنّة المطهّرة ـ يذعن بوجود السيد المسيح عليه السلام، ويعتقد اعتقاداً راسخاً بأنّ هذه الشخصية تمثّل حلقة من سلسلة الرسالات والنبوّات الطويلة، وأنّ للسيد المسيح وجوداً حقيقياً، ودوراً فاعلاً في تاريخ البشرية عامّة، وتاريخ الرسالات خاصة، حيث جاء بتعاليم وإرشادات ودساتير سماوية من خلال كتابه «الإنجيل».

ولكن ـ وللأسف الشديد ـ نجد الشباب الغربيّين؛ لعدم معرفتهم بالمعارف القرآنية الحقّة، وعدم اعتقادهم بالدين الإسلامي الذي جاء به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، والذي يعتبر أفضل طريق وأصفى مرآة لإثبات حقيقة السيد المسيح عليه السلام، نجدهم ينظرون اليوم إلى شخصية السيد المسيح عليه السلام نظرة ارتياب وشك وتردد، وذلك لأنّ الشاب الغربي قد جال ببصره وتتبع التاريخ الأثري، فلم يجد لهذه الشخصية العملاقة أثراً ملموساً لكي يركن إليه، فلم يجد له قبراً،[2] أو لأُمّه مريم، أو لأحد حواريّيه، كما لم يجد له كتاباً متّفقا عليه، وإنّما

---

١. حول هذا الموضوع راجع الطبقات الكبرى، لابن سعد: ٣٦٠ ـ ٥٠٣.

٢. هذا الكلام يصدق وفقاً للتفكير المسيحي المنحرف الذي يذهب إلى أنّ المسيح عليه السلام صلب فعلاً. وأمّا حسب النظرية الإسلامية فلا يصح.

نسبت إليه أناجيل كثيرة مضطربة مختلفة، لا يمكن تمييز الحق من الباطل منها بسهولة.

وخلاصة الأمر: أنّ الشاب الغربي لم يعثر على شيء ملموس؛ يؤدّي به إلى الاطمئنان بأصالة هذه الشخصية، والركون إلى أنّها واقعة حقيقة لا يمكن التردّد فيها.

ومن هنا ينبغي علينا نحن المسلمين أن نأخذ العبر والدروس من التاريخ المسيحي، وأن نسعى بكلّ ما أُوتينا من قوّة وجهد في سبيل صيانة الآثار الإسلامية عامّة، وآثار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله خاصة؛ مهما كانت صغيرة، وذلك لأنها تمثّل الشاهد الحي على أصالتنا وأحقية دعوتنا، وأن نتجنّب تدميرها بمعول محاربة الشرك، الذي اتّخذه البعض ـ وللأسف الشديد ـ ذريعة للقضاء على هذا التاريخ الأثري الملموس، والمعلَم الإسلامي المهم، كي لا يصيب أجيالنا القادمة ما أصاب الشاب الغربي من داء الترديد والشك في شخصية السيد المسيح عليه السلام.

القرآن الكريم وحفظ الآثار

لقد أكّد القرآن الكريم أنّ الأُمم السالفة كانت تحتفظ بآثار أنبيائها، وتحافظ عليها، وتصونها وتتبرّك بها، وكانت تحملها معها في الحروب، ليتسنّى لها من خلال التبرّك بها التغلّب والانتصار على عدوهم.

ومن النماذج التي ذكرها القرآن الكريم في هذا المجال صندوق بني إسرائيل، الذي كانت فيه موارث آل موسى و هارون، قال تعالى:

﴿وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

﴿مُؤْمِنِينَ﴾.[1]

ولا ريب أنّ هذا الصندوق عظيم البركة بشهادة أنّ الملائكة هي التي تحمله، فلو كان حفظ الآثار وصيانتها بصورة عامّة، وحفظ هذا الصندوق الأثري بصورة خاصة غير لائق وغير جدير بالاهتمام، فلماذا يتحدّث عنه القرآن الكريم بهذا اللحن من الخطاب الإيجابي، الذي يظهر منه تأييد الفكرة واستحسانها؟! ولماذا تتصدى الملائكة على عظمتها وقداستها لحمله؟! ولماذا تكون عملية استرجاعه من أيدي العمالقة آية على حقّانية قائد الجيش في وقته؟!

نعم، إنّ الجهلة وذوي العقول الصبيانية هم الذين يعبثون بتراثهم، ولا يعيرون له أهمية تذكر، ولا يرون له ذلك الأثر الفاعل في حركتهم المستقبلية، وأمّا الوارث العاقل واللبيب، فإنّه يتعامل مع ذلك الموروث بطريقة أُخرى، وبنحو يختلف اختلافاً جوهرياً عن الطريقة السالفة، وذلك لأنّه يعي جيداً ما تنطوي عليه تلك الآثار من تراث معنوي واجتماعي، وما يعكسه هذا التراث من أصالة وحقّانية وإثبات للهوية، لذلك تجده يعضُّ عليها بالنواجذ، ويبذل في سبيل صيانتها الغالي والنفيس.

ومن حسن الحظ أنّ الأُمّة الإسلامية ومنذ الأيام الأُولى قد التفتت إلى أهمية هذا التراث الإسلامي المهم، فحافظت عليه كما حدّثنا التاريخ الإسلامي بذلك، حيث كانوا يحتفظون بكلّ ما يمتّ إلى الرسول الأكرمﷺ بصلة، من ثياب، وسلاح، ودار، وكتاب، وغير ذلك من الحاجات الشخصية التي كان يستعملها، بل حتى «شعره» كانوا يحتفظون به في صندوق خاص.

﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ﴾.[2]

---

١. البقرة: ٢٤٨.

٢. سورة ق: ٣٧.

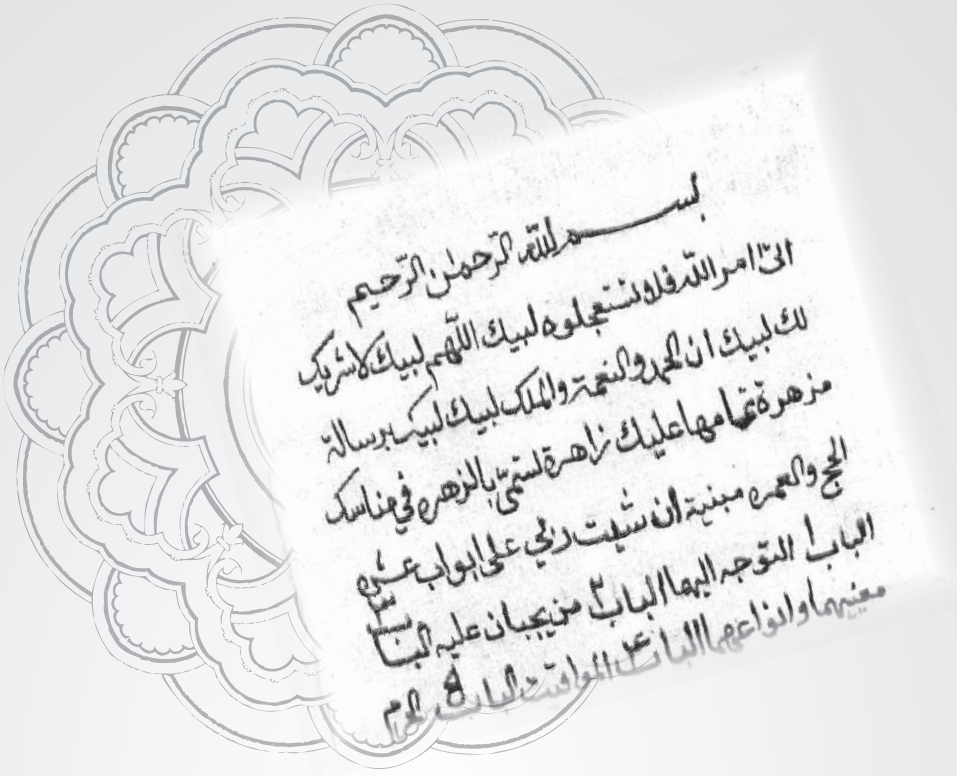
بسم الله الرحمن الرحيم
الى امر الله فلا تستعجلوه لبيك اللهم لبيك لا شريك
لك لبيك ان الحمد والنعمة والملك لبيك لبيك برسالة
مزهرة تعامها عليك زاهرة تسمى بالزهرة في مناسك
الحج والعمرة مبنية ان شئت ربي على ابواب عشرة
الباب الاول التوجه اليها الباب الثاني من يجب عليه الحج
معنيها وانواعهم الباب الرابع المواقيت الباب الخامس الحرم

«الزهرة في مناسك الحجّ والعمرة»

للفاضل الهندي

تحقيق : الشيخ محمد الإسلامي اليزدي

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء محمّد وآله الطيّبين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وبعد: فإنّ فريضة الحجّ من الفرائض الإسلامية ذات الأهمّية في الدين، بحيث من تركها وهو مستطيع، عن عمد وإنكار، عدّ كافراً، كما هو صريح قوله تعالى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّه غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾.[1]

ومن هنا يلزم لمن يريد أداء الحجّ والعمرة:

---

١ . آل عمران : ٩٧.

معرفة أحكامهما ومناسكهما من آداب وسنن وواجبات ومحرّمات؛ بأن يكون الحاج أو المعتمر مجتهداً أو مقلّداً أو محتاطاً كما هو الحال في سائر الأحكام الشرعية الأخرى. ثمّ أداؤهما بعد ذلك والقيام بهما.

وقام الفقهاء والمراجع العظام بتحديد الوظائف، فاجتهدوا وألّفوا بهذا الخصوص كتباً خاصّة ترشد الحجّاج والمعتمرين المقلّدين إلى ما يؤدّون في المقام، وسمّوها بـ«المناسك».

وقد عدَّ العلاّمة آقا بزرك الطهراني في «الذريعة» الكتب والرسائل المؤلّفة في هذا الباب، بعنوان «مناسك الحجّ» ما تجاوز المئة والسبعين كتاباً.[1]

وكتاب شيخنا المؤلّف‌ﷺ المسمّى بـ«الزهرة في الحجّ والعمرة» من جملة هذه المناسك، التي كتبت مبيّنةً ما يحتاجه الحاجّ والمعتمر.

المؤلّف

اسمه ولقبه:

هو أبو الفضل بهاء الدين محمّد بن الحسن الأصفهاني، المشهور بـ«الفاضل الهندي» (١٠٦٢ ـ ١١٣٧) هـ.

والمؤلّف‌ﷺ عاش في عصر الدولة الصفوية الأخيرة فقيهاً ومرجعاً ورئيساً لحوزة أصفهان العلمية، وسبب اشتهاره بـ«الفاضل الهندي» هو سفره إلى الهند برفقة والده‌ﷺ ولدى رجوعه إلى أصفهان اشتهر بـ«الفاضل الهندي»، وكانت شهرة غير مرضية له‌ﷺ كما ذكره محقّق «كشف اللثام» في مقدّمة الكتاب.[2]

---

١ . الذريعة٢٢ : ٢٥٣.

٢ . كشف اللثام ١ / ١٣ .

أساتذته ومشايخ إجازاته:

١. تاج الدين الحسني الأصفهاني، المشهور بـ«ملاتاجا» والد المؤلّف ﷺ وأُستاذه الأوّل وشيخ إجازته.

٢. العلاّمة المجلسي أُستاذه وصاحب إجازته، وله إليه نسبة قرابة.

تلامذته والمجازون منه:

١. الشيخ أحمد بن الحسين الحلّي.

٢. السيّد محمّد علي الكشميري.

٣. السيّد ناصر الدين أحمد بن محمّد السبزواري.

٤. الميرزا بهاء الدين محمّد المختاري السبزواري.

٥. الميرزا عبدالله أفندي.

٦. الشيخ محمّد بن الحاج علي بن الأمير محمود الجزائري التستري.

٧. الملاّ عبدالكريم بن محمّد هادي الطبسي.

٨. الشيخ علي أكبر بن محمّد صالح الحسني اللاريجاني.

٩. الشيخ محمّد صالح الكرازي القمي.

١٠. السيّد صدرالدين محمّد الحسيني.

١١. الشيخ محمّد تقي الأصفهاني المعروف بـ«ملاّ تقيا».

مؤلّفاته:

شملت آثاره العلمية مختلف العلوم، الأدب والفقه والأُصول والكلام والفلسفة وعلم التفسير، نذكرها حسب ما في مقدّمة «كشف اللثام»:

١. كشف اللثام عن قواعد الأحكام.

٢. المناهج السوية في شرح الروضة البهية.
٣. منبه الحريص على فهم شرح التلخيص.
٤. التنصيص على معاني التمحيص.
٥. الزهرة في مناسك الحجّ والعمرة.
٦. إجالة النظر في القضاء والقدر.
٧. تفسير القرآن.
٨. الزبدة في أُصول الدين.
٩. الحور البريعة في أُصول الشريعة.
١٠. شرح الدرّة البريعة في علم أُصول الشريعة.
١١. خلاصة المنطق.
١٢. الحاشية على المواقف.
١٣. الاحتياطات اللازمة.
١٤. عون إخوان الصفا على فهم كتاب الشفا.
١٥. إثبات الواجب في إثبات الواجب.
١٦. حكمت خاقانيه.
١٧. السؤال والجواب أو جوابات المسائل.
١٨. شرح العقائد النسفية.
١٩. شرح عوامل الجرجاني.
٢٠. شرح عوامل ملاّ محسن.
٢١. حرمة صلاة الجمعة في زمان الغيبة.
٢٢. فهرست كنز الفوائد.
٢٣. اللآلي العبقرية في شرح العينية الحميرية.

٢٤. النجاة.

٢٥. كليد بهشت.

٢٦. بينش غرض آفرينش.

٢٧. كاشف أسرار اليقين من أُصول الشرع المبين في شرح معالم الدين.

٢٨. قراح الاقتراح.

٢٩. موضح أسرار النحو.

٣٠. الرسالة التهليلية.

٣١. الكوكب الدرّي.

٣٢. حاشية على الكافية.

٣٣. چهار آئينه.

٣٤. تطهير التطهير عن أوهام شبه الحمير.

٣٥. تحريم خمر.

٣٦. زبدة العربية.

٣٧. حاشية على قرب الإسناد.

٣٨. الرسائل الكثيرة.

٣٩. تحفة الصالح.[1]

ورسالة «الزهرة في مناسك الحجّ والعمرة» ذكرها صاحب الذريعة٢٢/ برقم ٧٠٥٥ بعنوان «مناسك الحجّ»، ونقل عن هذا الكتاب أبوالحسن الفتوني الشريف في فوائده أثناء مجاورته الحرم المكّي الشريف، ونسخة الفوائد في مكتبة السيّد البروجردي.

وتوجد نسخة منها في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي تحت رقم ٨ /

١. كشف اللثام ١ : ٤٦ ـ ٦٥ «المقدمة».

٢٧٦١ وهي النسخة التي اعتمدنا في هذا التحقيق.

وشرحها محمّد بن علي بن حيدر العاملي المكّي(١١٣٩ هـ) باسم «إظهار ما عندي بمنسك الفاضل الهندي»، وتوجد نسخة هذا الشرح في مكتبة جامعة طهران ويقوم بتحقيقها...

وقمت بتحقيقها على النسخة الوحيدة الجيّدة الخطّ وكاتبها محمّد بن بدوي الجزائري العسكري.

وفي الختام أُقدّم شكري لسماحة الشيخ حسين الواثقي لتقديمه النسخة، والأخ سماحة الشيخ المقدادي وباقي الإخوة في مجلّة «ميقات الحجّ».

ونسأل من الله القبول، والله وليّ التوفيق.

محمّد الإسلامي اليزدي ـ قم المقدّسة

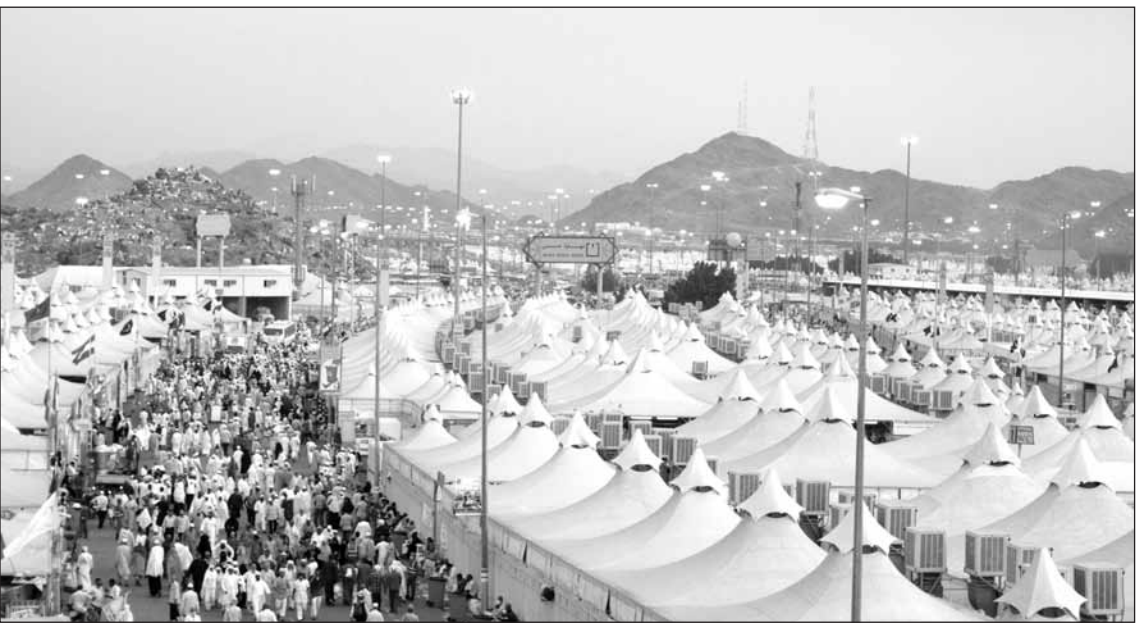

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[1] لبّيك اللهمّ لبّيك، ...لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنعمة ... والملك ... لبّيك لبّيك، برسالة مزهرة تمامها عليك زاهرة، لتسمّى بالزهرة في مناسك الحجّ والعمرة، مبنيّة إن شئت ربّي على أبواب عشرة:

الباب الأوّل: التوجّه إليهما.

الباب الثاني: من يجبان عليه.

الباب الثالث: معنييهما [معناهما] وأنواعهما.

الباب الرابع: المواقيت.

الباب الخامس: الحرم وأحكامه.

الباب السادس: الإحرام وما يحرم به.

الباب السابع: أفعال العمرة.

الباب الثامن: أفعال الحجّ.

الباب التاسع: الحصر والصدّ.

الباب العاشر: الكفّارات.

تلك عشرة كاملة لما لابدّ منه للمناسك شاملة.

الباب الأوّل

التوجّه إليهما، أمّا من يستأجر لهما، أو لأحدهما من بلد من البلاد النائية، فالاحتياط أن لا يخلى أوّل مسيره من البلد من النيّة، فينوي مثلاً كذا: «أُريد أن أسير، لأن أعتمر عمرة الإسلام، عمرة التمتّع، ثمّ أحجّ حجّ التمتّع حجّ

١ . النحل: ١.

الإسلام، في وقتيهما في مكانيهما نيابة عن فلان لإطاعة أمر الله»، وإن نوى بالمسير والعمرة والحجّ الوجوب لم يكن به بأس؛ وإن لم يكن الحجّ والعمرة للإسلام، فإن وجبا بنذر وشبهه، نواهما كذلك، وإلاّ نوى الندب بهما، وإن نوى بالمسير الوجوب مع ذلك، لم يكن به بأس.

وليقرن النيّة بالشروع في السير، وليحضر في النيّة بالبال معاني العمرة والحجّ والتمتّع والإسلامي.

وإن كانت النيابة لحجّ قران أو إفراد وعمرته، نوى كذلك: «اُريد أن اسير الآن؛ لأحجّ حجّ قران إسلامي، ثمّ أعتمر عمرة إسلامية في مكانيهما في وقتيهما نيابةً عن فلان لإطاعة أمر الله»، واُريد أن اسير الآن؛ لأحجّ حجّاً مفرداً إسلاميّاً، ثمّ أعتمر إلى آخر ما سمعته، وليحضر معنى القران والإفراد بالبال.

والكلام في غير الإسلامي، ونيّة الوجوب بهما وبالمسير ما عرفته، وعلى كلّ حال، فليقرن النيّة بالمسير.

وإن استنيب للحجّ وحده، أو العمرة وحدها، اقتصر على ما استنيب له، وإن كان يتوجّه لهما أو لأحدهما، لنفسه أو متبرّعاً بالنيابة، فإن نوى وقرن مسيره بالنيّة كان أولى، فإن كان يسير لأحدهما اقتصر عليه في النيّة.

وإن كان يسير لهما، كان الأولى أن ينوى مرّتين، قارناً كلّ مرّة تخطى خطوة، أو خطى فمرّة ينويهما معاً كذا: «اُريد أن اسير الآن؛ لأعتمر عمرة الإسلام عمرة التمتّع، ثمّ أحجّ حجّ الإسلام حجّ التمتّع في وقتيهما في مكانيهما؛ لإطاعة أمر الله»، واُخرى كذا: «اُريد أن اسير؛ لأعتمر عمرة الإسلام عمرة التمتّع، لإطاعة أمر الله»، إن أراد حجّ التمتّع.

وإن أراد حجّ الإفراد أو القران، نوى في هذه المرّة كذا: «اُريد أن اسير الآن؛ لأحجّ حجّ قران إسلامي، لإطاعة أمر الله، أو حجّاً مفرداً إسلامياً،

وإلاّ يضمّ في نيّة الوجوب ما عرفت.

وإن كرّر النائب فيهما النيّة، كذلك لم يكن به بأس.

الباب الثاني ـ من يجبان عليه:

يجبان بالنذر، والعهد، واليمين، والاستيجار، والإفساد، والشروع.[1]

وبالإصالة على كلّ حرّ، بالغ، عاقل، مستطيع، وهذا هو الإسلامي.

والاستطاعة: أن يتمكّن منهما بأن يكون مخلى السرب، لا يصدّه عنهما أحد، صحيحاً في بدنه، أو مريضاً لا يتضرّر كثيراً في المسير لهما، متمكّناً من راحلة يحتاج إليها، ولو حماراً أبتر أجدع، وإن كان من مكّة فراحلة يسير عليها، وإن سهل عليه المشي، فإن احتاج إلى محمل لكبر، أو مرض لم يستطع [يستطع] إلاّ بالقدرة عليه.

وعن الزاد لنفسه ذهاباً، وإياباً إن أراد الإياب، ولعياله الذين يجب عليه نفقتهم، أو يحتاج إليهم إن كان له عيال ـ زيادة على ما لابدّ منه من مسكن ، وثوب مهنة ، وخادم ، وكتاب علم ديني ، لابدّ منه في تحصيله أو العمل به ـ.

وإن كان له ممّا ذكر بقدر الحاجة لا أزيد، ولكنّه نفيس يندفع حاجته بأدون منه، فالاعتياض أحوط إذا حصلت به الاستطاعة.

وإن كان له على غيره ما يستطيع به ولا يؤديه إليه الآن، فالاحتياط الاستدانة للحجّ إذا وثق بالأداء، وإن تيسّرت الحواله تعيّنت.

وإن كان له ما يستطيع به، ولكن عليه من الديون المؤجلة مثله، فالأحوط الحجّ.

وكذا إن كان له رأس مال، أو مستقل يفي بالاستطاعة، لكن إن صرفه

---

١ . الشروع ، بمعنى أنّ شروعه كان ندباً، وبدخول مكّة تجب عليه الحجّ. «كشف اللثام١ :١٠».

في الحجّ بقي بلامستقل، أو رأس مال، فالأحوط الحجّ.

ومن لا يستطيع الحجّ، فبذلت له الاستطاعة قَبِلَ، وتوجّه إلى الحجّ بأيّ طريق كان البذل، سواء استصحب، أو أعطى الزاد والراحلة مع نفقة العيال، أو أثمانها بأن يعطى ليحجّ بها.

وإن احتاجت المرأة في خدمتها، أو حفظ نفسها، أو بضعها إلى زوج أو محرم، فإنّما يجب عليها، إذا وجدته مع ما تنفق عليه، إن أبى الإنفاق على نفسه من ماله، أو لم يستطعه.

وإن كان في الطريق عدوّ لا يندفع إلاّ بالقتال، وكان يعلم عادة قدرته عليه من غير أن يلحقه واحداً من أصحابه قتل، أو جرح حجّ، وقاتل.

وإن كان يندفع بالمال دفعه به، وإن كثر جداً.

والأحوط وإن أجحف ما لم ينف الاستطاعة.

الباب الثالث ـ معنيهما [معناهما] وأنواعهما

من أحد المواقيت التي ستذكر إن شاء الله تعالى، أو من أدنى الحلّ. فيأتي المسجد الحرام، فيطوف بالكعبة سبعة أشواط، فيصلّي صلاة الطواف، فيسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، فيقصر أو يحلق للإحلال.

والطواف: أن يطوف بالكعبة سبعة مرّات ـ والشوط والطواف مرّة ـ، كما أنّ المسير مرّة بين الصفا والمروة أيضاً شوط.

والحلق: حلق شعر الرأس.

والتقصير: الأخذ من شعر الرأس واللحية والأظفار، بمقصٍّ أو غيره.

والإحرام: أن يحرم على نفسه ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

والإحلال: أن يحلّ له ما حرّم عليه، ولكن حلّ النساء قد يتوقّف على

الطواف لهنّ، كما سيتّضح إن شاء الله تعالى.

ومعنى الحجّ: إمّا أن يحرم من مكّة أو من أحد المواقيت.

فيأتي عرفات، فيقف بها جزءاً من الزمان من ظهر يوم عرفة إلى المغرب، وإن لم يتيسر فليلة العيد.

ثمّ يأتي المشعر، فيقف به جزءاً ـ ممّا بين الفجر إلى طلوع الشمس من يوم العيد ـ وإن لم يتمكّن فقبله أو بعده.

ثمّ يأتي منى في يومه، فيرمي جمرة العقبة بسبع حصيات على المشهور، من وجوبه.

ثمّ يذبح الهدي، أو ينحره، إن كان متمتّعاً، أو قارناً، بلغ هديه منى.

ثمّ يحلق رأسه، أو يقصر.

ثمّ يأتي مكّة، فيطوف بالبيت سبعة أشواط.

ثمّ يعود إلى منى؛ ليبيت بها ليلتين، أو ثلاثاً.

ويرمي في يوم كلّ ليلة الجمرات الثلاث كلّ منها بسبع حصيات.

ولا يحلّ النساء للحاجّ إلاّ بالطواف لهنّ.

وأنواع الحج ثلاثة: تمتّع، وقِران، وإفراد:

فالتمتّع: أن يحرم بالعمرة أوّلاً، ثمّ يحلّ منها، ثمّ يحرم بالحجّ، ولابدّ من أن يقعا في أشهر الحجّ، وهي شوّال، وذو القعدة، وذو الحجّة، ويجب على المتمتّع الهدي أو بدله، كما سيظهر إن شاء الله تعالى.

والقران والإفراد: أن يحرم بالحجّ أوّلاً، ثمّ يحرم بالعمرة إن وجبت، أو شاء مفردة، والفرق بينهما أنّ القارن يسوق معه الهدي من الميقات إلى منى بخلاف المفرد.

والعمرة نوعان:

عمرة تمتّع هي ما تقدّم على حجّه وارتبط به، فلا تقع إلاّ في أشهره، ولا يخرج من مكّة بعدها إلاّ محرماً بالحجّ.

وعمرة مفردة، لا ارتباط لها بالحجّ، وتقع في أيّ شهر اُريدت، ولابدّ فيها لحلّ النساء من الطواف لهنّ، وإن طاف لحلّهنّ في عمرة التمتّع أيضاً كان أولى.

ويعدل للضرورة في كلّ من أنواع الحجّ إلى الآخر، وإلى العمرة، ومن العمرة إلى الحجّ قبل الشروع وبعده إلاّ القران، فلا يعدل عنه بعد الشروع فيه إلى غيره.

الباب الرابع ـ المواقيت

ميقات العراق، هو «العَقيق»، وهو واد يندفق سيله في غوري تهامه،[1] نحو من بريدين، يجوز الإحرام في أيّ موضع اُريد منه.

والأحوط الإحرام من أوّله حتّى أن «اتقى»،[2] نوى الإحرام منه، وأخّر لبس الثوبين، إلى آخره.

وميقات اليمن «يَلَمْلَم»، وهو واد يعرف الآن بالسعدية، وقيل: إنّه إسم الجبل الذي

---

١ . تهذيب اللغة١: ٥٩ مادة «عقّ».

٢ . المراد منه التقية، كما يظهر من كشف اللثام١ : ٢٠٩.

هناك،[1] فالاحتياط إيقاع نيّة الإحرام مرّة بالوادي، وأُخرى بالجبل.

وميقات المدينة «ذو الحليفة»، والاحتياط الإحرام من مسجد الشجرة، ثمّ الإحرام بالبيداء، وهي أوّل ما تعلو من الوادي.

وميقات الشام ومصر والمغرب «الجُحفة»، إن لم يأتوا المدينة.

والمدني إن لم يتمكّن من الإحرام من ذي الحليفة.

وميقات الطائف «قَرْن المنازل»، وهو جبل مشرف على عرفات، وقيل: إنّه الوادي الذي عنده،[2] وقيل: قرية بالطائف؛[3] فالاحتياط إيقاع الإحرام في كلّ منها مرّة.

ومن لا يمرّ في طريقه بميقات، فليجتهد في إحرامه من إحدى المواقيت المذكورة حتّى أنّه إن لم يتمكّن منه، فليحرم محاذياً له.

ثمّ إذا جاء مكّة لم يطف حتّى يذهب إلى أحد المواقيت، فيحرم منه مرّة أُخرى، فيعود فيتمّ مناسكه.

ومن حجّ طريق البحر، فإن أمكنه الخروج، والإحرام من إحدى المواقيت، فعل؛ وإلاّ أُحرم من المحاذاة مرّة، ومن جدّة أُخرى.

---

١ . السرائر ١ : ٥٢٩ .

٢ . كشف اللثام ١ : ٢١٦ .

٣ . القاموس المحيط ٤ : ٢٥٨ مادة «قرن» .

ثمّ إذا أتى مكّة لم يأتِ بالمناسك حتّى يمضي إلى ميقات، فيحرم منه أُخرى.

وهذه مواقيت عمرة التمتّع وحجّي الإفراد والقران، والعمرة المفردة.

وميقات حجّ التمتّع «مكّة»، ومن كان بمكّه فأراد عمرة مفردة، فميقاته أدنى الحلّ، والأفضل «الجعرانة» أو «الحديبية»، ويجوز له المضي إلى أحد تلك المواقيت والإحرام منه.

الباب الخامس ـ الحرم وأحكامه

الحرم: بريد في بريد، فمن المدينة إلى مكّة ثلاثة أميال، ومن العراق سبعة أميال، وكذا اليمن، ومن جدّة عشرة، ومن الجعرانة تسعة، ومن الطائف أحد عشر، ولا يجوز لأحد أن يدخله إلاّ محرماً، إلاّ من كان أُحرم قبله، فلم يمض من إحرامه شهر.

ويحرم صيد ما فيه من الوحوش، ومن دخله وكان معه شيئاً [شيءٌ] منها أطلقه، ولا يقلع منه شجرة، ولا شيئاً من النبات، إلاّ أن يكون الأصل أو البذر ملكه، ولا يلقط فيه شيئاً، ولا يخرج منه حصاة، ولا شيئاً من ترابه، ولا يؤاخذ جانياً أو مديوناً إذا التجأ إليه حتّى يخرج منه، وإن كان دخله بلا إحرام، فليخرج إلى الميقات أو أدنى الحلّ، فليحرم منه، فإن لم يتمكّن، فليحرم من موضعه.

الباب السادس ـ الإحرام وما يحرم به

الإحرام أن يدخل في حرمة ما يسمعها، أي يحرمها على نفسه، وهو عشرون أمراً:

منها: يحرم قطعاً، ومنها ما الاحتياط تركه.

الأوّل: كلّ حيوان برّي وحشي، فيحرم عليه قتله وجرحه وصيده،

والدلالة عليه بإشارة وغيرها، وكسر قرنه، ونتف ريشه وقطعه، وكسر بيضه وأكله، وأكل لحمه، وشرب لبنه، وإغلاق باب عليه، حتّى السباع والبق والزنابير ـ وإن كان معه شيء من ذلك أطلقه ـ إلاّ أنّ السبع إن صال

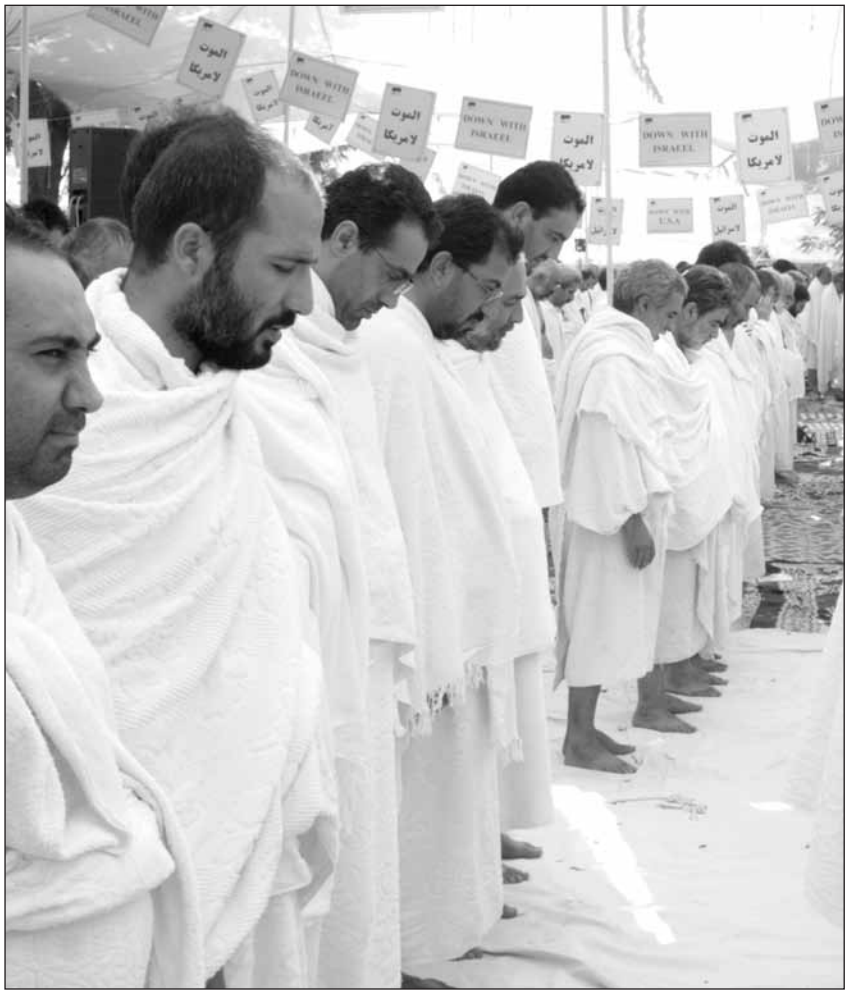

عليه، فإن أمكنه الدفع بلا قتل وجرح، فعل، وإلاّ دفعه بما يندفع به، وإن كان يؤذي بعيره غراب أو حدأ جاز له تنفيرهما.

الثاني: الاستمناء وما يؤدّي إليه.

الثالث: الوطء والنكاح، لنفسه أو لغيره، والشهادة فيه.

الرابع: استعمال الطيب، بأنواعه أكلاً وشرباً، واكتحالاً، واحتقاناً، ومسّاً، وتطييباً للثوب، حتّى أنّ الاحتياط أن لا يضع نَعْلَه عليه.

وعليه إن تلطخ بدنه أو ثوبه به، الإزالة فوراً، وإن مرّ على عطّار ونحوه، فيمسك عن الشمّ، وإن مرّ على ريحة كريهة فلا يمسك عنها، وليجتنب عن استعماله قبل الإحرام بحيث يبقى الريح بعده.

الخامس: الادّهان، وإن ادّهن قبل الإحرام أزاله عنده.

السادس: الاكتحال بالسواد.

السابع: النظر في المرآة.

الثامن: إخراج الدم من البدن ولو بحكٍّ، أو استياك، أو قلع ضرس.

التاسع: قلم الظفر.

العاشر: إزالة الشعر عن البدن.

الحادي عشر: الحلف بالله، خصوصاً الجدال.

الثاني عشر: التلبية في جواب المنادي.

الثالث عشر: قتل القمل والصئبان،[1] والبرغوث، واطّراحها، وقتل القُراد، والحَلَم،[2] ورميها عن البعير ونحوه، لا عن بدنه.

الرابع عشر: لبس المخيط، وإن لم يكن إلاّ إزار واحد خيط عليه.

وللنساء لبس المخيط إلاّ القُفّازين، وهو ثوب للكفّين والأصابع مع الساعد، أو لا معه، وقيل لا يجوز لهنّ من المخيط إلاّ الغلالة،[3] والسراويل.[4]

١ . جمع «الصُؤابة» ، وهي بيض القمل .

٢ . الحَلَم : جمع الحَلَمة : القراد العظيم . «الصحاح ٥ : ١٩٠٣» .

٣ . الغِلالة : شِعار يلبس تحت الثياب . «الصحاح ٥ : ١٧٨٣» .

٤ . المختصر النافع : ١٥٥ .

الخامس عشر: لبس ما يستر ظهر القدم، ويجوز للنساء، وقيل: لا يجوز.

السادس عشر: لبس الخاتم ونحوه للزينة، ولا تلبس المرأة حلياً لا تلبسه عادةً، ولا تظهر ما اعتادت لبسه.

السابع عشر: الخضاب، بما يكون زينة، ولو قبل الإحرام بحيث يبقى أثره بعده.

الثامن عشر: ستر الرجل رأسه، ومنه الأُذنان، قيل: والوجه حتّى باليد،[1] والارتماس، وستر المرأة وجهها بما يُماسّ البشرة.

التاسع عشر: تظليل الرجل على نفسه في مسيره، ولو باليد، والمروحة ولو ليلاً، والسير في ظلّ شجر، أو بعير، أو جدار، وليجتنبه إن مكث في الطريق لحاجة.

العشرون: لبس السلاح.

الباب السابع ـ أفعال العمرة

وهي ثمانية: الإحرام، والتلبيات، والطواف، وصلاته، والسعي بين الصفا والمروة، والتقصير والحلق، وطواف النساء، وصلاته، إلاّ عمرة التمتّع، فليس فيه طواف للنساء، ويتعيّن فيه التقصير.

فإذا أراد الإحرام بها أخذ من شاربه وأظفاره، ونظّف بدنه، وأزال شعره بالنورة أو غيرها، سوى شعر رأسه.

واغتسل للإحرام، غير ناو به وجوباً أو ندباً، فإن لم يمكنه تيمّم بدلاً منه احتياطاً.

فإذا اغتسل لبس ثوبي الإحرام يأتزر بأحدهما أو [و] يرتدي بالآخر،

---

١ . مختلف الشيعة ٤ : ١٧١ .

وليكونا ممّا يصحّ فيه صلاة المحرم، فلا يكونا من حرير محض، وإن كان المحرم امرأة، والأفضل القطن الأبيض.

ولا يَنَمْ [ينام] بعد الغسل قبل الإحرام، ولا يرتكب شيئاً من محظورات الإحرام، فإن نام أو فعل شيئاً منها فليعيد [فليعد] الغسل احتياطاً.

فإذا أراد الإحرام فليصلّ [فليصلِّ] ستّ ركعات، أو أربعاً، أو اثنتين، ينوي بكلّ ركعتين منها إن شاء كذا: «أُريد أن أُصلّي الآن ركعتين للإحرام ندباً قربة إلى الله»، وإن شاء حذف للإحرام، وإن شاء حذف قيد الندب، وإن شاء حذفهما.

ثمّ يصلّي فريضة يوميّة، إن كان في وقتها، فهو الأفضل، والأفضل فريضة الظهر.

ثمّ يوقع الإحرام عقيب الجميع، وإن لم يكن وقت فريضة، اكتفى بما سمعته من نافلة الإحرام.

فإذا أراد الإحرام بعمرة التمتّع، قال بعد الدعاء المأثور: «أللهمّ إنّي أُريد التمتّع بالعمرة إلى الحجّ على كتابك وسنّة نبيّك (عليه السلام)، فإن عرض لي شيء يحبسني، فحلّني حيث حبستني لقدرك الذي قدّرت عليَّ، أللهمّ إن لم تكن حجّة فعمرة أُحرم لك شعري، وبشري، ولحمي، ودمي، وعظامي، ومخّي، وعصبي من النساء، والثياب، والطيب، أبتغي بذلك وجهك الكريم، والدار الآخرة»، متأمّلاً في معاني الألفاظ، محظراً [محضراً] بباله معنى العمرة، والحجّ، والتمتّع، والإحرام، مريداً بقوله: إن لم يكن حجّة فعمرة، أنّه إن لم يتيسّر له الحجّ بعد العمرة اكتفى بالعمرة، وكانت عمرة مفردة، ويقرن آخر الألفاظ بقوله: «لبّيك اللهمّ لبّيك [لبّيك] لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبّيك، بمتعة إلى الحجّ لبّيك».

والأحوط للرجل الجهر، كما أنّ الاحتياط الكامل الإتيان بجميع هذه التلبيات.

ثمّ يقول: «اُريد أن اُحرم الآن بعمرة التمتّع الواجبة الإسلامية لإطاعة أمر الله»، واشترط على الله إن عرض لي ما يمنعني عن الإتمام أحللت، أو عرض لي ما يمنعني عن الحجّ بعدها، كانت عمرة مفردة، متأمّلاً في معاني جميع ذلك.

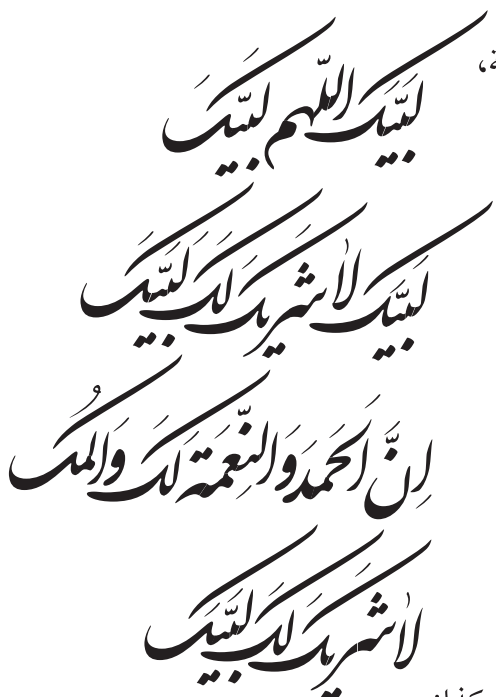

وإن لم تكن واجبة أو إسلامية، نوى ما يريده، ثمّ ينوي التلبيات كذا: «اُريد أن أُلبّي في هذه العمرة لإطاعة أمر الله».

والأولى إن كان يحسن القراءة أن يكتب ما سمعته من التلبيات، وما معها من الألفاظ، وينظر فيها وينوي كذا: «اُريد أن أقول الآن هذه الألفاظ لإطاعة أمر الله»، وإلاّ فليحفظها ولينوى [ولينوِ] كذا: «اُريد الآن أن ألفظ بالتلبيات المعهودة، والألفاظ التي معها لإطاعة أمر الله»، محظراً [محضراً] لها بالبال مجملاً.

وكذا إن كان يتلقاها ممّن يلقنه، وعلى كلٍّ، قرن نيّتها ما سمعته، ثمّ ينوي العمرة مرّة اُخرى في نفسه، من غير قول أو معه كذا: «اُريد أن أُحرم الآن بعمرة التمتّع الواجبة الإسلامية لإطاعة أمر الله»، ويقرن بالنية التلبيات؛ كما

يقرن نيّة الصلاة بتكبيرة الإحرام، وليحظر [وليحضر] بباله عند هذه النيّة الشرط المذكور، فإنّه أولى، وإن لم يكن العمرة واجب (واجباً أو واجبة) أو إسلامية لم ينويهما [ينوهما].

وإن كانت مفردة لم ينوِ التمتّع ولم يقل: «أللهمّ إنّي أُريد التمتّع بالعمرة إلى الحجّ»، ولا قوله: «إن لم يكن حجّة فعمرة»، بل يقتصر على قوله: «أُحرم لك شعري»، إلى آخر ما مرّ.

وإن شاء قدم عليه قوله: «أللهمّ إنّي أُريد العمرة»، إلى قوله: «إن لم يكن حجّة فعمرة».

ويستحبّ تكرير التلبيات خصوصاً عقيب الصلوات، والانتباه من النوم، وفي الأسحار، وإذا علا ربوة، أو هبط وادياً، أو لقي راكباً، وعند الشروع في السير من المنزل إلى أن ينظر إلى بيوت مكّة إن كان متمتّعاً، وإلاّ فإن كان خرج من مكّة للعمرة، فإلى أن يرى المسجد الحرام، وإلاّ فإذا دخل الحرم.

ويستحبّ الغسل لدخول الحرم، ولدخول مكّة، ولدخول المسجد، وللطواف.

ولا يطوفنّ إلاّ مختوناً، مستور العورة، طاهراً من الحدث والخبث.

وليقف عند الشروع في الطواف بحيث يحاذي شيء من مقاديم بدنه أوّل الحجر الأسود صافّاً قدميه متحاذيتين، وقد فرشت الأحجار في أرض المسجد بحيث يحاذي أوّل الحجر الفصل بين الحجرين، فإذا وضع رأس إبهامي رجليه على الفصل، فقد حاذى أوّل الحجر، فليقف كذلك جاعلاً للكعبة على أيسره ولينوِ الطواف كذا: «أُريد أن أطوف الآن حول الكعبة سبع مرّات في هذه العمرة، التي أنا محرم بها لوجوبه إطاعة لأمر الله»، أو

ينوي مكان في هذه العمرة طواف هذه العمرة، أو نوى الطواف الواجب في هذه العمرة، وإن شاء عيّن العمرة، فينوي العمرة الواجبة الإسلامية المتمتّع بها مثلاً.

وإن كانت العمرة مندوبة، جاز نيّة الوجوب بالطواف لوجوبها بالشروع.

وجاز الإطلاق، وليقرن آخر النيّة بالشروع في المشي للطواف، ولا يستقبل الكعبة، ولايستدبرها في الطواف، بل لابدّ من أن يكون الكعبة على يساره في جميع الأشواط السبعة، ولا يمشي في أثنائها على الشاذروان، ولا يمسّ بيده الكعبة، ولا فوق جدار حجر إسماعيل، وهو ما شرخ الطواف، بل يقف إن أراد شيئاً منها، فإذا رفع يده مشى.

وكذا إن أراد استقبال الكعبة، فليطف كذلك حول الكعبة سبع مرّات، حتّى ينتهي في آخر السابع إلى حيث ابتدأ منه.

ولا يزيدنّ في الطواف، ولا ينقص منه خطوة ولا أقلّ، ولا يبعدن في شيء من الأشواط عن الكعبة، إلاّ مقدار ما بينها وبين مقام إبراهيم(عليه السلام).

وإذا حاذى الميزاب، فلا يبعدن في شيء من الأشواط عن جدار الحجر أزيد من مقام رجلين، فهو الاحتياط.

وإن شكّ في عدد الأشواط بعد الانصراف عن الطواف، أو احتمل في السابع أن يكون ثامناً، لم يلتفت إلى شكّه.

وإن شكّ في شوط أنّه السابع، أو السادس، فما دون، قطع الطواف واستأنف.

وإن زاد على سبعة أشواط سهواً، فإن تذكّر في الثامن قبل الوصول إلى ركن الحجر الأسود، قطع الشوط، وصحّ طوافه، وإلاّ استحبّ له إتمام

طوافين يكون الثامن نفلاً.

وإن استأنف أو طاف آخر بعد الطوافين بنيّة الفرض كان أحوط.

وإن قطع الطواف سهواً أو ضرورتاً [ضرورةً] قبل إتمام أربعة أشواط استأنف، وإن كان بعده، بنى وأتى بالباقي متى تيسّر.

وإلاّ وإن كان حاضت وضاق وقت الحجّ، أو عرض له البطن، أو السلس، أو لم يتذكّر إلاّ في بلاده، استناب من يتمّه له.

وكذا إن لم يتمكّن من الطواف رأساً.

وإن مرض، لكن يمكن حمله، أو إركابه والطواف به، ولم يكن به بطن، أو سلس، أو إغماء، طيف به حيث ما يمكن، وإلاّ استناب.

والأحوط عند الاستنابة قبل الحجّ، أن يأتي بما فاته من الطواف بعده بنفسه أيضاً.

والأحوط أن لا يترك استلام الحجر الأسود وركنه، والركن اليماني، خصوصاً في الشوط الأوّل، والسابع، وهو إمساس اليد والوجه وغيرهما.

والتقبيل للتعظيم والتحبّب، فإن لم يتيسّر التقبيل، قبّل يده بعد الإمساس، فإن لم يمكنه، أشار باليد وقبّل اليد، فإن لم يكن له يداً [يدٌ] أشار بالوجه.

واستلام الركنين الآخرين أيضاً مستحبّ، ويحتاط عند الاستلام في الاحتفاظ عن الزيادة والنقصان بالطواف خطوة، أو أقلّ، أو أكثر، ولا يخطو خطوة، ولا أقلّ للطواف، وهو مواجه للكعبة، ولا يمسنّ الكعبة إلاّ بعد السكون، ولا يأخذن في المشي بعد الاستلام للطواف، إلاّ بعد رفع جميع أعضاءه [أعضائه] عن الكعبة ، وانتقاله عن مواجهتها إلى جعلها إلى يسراه.

ويستحبّ في سابع أشواطه أن يواجه الكعبة من خلفها بحذاء بابها، فليلصق بها بطنها [بطنه] وصدرها [وصدره] ويبسط عليها يديها [يديه]،

ويتعلّق بأستارها، ويقرّ لربّه بذنوبه، ويطلب المغفرة وحوائجه الاُخروية والدنيوية.

ويحتاط في أن لا يزل [تزلّ] قدمه فيتقدّم، أو يتأخّر، ولا يأخذ في المشي للطواف، إلاّ بعد ما يرفع أعضائه [أعضاءه] عن مماسة الكعبة، وانتقل عن المواجهة، كما عرفت في الاستلام.

فإذا فرغ من الطواف، أتى خلف مقام إبراهيم(عليه السلام) فصلّى ركعتي الطواف وهو خلفه، ولا يبعدن عنه ما أمكنه، ولا يصلّين عن يمينه أو يساره، وإن لم يمكنه الصلاة بقربه أو خلفه، ووسع الوقت، فليؤخر الصلاة إلى أن يمكنه.

ولينوِ مثلاً كذا: «اُريد أن اُصلّي الآن الصلاة الواجبة للطواف الواجب في عمرة التمتّع الواجبة الإسلامية، التي هي ركعتان أداءً لإطاعة أمر الله».

فإذا فرغ من الصلاة، بادر إلى السعي، ولم يؤخّره إلى غدٍ لغير عذر، فإن أخّره أجزأ، وإن لم يكن لعذر وإن أساء.

ويستحبّ إذا أراد التوجّه إلى السعي أن يغتسل بماء زمزم، ويستلم الحجر الأسود، ويخرج من باب الصفا، فيقف على الصفا بحيث يرى الحجر الأسود من الباب، ويتوجّه إليه، ويلصق عقبيه بالدرجة العليا، وينوي كذا: «أُريد أن أقطع في هذه العمرة عمرة التمتّع الواجبة الإسلامية، وجميع ما بين الصفا والمروة سبع مرّات قطعاً واجباً لإطاعة أمر الله تعالى»، ويقرن النيّة بالحركة، فإذا نزل عن الدرجات، وقف وألصق عقبيه بالصفا، ونوى المسعى مرّة اُخرى نيّة مقرونة بالحركة، فإذا وصل الرجل إلى المنارة هرول إلى المنارة الاُخرى.

ثمّ يمشي إلى المروة، ويحتاط بأن يرتفع على الدكّة إلى هناك، ويلصق

أصابعه بالجدار إن أمكنه، وإلاّ فاليرتفع بحيث إن لم يكن حائل، أبصر الحجر الأسود، فهذا شوط، ثمّ من المروة إلى الصفا شوط آخر، وليهرول الرجل بين المنارتين، وليلصق عقبه [عقبيه] بجدار المروة إذا أراد المضي منها إلى الصفا، فإذا انتهى إلى الدرجة العليا من الصفا، ألصق بآخرها أصابع الرجلين.

وإن نسي الهرولة أو تعمّد تركها لم يعد لها، وإن أراد الاستراحة فليجلس على المروة أو الصفا، ولا يجلس بينهما إلاّ لعذر.

والزيادة على سبعة أشواط عمداً مبطلة لا سهواً.

ويبطل بالابتداء من المروة، وإذا قطع السعي قبل الإتمام ففي رواية أنّه يبني،[1] وفي اُخرى أنّه يبني إن سعى أربعة أشواط، وإلاّ استأنف،[2] وإن سعى قبل الطواف أو بعد شوط أو شوطين أو ثلاثة أشواط أو قبل إتمام الرابع عمداً، أو جهلاً، أو سهواً، أعاد الطواف، ثمّ السعي.

وإن تعمّد السعي، وقد بقي من الطواف ثلاثة أشواط، أو دونها، أتمّ الطواف ثمّ استأنف السعي.

وإن قدّمه سهواً على ثلاثة أشواط، أو ما دونها من الطواف، فالظاهر الصحّة، فإن لم يتذكّر إلاّ بعد إتمام السعي فليتمّ الطواف، وإلاّ أتمّه، ثمّ أتمّ السعي، سواء كان سعى أربعة أشواط أم لا.

وقيل: إن تذكّر ولم يسع أربعة أشواط، أتمّ الطواف واستأنف السعي.[3]

وإن قدّم السعي على صلاة الطواف فالظاهر الصحّة، عمداً، أو سهواً، أو جهلاً.

---

١ . وسائل الشيعة ٩ : ٥٣٥ «باب ١٩ من أبواب السعي ح ١» .

٢ . وسائل الشيعة ٩ : ٤٤٧ «باب ٤١ من أبواب الطواف» .

٣ . كشف اللثام ٦ : ٢٤ ـ ٢٥ .

فإن تذكّر وهو في السعي، فالظاهر التخيير بين قطع السعي، والإتيان بالصلاة، ثمّ إتمام السعي، وبين تأخير الصلاة إلى إتمام السعي.

وإن لم يتذكّر الصلاة إلاّ بعد السعي، أتى بها متى تذكّر.

وإن كان بعد الفراغ من العمرة والحجّ.

فإن لم يتأت له الصلاة بالمقام، صلّى أينما تيسّر، واحتاط بالاستنابة من يصلّي عنه خلف المقام.

وإذا فرغ من السعي، فأخذ من شاربه، وأطراف لحيته، وقلّم من أظفاره، ولا يحلق رأسه.

وينوي التقصير كذا: «أريد لتحليل ما حرّمه الإحرام، أن أُقصر التقصير الواجب في هذه العمرة، التي هي عمرة التمتّع الواجبة الإسلامية، لإطاعة أمر الله»، وليحضر بباله المحرّمات، ومعنى التقصير.

وليقرن النيّة بشيء من القلم، والأخذ من الشعر.

و إن ترك الطواف، أو السعي، أو التقصير عمداً، فأحرم بالحجّ قبل شيء

منها؛ فالظاهر بطلان الحجّ، فإن وسع الوقت، أتى بأفعال العمرة، ثمّ أُحرم بالحجّ، وإن لم يسعه الوقت، انقلبت العمرة مفردة، وبقي الحجّ على ذمّته.

وإن سهى [سها] عن شيء من ذلك حتّى أُحرم بالحجّ، أو حتّى فرغ منه، أتى به متى تذكّر، إلاّ التقصير، فيغني عنه الحلق أو التقصير في [الحجّ]، وإن لم يمكنه الإتيان به استناب.

وإن احتاط عند قضاء الطواف، فقضى السعي معه، لم يكن به بأس.

وإن طاف لتحلّة النساء بعد عمرة التمتّع خروجاً من الخلاف، لم يكن[1] به بأس، فينوي كذا: «أُريد أن أطوف الآن حول الكعبة سبعة أشواط؛ ليحلّ لي ما حرّم في النساء في هذه العمرة لإطاعة أمر الله».

والمرأة تنوي: «ليحلّ لي من الرجال ما حرّم».

والاحتياط إذا فرغ من عمرة التمتّع أن لا يخرج من مكّة إلاّ محرماً بالحجّ، فإن خرج محلاً، فإن عاد ولما يمض من العمرة شهر دخل محلاً.

وإن مضى شهر، فإمّا أن يحرم بالحجّ من الميقات، وينقلب حجّه إلى الإفراد، ويتعيّن عليه ذلك إذا ضاق الوقت، أو يعتمر مرّة أُخرى من الميقات بعمرة التمتّع، وتنقلب عمرته السابقة مفردة.

الباب الثامن ـ أفعال الحجّ

أمّا حجّ التمتّع ، فهو الحجّ المربوط بالعمرة المتقدّمة، فلابدّ من فعلهما في عام واحد، ولا يحلق الرأس بينهما على المشهور.

وواجباته ثلاثة عشر: الإحرام، والتلبيات، والوقوف بعرفات، والوقوف بالمشعر، ورمي جمرة العقبة يوم النحر، والهدي، والحلق أو

١ . كشف اللثام ٥ : ١٩٧ و ٤٨٣ .

التقصير، والطواف، وصلاته، والسعي، وطواف النساء، وصلاته، ورمي الجمار الثلاث يومين أو ثلاثة بعد النحر.

وقيل: لا يجب الهدي على المكّي.[1]

وقيل: لا يجب رمي جمرة العقبة يوم النحر.[2]

وميقاته مكّة إلى أن ينسي فيحرم به حيث يذكر، وكان الجاهل كالناسي.

فإذا فرغ المتمتّع من عمرته، أُحرم بحجّه في عامه متى أراد بشرط أن لا يأخّره [يؤخره] إلى فوات أوقات الأفعال.

والأفضل الإحرام به في مقام إبراهيم عليه السلام أو تحت الميزاب يوم التروية بعد الغسل، ولبس ثوبي الإحرام، وصلاة ركعتين، أو أربع، أو ستّ، ثمّ صلاة فريضة الظهر، ولا يؤخّره عن يوم التروية ما أمكنه.

فإذا أراد الإحرام به قال: «أللهمّ إنّي أُريد الحجّ فيسّر لي، وخَلّني حيث حبستني لقدرك الذي قدّرت عليَّ، أحرم لك شعري، وبشري، ولحمي، ودمي، من النساء والثياب والطيب، أريد بذلك وجهك والدار الآخرة»، ويقرن بهذا القول ما مرّ من التلبيات.

ويحتاط بأن يقول مرّة أُخرى قاصداً إلى معناه: «الآن أحرم بحجّ التمتّع الواجب الإسلامي لإطاعة أمر الله»، واشترط مع الله إن منعني مانع من إتمام أفعاله، أحللت.

ثمّ ينوي كذا: «أريد أن أتلفّظ في هذا الحجّ الذي هو حجّ تمتّع واجب إسلامي بالتلبيات الأربع مع ما أذكر معها من الألفاظ لإطاعة أمر الله»، ويقرن بهذه النيّة التلفّظ بالتلبيات، ثمّ ينوي مرّة أُخرى كذا: « أريد أن أحرم

---

١ . الخلاف ٢ : ٢٧٢ المسألة ٤٢ ؛ كشف اللثام ٦ : ١٢٧.

٢ . كشف اللثام ٦ :١١١.

الآن بحجّ التمتّع الواجب الإسلامي لإطاعة أمر الله تعالى»، ويقرن بهذه النيّة التلبيات.

والأولى أن يحظر [يحضر] بباله في هذه النيّة إن منعه مانع من إتمام الأفعال أُحلّ.

وإذا أحرم بالحجّ، فلا يطوفنّ بالبيت قبل الوقوف بعرفات، وإن طاف جدّد التلبية.

ويستحبّ أن يبيت بمنى ليلة التاسع إلى الفجر، فإذا أصبح توجّه إلى عرفات، ولا يتوجّه [إلى] وادي محسِّر، فإذا زالت الشمس يوم عرفة قطع التلبية، ونوى الوقوف كذا: «في هذا الحجّ الواجب حجّ التمتّع الإسلامي، أقف بعرفات إلى غروب الشمس وقوفاً واجباً لإطاعة أمر الله تعالى»، ويقف إلى زوال الحمرة المشرقية إلى سمت الرأس، وإن لم يتمكّن من الوقوف طول هذا الزمان، كفاه مسمّى الوقوف بين الزوال والغروب، لكنّه إذا أفاض من عرفات قبل الغروب رجع، فإن لم يرجع، وقد كان تعمّد الإفاضة قبل الغروب مع علمه بالحرمة، كفّر بما يأتي.

وإن لم يمكنه الوقوف يوماً، فليقف ليلة النحر، ويكفيه المسمّى.

وحدّ عرفات من الجبل إلى «عُرَنة»، وإلى علايم الحرم، وإلى «ذي المجاز»، والجبل منها، لكن الأفضل الوقوف على الأرض دونه.

فإذا غربت الحمرة المشرقية إلى سمت الرأس، فاض من عرفات إلى المشعر، فبات فيه، وصلّى فيه العشائين [العشاءين].

والتقط فيه حَصَى الجمار، وهي سبعون، وليلتقط أزيد منها إحتياطاً.

ويستحبّ أن يلتقط الكحيلة المنقّطة، التي تكون بقدر الأنملة، وتكون مخلوقة كذلك لا مكسّرة من حجر.

وإن مضى ربع الليل قبل أن يصل المشعر، فليصلِّ [فليصلِّ] العشائين [العشاءين] في الطريق .

وحدّ المشعر من «المأزَمَين» وهما جبلان بينه وبين عرفات إلى «وادي مُحَسِّر».

فإذا طلع فجر يوم النحر نوى الوقوف كذا: «أقف الآن إلى طلوع الشمس في هذا الحجّ الواجب الإسلامي، حجّ التمتّع بهذا المشعر بوجوبه لإطاعة أمر الله»، وإن لم يمكنه الوقوف إلى طلوع الشمس، كفاه المسمّى من الوقوف بين طلوعي الفجر والشمس، وإن لم يمكنه ذلك وقف بعد طلوع الشمس جزءاً من الزمان بينه وبين زوال الشمس.

وهذا اضطراري الوقوف بالمشعر.

وله اضطراري آخر هو الوقوف ليلة النحر جزءاً منهما [منها]، كما أنّه إذا لم يتمكّن من الوقوف بعرفات يوم عرفة، وقف ليلتها في جزء منها، ويسمّى ذلك اضطراري عرفة.

ويحتمل أن يكون الوقوف بالمشعر قبل الفجر اختيارياً، ولا يجوز العدول عمداً اختياراً في شيء من الوقوفين إلى الإضطراري.

ويستحبّ وخصوصاً للضرورة أن يطأ الجبل بالمشعر.

ويبطل الحجّ إن ترك أحد الوقوفين، لا لعذر، أو تركهما جميعاً سهواً.

وإذا بطل، عدل إلى العمرة، ويدرك الحجّ بإدراك أحد الاختياريين مع اضطراري الآخر أو لا معه، ويحتمل الصحّة بإدراك الاضطراريين، أو أحدهما، لكن الأحوط العدول إلى العمرة.

ثمّ يتوجّه إلى منى، ولا يجوز «وادي مُحَسّر» قبل طلوع الشمس، والهرولة في «وادي مُحَسّر» مستحبّة، حتّى أنّه لو نسيها، استحبّ العود إليه للهرولة.

فإذا أتى منى، ابتدأ برمي جمرة العقبة، فيضع حصاة واحدة في يده اليمنى وينوي كذا: «في هذا الحجّ حجّ التمتّع الواجب الإسلامي، أريد أن أرمي هذه الجمرة بسبع حصياة [حصيات] لإطاعة أمر الله تعالى».

والجمرة هي الميل[1] المبني هناك، ولو خرب الميل فموضعه.

ويقارن النيّة برمي الحصاة بالأنامل حتّى يصيب الجمرة، فلو أصابة [أصابت] الأرض، أو غيرها، ثمّ وثبت فأصابة [فأصابت] الجمرة لم يجزي [يجز]، ولابدّ أن تكون الحصياة [الحصيات] حرمية لم يلتقط من مسجد.

ولابدّ أن تكون أبكاراً أي لم يرمها أحد إلى الجمرة، والاحتياط أن تكون طاهرة، والرامي طاهر من الأحداث.

ولابدّ أن يرميها واحدة واحدة، فلو رمى حصاتين فصاعداً دفعةً، فإنّما تحسب واحدة.

ويستحبّ البعد عن الجمرة عند الرمي خمس عشرة ذراعاً إلى عشرة أذرع، واستقبال الجمرة، واستدبار القبلة، والتكبير مع كلّ حصاة، وأن يضع الحصاة على ناظر الإبهام، ويرمها [ويرميها] بظفر السبّابة.

وإن شكّ في الإصابة أعاد، وإن شكّ في العدد بنى على الأقلّ، فأتمّ.

وإذا فرغ من الرمي ووجد الهدي ذبحه أو نحره بمنى.

ويستحبّ أن يباشره بنفسه، وإن لم يقدر فليمسك السكّين أو الرمح بيده استحباباً، وليمسك آخر بيده، ويذبح أو ينحر ولينويا جميعاً، وإن لم يفعل ذلك فليكن حاضراً عند الذبح أو النحر، ولو أخّر الهدي أجزأ ما وقع في ذي الحجّة، ولو قدّمه على الرمي أجزأ أيضاً، وإذا باشر بنفسه فلينو كذا: «أُريد في هذا الحجّ حجّ التمتّع الواجب الإسلامي أن أذبح أو أنحر هذا

١ . المِيلُ : بنيان ذو علو . «مجمع البحرين ٥ : ٤٧٦ مادّة : ميل».

الهدي الآن لوجوبه لإطاعة أمر الله».

وإذا استناب غيره وكّله في الذبح أو النحر، وقبل ذلك الوكالة، فإذا ذبح أو نحر، نوى كذا: «أُريد أن أذبح أو أنحر الآن نيابة عن فلان هذا الهدي؛ لوجوبه عليه في هذا الحجّ الواجب الإسلامي الذي هو حجّ التمتّع وهو محرم به؛ لإطاعة أمر الله»، ولابدّ من مقارنة النيّة بالتسمية، والتسمية بالذبح أو النحر.

والاحتياط أن لا يكون الهدي إلاّ ممّا أتى عرفات (عصر عرفة أو ليلة النحر) ولا يجوز أن يكون الهدي مهزولاً، أي لا يكون على كليتيه شحم، أو مريضاً، أو ناقصاً حتّى لا يكون مكسور داخل القرن، ولا بأس بظاهره، أو أعرج عرجاً لا يتمكّن معه من الرعي مع غيره، فيهزل لذلك، ولو ظنّه سميناً، فتبيّن الهزال بعد الذبح أو النحر أجزأ.

والهدي إن كان من الإبل سمّي بدنة، ويشترط فيها الدخول في السنة السادسة.

وفي البقر والمعز الدخول في الثالثة.

وفي الضأن الدخول في الثانية.

والأحوط في الإبل والبقر أن يكون أُنثى، وفي المعز والضأن أن يكون ذكراً.

والظاهر وجوب قسمة الهدي، فقسم له ولعياله ولا يزد على الثلث، ولينو عند تناوله كذا: «أريد أن آكل الآن من هذا الهدي لإطاعة أمر الله».

وقسم يهديه إلى فقراء المؤمنين، وينوي عند الإرسال ولا ينقص عن الثلث.

وقسم يتصدّق به على فقراء المؤمنين، وينوي عند إقباضه المستحقّ ولا

ينقص عن الثلث.

ولابدّ من وقوع الذبح أو النحر والقسمة في منى، وليتصدّق بإيهابه وجله وقلادته.

ولا يشترك في الهدي الواجب اثنان، وإن وجد قيمة الهدي ولا يجد الهدي إلى انقضاء ذي الحجّة، وجب أن يشتريه في القابل في ذي الحجّة، أو يستنيب من يشتريه، وإن لم يجد القيمة أيضاً، فليصم بدله عشرة أيّام ثلاثة متوالية في ذي الحجّة وهو محرم بحجّه.

والأفضل أن يصوم السابع وتالييه، فإن لم يمكنه السابع فليصم الثامن والتاسع ثمّ الرابع عشر، وإذا لم يمكنه الثامن، فليؤخّر الثلاثة إلى الرابع عشر، ويجزيه ما صام في ذي الحجّة، وإن أثم بالتأخير لا لعذر، ولا يجزيه إن أخّره عنه ، بل يستقرّ الهدي في الذمّة ، ويصوم السبعة الأُخرى إذا رجع إلى أهله متى شاء، وإن لم يرجع إلى أهله، فبعد مضي زمان يصل فيه إلى أهله لو رجع.

وإن تمكّن من الهدي بعد صيام الثلاثة فليهد، وليصم السبعة أيضاً احتياطاً.

وإذا فرغ من الهدي وقسمته، فالرجل يحلق رأسه، ولا يقتصر على التقصير ما أمكنه.

والمرأة تقصر، وإن قدّمه على رمي الجمرة أو ذبح الهدي أجزأ، وإن أساء إن تعمّد.

وإن خرج من منى ولمّا يحلق الرأس، فليرجع إليها للحلق، فإن لم يتمكّن منه حلق، وبعث بشعره إلى منا [منى] ليدفن فيه.

وينوي عند الحلق أو التقصير كذا: «في هذا الحجّ حجّ التمتّع الإسلامي؛ ليحلّ محرّمات الإحرام غير الطيب والنساء، أريد أن أحلق الآن رأسي أو

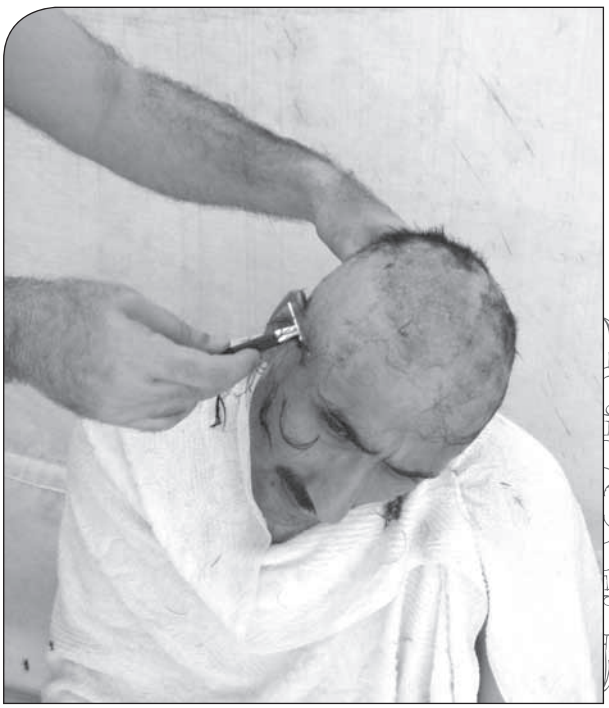

أقصر لإطاعة أمر الله».

ولابدّ من تقديم الحلق أو التقصير على الطواف، فإن أخّر عنه أعاد الطواف بعده، وإن أخّر عن السعي أعاده بعده، وإن تعمّد التأخير عالماً بحرمته، فليكفّر بذبح شاة بمنى، والتصدّق بلحمها على الفقراء الصلحاء من المؤمنين.

وإذا حلق أو قصر حلّت له المحرّمات إلاّ الطيب والنساء، فإذا طاف وسعى للحجّ حلّ له الطيب، فإذا طاف للنساء حللن له، لكن يكره له المخيط قبل طواف الحجّ، والطيب قبل طواف النساء.

وإذا فرغ من الحلق أو التقصير، مضى إلى مكّة يومه ذلك إن أمكنه للطواف والسعي، وإلاّ فمن غد ولا يؤخّره عنه، وإن أجزأ طول ذي الحجّة، وإن أثم بالتأخير لا لعذر.

ويستحبّ إذا توجّه إلى مكّة أن يأخذ من شاربه ويقلم أظفاره، ويغتسل لدخول مكّة، ثمّ لدخول المسجد، ثمّ للطواف.

وأن يطوف بالبيت كما مرّ، وينوي كذا: «أريد أن أطوف الآن في هذا الحجّ حجّ التمتّع الواجب الإسلامي حول الكعبة سبعة أشواط؛ لوجوبه إطاعة لأمر الله»، ويقرن النيّة بالحركة.

فإذا فرغ من الطواف، صلّى خلف المقام ركعتين، وينويها كذا: «أريد أن أُصلّي الآن ركعتين، صلاة الطواف الواجب طواف حجّ التمتّع الواجب الإسلامي لوجوبهما إطاعةً لأمر الله».

فإذا فرغ منها سعى بين الصفا والمروة كما مرّ.

وينوي كذا: «أريد في هذا الحجّ الذي هو حجّ التمتّع الواجب الإسلامي أن أقطع الآن المسافة بين الصفا والمروة سبعة [سبع] مرّات؛ لوجوبه إطاعةً لأمر الله»، ويقرن النيّة بالحركة كما مرّ.

ثمّ يطوف طواف النساء وينوي كذا: «ليحلّ لي من النساء ما حرّم منهنّ في هذا الحجّ حجّ التمتّع الواجب الإسلامي، أريد أن أطوف الآن حول الكعبة سبعة أشواط؛ لوجوبه إطاعة لأمر الله».

ثمّ يصلّي ركعتي الطواف خلف المقام وينوي كذا: «أريد أن أصلّي الآن ركعتين، صلاة طواف النساء؛ لوجوبهما إطاعة لأمر الله».

ويجوز تقديم طواف الحجّ وسعيه على الوقوفين للضرورة، ويبطل الحجّ بترك أحدهما عمداً، ولو نسيهما أو أحدهما، فليأت بهما إذا ذكر، فإن تعذّر استناب.

وقيل: ببطلان الحجّ، إذا نسي الطواف حتّى انقضى ذي [ذو] الحجّة،[1]

١ . المعتمد في شرح المناسك ٥ : ٢٢ ؛ كشف اللثام ٥ : ٤٧٥.

وإن نسي طواف النساء، أتى به متى ذكر إن أمكنه وإلاّ استناب،[1] وإذا نسي صلاة الطواف وحدها، أتى المقام فصلاها متى ذكر، وإن تعذّر إتيان المقام، أتى بالصلاة أينما ذكر، واستناب من يأتي بها خلف المقام أيضاً احتياطاً.

وإذا فرغ من الأفعال بمكّة مضى إلى منى، وليأتها قبل غروب الشمس، وليبيت [وليبت] بها ليلة الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، إلاّ أن يكون صرورة، فيجوز له أن لا يبيت بها ليلة الثالث عشر، إلاّ أن يكون أتى بشيء من المحرّمات في عمرته أو حجّه.

وإن بات بغير منى في ليلة من هذه الليالي، كفّر بشاة يذبحها بمنى، ويتصدّق بلحمها على الفقراء الصلحاء من المؤمنين، إلاّ ليلة الثالث عشر إذا لم تجب [يجب] عليه المبيت فيه [فيها].

والظاهر أنّ له الخروج من منى بعد انتصاف الليل، والأحوط أن لا يدخل مكّة قبل الفجر، إن خرج من منى بعد الانتصاف.

والمشهور أنّه يجوز له الاشتغال في ليلة من هذه الليالي بمكّة بالطواف والسعي للحجّ.

والأحوط أن يمضي إلى منى، إذا فرغ منهما حتّى يصبح بمنى، ويكفّر بالشاة، ولا يشتغلن بمكّة في تلك الليلة بغير ذلك، إلاّ بما لابدّ منه من أكل ونحوه ونوم يغلبه، وينوي أوّل كلّ ليلة مبيتها بمنى كذا: «أبيت الليلة هنا واجباً لحجّ التمتّع الواجب الإسلامي لإطاعة أمر الله».

ويرمي بعد الزوال في اليوم الثاني عشر، وفي اليوم الثالث عشر «الجمرة الأُولى، ثمّ الوسطى، ثمّ جمرة العقبة» بسبع حصياة [حصيات] كما رمى يوم النحر «الأخيرة» إلاّ أنّه يستقبل القبلة في رمي الأوّليتين [الأوليين]،

١ . كشف اللثام ٥ : ٤٧٩.

وكذا رميها اليوم الثالث إن بات بمنى ليلته، وإن كان ما يمنعه من الرمي في اليوم الثالث، فليرم في الليل السابق عليه أو اللاحق، إلاّ الثالث عشر، فالاحتياط الرمي في السابق عليه، وإن ترك الرمي يوماً، قضاه في الغد قبل الأداء.

ويستحبّ قبل الزوال، وإن مضت الثلاثة الأيّام ولم يرم في شيء منها أو في بعضها، قضى الرمي في القابل في هذه الأيّام إن أمكنه، وإلاّ استناب فيه.

وإن خالف الترتيب، أعاد الرمي على وجه يحصل الترتيب، وإن كان رمي «الاُولى» بأربع ثم رمى «الوسطى» اقتصر على إتمام «الاُولى» فقد حصل الترتيب، فإن تذكر في رمي «الوسطى» أنّه لم يتمّ رمي «الاُولى» وإنّما رماه [رماها] أربعاً، أو ما زاد، عاد فأتمّ «الاُولى» ثمّ أتمّ «الوسطى» سواء تذكر بعد رمي «الوسطى» بأربع، أو قبله، وإن رمى «الاُولى» بثلاث أو أقلّ ثم «الوسطى» بسبع أو أقلّ، أتمّ «الاُولى» واحتاط برميها مرّة اُخرى بسبع، ثمّ استأنف «الوسطى».

ولو نسي حصاة ولا يعلم أنّها من أيّ جمرة، رمى كلاً منها بحصاة، وإن لم يتذكر النقصان إلاّ بعد الثالث عشر، قضى في القابل بنفسه أو استناب فيه.

ويستحبّ استقبال القبلة عند رمي «الاُولى» و «الوسطى» والوقوف بعده، والدعاء، واستدبار القبلة عند رمي «جمرة العقبة» ولا يقف عنده.[1]

وينوي رمي كلّ كذا في الحجّ التمتّع الواجب الإسلامي: «أريد أن أرمي هذه الجمرة بسبع حصياة [حصيات] لإطاعة أمر الله».

ويستحبّ التكبير مع كلّ حصاة، ويستحبّ أن يكون بمنى في هذه الأيّام الثلاثة، والصلاة في مسجد الخيف عند المنارة، التي في وسطه إلى

١ . كشف اللثام ٦ : ٢٥٩ .

ثلاثين ذراعاً من كلّ جانب.

ويستحبّ إن لم يرد الجوار بمكّة العود إليها لطواف الوداع، ودخول الكعبة، وصلاة ركعتين في كلّ زاوية، وعلى بلاطة الحمراء بين الأُسطوانتين، والدعاء.

وأمّا حجّ الإفراد

فهو كحجّ التمتّع إلاّ أنّه غير مرتبط بعمرة، ولا عمرة قبله، ولا يجب فيه هدي.

وميقاته أحد مواقيت عمرة التمتّع، إن كان منزل الحاج أبعد منه إلى مكّة، أو كان منزله، وإن كان أقرب فهو ميقاته، وإن كان مكّة فميقاته مكّة.

والأحوط أن يحرم من «الجعرانة» وهو بين مكّة والطائف، بينه وبين مكّة ثمانية عشر ميلاً، وفي سائر الأفعال والآداب كحجّ التمتّع، إلاّ أنّه ينوي الحجّ مفرداً، ويقول في الدعاء: «أللهمّ إنّي أُريد الحجّ مفرداً».

وأمّا حجّ القران

فكالإفراد، إلاّ أنّ القارن يسوق الهدي معه من الميقات، ويذبحه أو ينحره بمنى، ويقسمه ثلاثة أقسام كهدي التمتّع.

ويستحبّ أن يقلّده نعلاً صلّى فيها، وإن كان «بدنة» أشعرها بجرح أيمن سنامها وصبغها بدمها.

والاحتياط أن يقرن نيّة [نيّته] بالتلبيات المتقدّمة ويقطعها ظهر عرفة، ونيّته كما تقدّم إلاّ أنّه ينوي الحجّ قارناً، ويقول في الدعاء: «أللهمّ إنّي أريد الحجّ قارناً»، وإن تلف الهدي لم يجب بدله، وإن طرأه ما يمنعه من إتيان منى، فليذبحه أو ينحره هناك، ويصرفه هناك في مصارفه الثلاثة إن أمكن،

وإلاّ فليعلمه بعلامة تدلّ على كونه هدياً.

واعلم أنّ حجّة الإسلام لأهل مكّة، ومن قرب منها إلى أربعة فراسخ أحد هذين الحجّين، كما لغيرهم حجّ التمتّع، وعليهم الإتيان بعمرة مفردة بعد أيّام التشريق إن استطاعوا لها من أحد المواقيت السابقة، أو من أدنى الحلّ.

والأولى من «الجعرانة» أو «الحديبية» أو «التنعيم» ومتى ما اعتمروا أجزأهم، وإن وجبت المبادرة.

ومن كان فرضه التمتّع فلم يمكنه، عدل إلى الإفراد أو القران، وإن كان شرع في عمرته، عدل إلى حجّ الإفراد.

ومن كان فرضه أحد الآخرين، فعلم أنّه لا يمكنه العمرة بعد الحجّ تمتّع، وإن كان شرع في الحجّ المفرد، عدل إلى عمرة التمتّع، وإن كان شرع في القران، لم يجز له العدول إلى العمرة.

الباب التاسع ـ في الحصر والصدّ

فالحصر: أن يعرضه مرض يمنعه من أفعال الحجّ أو العمرة.

والصدّ: أن يمنعه منها عدوّ أو غيره.

فالمحصور يبعث هدياً إلى منى، إن أُحصر في الحجّ؛ ليذبح بها يوم النحر، إلاّ أن يعلم أنّه لا يصل إلاّ بعده، وإلى مكّة إن أُحصر في العمرة، ويواعد يوم الذبح، أو النحر فيحلّ ـ حين يقدّر أنّ هديه ذبح، أو نحر ـ من المحرّمات إلاّ النساء، فإنّما يحللن له بطوافهنّ بنفسه، أو بنائبه، إلاّ أنّه كان الحصر في عمرة واجبة عليه، أو حجّ واجب لم يحللن له حتّى يأتي بما عليه، فيطوف لهنّ إلاّ أن يعجز عنه، فيكفي طواف النائب عنه طواف النساء.

فإن صحّ وزال الحصر قبل التحلّل، مضى حتّى يأتي بالمناسك، وإن تحلّل، ثمّ ظهر أنّ الهدي لم يذبح، فليجتنب المحرّمات احتياطاً حتّى يذبح، وينوي الذي يذبحه كذا: «أريد أن أذبح الآن هذا الهدي نيابةً عن فلان؛ ليحلّ من إحرامه بعمرته أو بحجّه لإطاعة أمر الله».

وأمّا المصدود، فيذبح أو ينحر هدياً في موضع الصدّ، وينوي كذا: «أريد أن أذبح أو أنحر الآن هذا الهدي؛ لأُحلّ من إحرامي بالعمرة أو بالحجّ، أو ليحلّ لي ما حرّم عليَّ لإحرامي بالعمرة أو بالحجّ لإطاعة أمر الله»، فإذا فرغ من ذبحه أو نحره قصّر، أو حلق، وأحلّ من جميع ما حرّم عليه.

والاحتياط إن كان الصدّ عن الحجّ أن يذبح الهدي يوم النحر، وإن لم يمكنه الوقوف هناك، فليرجع فأين ما أدركه يوم النحر ذبحه أو نحره.

وأن يبعث هديه إلى منى إن صدّ عن الحجّ، أو إلى مكّة إن صدّ عن العمرة، وليذبح الجزور كان أحوط إن أمكنه، وإن صدّ الحاجّ عن الموقفين دون مكّة، فليعدل إلى العمرة، وإن صدّ المعتمر عن مكّة دون الموقفين، عدل إلى الحجّ.

الباب العاشر ـ الكفّارات

أمّا الصيد، فكفّارة قتل النعامة ناقة دخلت في السنة السادسة.

فإن تعذّر أطعم ستّين مسكيناً من صلحاء المؤمنين كلاً منهم مدّين من البرّ ـ وهما مائتا مثقال وخمسة مثاقيل ـ وإن لم يجد البرّ ووجد القيمة تربّص المكنة، وإن أراد الرجوع إلى بلاده، استودع القيمة من يشتري البرّ ويطعم عنه.

وإن تعذّر الإطعام رأساً صام ستّين يوماً، فإن تعذّر صام احتياطاً ما قدر عليه.

وكفّارة الحمار الوحشي، والبقر الوحشي بقرة، فإن تعذّرت أطعم ثلاثين مسكيناً من صلحاء المؤمنين كلاً منهم مدين من برّ.

فإن تعذّر صام ثلاثين يوماً، وإن تعذّر صام احتياطاً ما قدر عليه.

وكفّارة الظَّبْي، والثَعْلب، والارْنَب، شاة.

فإن تعذّر أطعم عشرة مساكين من صلحاء المؤمنين مدّين من البرّ.

فإن عجز صام ثلاثة أيّام.

وكفّارة القُنْفُذ، والضبّ، واليَربوع، وأشباهها جَدْي له أربعة أشهر فصاعداً، والأحوط أن يكون له سبعة أشهر وقيل: حمل، والأحوط فيه أن يكون له ستّة أشهر.

وكفّارة الحِجِل، والدُّرّاج، ونحوهما حمل، والاحتياط أن يكون ذكر له ستّة أشهر.

وكفّارة الحمام شاة على المحرم في الحلّ، ودرهم على المحلّ في الحرم، ويجتمعان على المحرم في الحرم، والاحتياط إن زادت قيمته على الدرهم القيمة عليهما.

وكفّارة فَرْخه حمل على المحرم في الحلّ، ونصف درهم أو القيمة على المحلّ في الحرم، ويجتمعان على المحرم في الحرم.

وكذلك كلّما له فداء معيّن في السنّة، فهو على المحرم في الحلّ وعلى المحلّ في الحرم قيمته، ويجتمعان على المحرم في الحرم، إلاّ ما فدائه [فداؤه] بدنة، فلا زيادة عليها في المشهور،[1] والأحوط فيه الاجتماع على المحرم في الحرم.

وكفّارة بيض النّعامة إن تحرّك فيه الفرخ، إن كسر البيض وقتل الفَرْخ «بدنة»، والاحتياط عن كلّ ناقة حامل، أو من شانها الحمل، وإن لم يتحرّك

١ . النهاية للطوسي ١ : ٤٨٥ ؛ الوسيلة : ١٦٥ ؛ كشف اللثام ٦ : ٤٢٤.

الفَرخ، أرسل على نوق بعدد البيض فحلاً أو فحولة، فما نتج هَدي للكعبة، ولا شيء عليه إن لم ينتج شيء منها، أو بعضها.

فإن تعذّر الإرسال، كفّر عن كلّ بيضة بشاة.

فإن تعذّر، أُطعم عن كلّ بيضة عشرة مساكين كلاً منهم مدّاً، وقيل: مدّين، فإن عجز، صام عن كلّ منها ثلاثة أيّام.

وكفّارة أكل بيض النعام شاة.

وكفّارة كسر بيض القَبج، والدُرّاج، ونحوهما إن تحرّك الفرخ، ففي كلّ حمل.

وقيل: شاة، من شانها الحمل.[1]

وإن لم يتحرّك الفرخ، أرسل الفحل من الغنم على الإناث بعدد البيض، فالناتج هدي للكعبة، وإن لم ينتج فلا شيء.

وإن عجز أُطعم عشرة مساكين من صلحاء المؤمنين.

فإن عجز صام ثلاثة أيّام.

والاحتياط أن يفدي عن كلّ بيضة بشاة إن تمكّن.

وكفّارة بيض الحَمام بعد تحرّك الفرخ على المحرم في الحلّ حمل، وعلى المحلّ في الحرم نصف درهم، ويجتمعان على المحرم في الحرم.

وكفّارة العُصفور، والقُنْبُرة، والصَّعْوَة، وأشباهها من البرّ.

وقيل: في كلّ ما عدا النعام شاة، وبه خبر صحيح،[2] وقيل: القيمة.[3]

وكفّارة قَمْلَة تقتلها أو يلقيها، كفّ من البرّ.

---

١ . السرائر١ : ٥٦٥ ؛ كشف اللثام ٦ : ٣٥٤.

٢ . وسائل الشيعة ٩ : ١٩٣ «باب ٩ من أبواب كفّارات الصيد ح٥».

٣ . المبسوط ١ : ٣٤٤.

وكفّارة كلّ جَرادة، كفّ من البرّ أو تمرة، وفي الكثير فشاة، وإن امتلأت الطريق حتّى لا يمكن السلوك إلاّ بوطئها فلا شيء.

وكفّارة البطّ، والوز، والكركي، شاة، وقيل: القيمة.[1]

وكذا كلّ ما لم يقدر له في الشرع فدية، فكفّارته قيمته، يحكم بها ذوا عدل.

وعلى المحرم في الحرم قيمتان، وإن قتل صيداً من صيد البرّ ثمّ أكل لحمه فعليه كفّارتان، وإن قتل جماعة صيداً من صيد البرّ فعلى كلّ كفّارة.

وإن ضرب المحرم في الحرم بطائر وحشي على الأرض فقتله، كان عليه فداء وقيمتان.

وإن أخذ المحرم في الحرم ظَبْية فحلبها، وشرب لبنها كان عليه شاة، وقيمة اللبن.

وكفّارة كسر أحد قرني الغَزال ربع القيمة، وفي كسر القرنين نصفها، وكذا النصف في إحدى اليدين أو الرجلين أو العينين.

وكفّارة ما ينقص من القيمة الأرش، أو بتلك النسبة من الكفّارة.

وكفّارة نتف ريشةً من الحمام، التصدّق باليد الجانية بشيء، وإن نتف الحمام أو غيره بحيث صلبها [سلبها] القدرة على الطيران، أمسكه حتّى يستقلّ بالطيران.

وكفّارة من أغلق باباً على حمام وفرخ وبيض حتّى هلكت أو جهل الحال عن كلّ حمامة شاة، وعن كلّ فرخ حمل، وعن كلّ بيضة درهم، وكذا يضمن الفداء لكلّ صيد من صيد البرّ إذا أغلق عليه الباب كذلك، أو دلّ عليه من صاده أو أغرى به كلباً.

وروي إنّما كفّارته بدنة، إن عجز عنها، أطعم ستّين مسكيناً من صلحاء

---

١ . مختلف الشيعة ٤ : ١٠٣ ؛ كشف اللثام ٦ : ٣٦٦.

المؤمنين، فإن عجز، صام ثمانية عشر يوماً.[1]

وما كفّارته بقرة، إن عجز عنها، أطعم ثلاثين مسكيناً، فإن عجز، صام تسعة أيّام.

وكلّ ما فيه شاة، إن عجز عنها، أطعم عشرة مساكين، فإن عجز، صام ثلاثة أيّام.

وقيل: جميع ما ذكر من الكفّارات، إنّما هي على الساهي، وعلى العامد كفّارتان.

وكفّارة كلّ من لبس المخيط، وتغطية الرأس والقدم للرجل، وتغطية الوجه للمرأة، وتظليل الرجل على نفسه في المسير من منزل إلى آخر، والطيب، شاة.

وكفّارة كلّ ظُفْر يقلم مُدّ من برّ، وفي أظفار اليدين جميعاً شاة، وكذا أظفار الرجلين جميعاً، وإن قلمها في مجلس، كفت شاة واحدة إن لم يتخلل التكفير.

وكفّارة إزالة شعر الإبطين شاة، وفي شعر أحدهما، إطعام ثلاثة من صلحاء المؤمنين من المساكين كلّ منهم مدّاً من برّ، والأحوط شاة.

وفي شعر الرأس اختياراً شاة، واضطراراً مخيّر بين شاة، وصوم ثلاثة أيّام، وإطعام ستّة من صلحاء مساكين المؤمنين، كلّ منهم مدّين من برّ.

وفي شعر العانة وغيره شاة احتياطاً، وإن سقط شعرة من الرأس والبدن بالمس لغير الوضوء أو الغسل أو التطهير، فكفّ من برّ، وقيل: شاة.[2]

وكفّارة اليمين الصادقة ثلاث شاة [شياه]، والكاذبة ثلاث بدنة [بدن]

---

١ . مختلف الشيعة ٤ :١٠٣ ، كشف اللثام ٦ : ٣٦٦ .

٢ . المقنعة : ٤٣٥ .

ومرّتين [ومرتان] بقرة ومرّة شاة.

وكفّارة الإفاضة من عرفات قبل الغروب عمداً، مع العلم بالحرمة، وعدم العود إليها قبل الغروب، بدنة ينحرها يوم النحر، فإن عجز صام ثمانية عشر يوماً.

وكفّارة تأخير الحلق أو التقصير عن طواف الحجّ عمداً مع العلم بوجوب التقديم، شاة.

وكفّارة ترك المبيت بمنى ليلة من ليالي التشريق، شاة.

وكفّارة الحلق بين عمرة التمتّع وحجّه، شاة على قول.[1]

وكفّارة إدماء عضو، شاة على قول،[2] وكذا قلع سن.

فصل

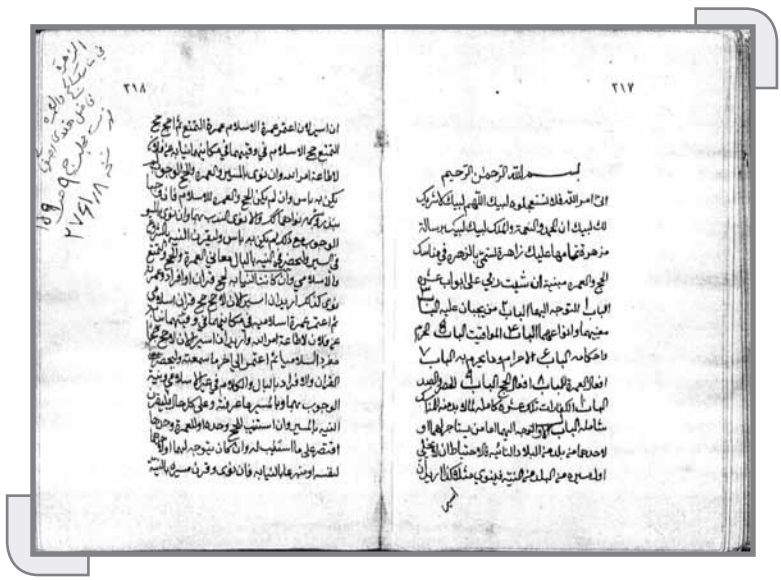

الصفحتان الأوليان لكتاب: «الزهرة في مناسك الحج والعمرة»

١ . كشف اللثام ٦ : ٢٩٧ .

٢ . الدروس ١ : ٣٨٦ «درس ١٠١» ؛ كشف اللثام ٦ : ٤٨٤.

كفّارات الجماع وما يناسبه

إن جامع الحاج قبل الوقوف بالمشعر عامداً عالماً بالتحريم، كان عليه بدنة ينحرها، ويتصدّق بلحمها على الصلحاء من مساكين المؤمنين، وإتمام حجّه، وقضاؤه؛ وقضاؤه في القابل.

وعلى الموطوءة مثل ذلك إن طاوعته، وعليهما الافتراق في القضاء وفي الأداء من موقع المواقعة إلى الإحلال بوجود ثالث معهما محتشم، وإن أكرهها لزمه بدنتان.

وإن جامع بعد الوقوفين عمداً عالماً قبل طواف الحجّ، أو طواف النساء ـ وإن طاف من طواف ستّة أشواط ـ فإن كان قبل طواف الحجّ، وعجز عن البدنة، فبقرة، فإن عجز فشاة، ولا شيء على الجاهل والناسي.

وإن جامع في العمرة المفردة قبل طواف النساء عامداً عالماً فعليه بدنة، وإن كان قبل السعي، كانت عليه عمرة أُخرى في شهر آخر.

وإن جامع في عمرة التمتّع قبل التقصير، فعليه بدنة، وإن كان قبل السعي احتمل فساد عمرته، فإن وسع الوقت اعتمر أُخرى للتمتّع.

وإن استمنى المحرم بغير الجماع، أو قبّل بشهوة، فبدنة، وإن كان الاستمناء قبل المشعر، احتمل وجوب قضاء الحجّ.

وإن قبّل زوجته، أو أمته بغير شهوة فشاة، وكذا إن مسّها بشهوة.

وإن مسّها أو نظر إليها، لا بشهوة، فلا شيء، وإن أمنى.

وإن نظر إلى أجنبية فأمنى، فبدنة، فإن عجز فبقرة، فإن عجز فشاة.

وإن لم يكن النظر بشهوة.

وإن عقد محرمٌ النكاحَ لمحرمٍ، فدخل بها الزوج، كان على كلّ من الزوج

[والعاقد] كفّارة.

والحمد لله على العقد، وإنجاز الوعد، واتّفق ليلة سادس عشر رجب لسنة ألف ومئة وخمسة عشر.

وكتب مؤلّفها محمّد بن الحسن الأصبهاني أحلّهما بحابيح الجنان، وأحلّ لهما فيها قطوفها الدواني.

هذا آخر كلامه أعلى الله في الدارين مقامه.

وكتب محبّه الصفي، ومخلصه الوفي، العبد المذنب الجاني، محمّد بن بدوي الجزائري العسكري، عفي عنهما.

الصفحتان الأخيرتان لكتاب: «الزهرة في مناسك الحج والعمرة»

تحويل المقام من موضعه الفعلي وتأثيره في حكم الطواف وصلاته

سماحة العلامة الشيخ محمد القايني

من المسائل التي تطرح بين آونة و أخرى هي حكم نقل مقام إبراهيم على نبينا وآله وعليه السلام من موضعه الفعلي الذي هو قبالة باب البيت بفاصل إلى موضع آخر، تخليصاً لما حول البيت للطائفين، و دفعاً لزحمة المقام و المصلين عنده عنهم، و السؤال المطروح هو أمران:

أحدهما: إنه هل يجوز نقل المقام من موضعه الفعلي بالغضّ عمّا ينبغي أن ينقل إليه من المواضع؟

وثانيهما: إنه لو جاز نقله من هذا الموضع فإلى أيّ موضع يجوز نقله، وإلى أيّ مكان يسوغ تحويله؟

وهاتان المسئلتان تتعلقان بشأن المقام نفسه؛ من حيث تحويله من محلّه الفعلي، و الموضع الّذي يحّول إليه.

وهناك مسئلتان أخريان ترتبطان بالمقام، على أساس فقه الإمامية، خصوصاً وهما وظيفة الطائف بالبيت، وذلك على أساس أنّ المطاف محدود عند جماعة من الإمامية بما بين البيت والمقام، فماذا تكون الوظيفة لو حوّل المقام من محلّه الفعلي؟

هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى: وظيفة المصلي لطواف الفريضة، حيث إنّ المعروف بين الإمامية إشتراط كون الصلاة هذه مجاورة للمقام وخلفها، فهل العبرة في محل الصلاة بشخص المقام حيثما كان، أو أنّ المعيار الموضع الفعلي، سواء كان فيه المقام موضوعاً حال الصلاة أو منقولاً إلى موضع آخر؟

فكانت المسائل المتعلقة والمرتبطة بمقام إبراهيم عليه السلام أربع ونحن وإن بحثنا عن هذه المسائل سلفاً، إلاّ أنّه طلب منّي التعقيب على تلك المباحث، و لما كان قد خطر ببالي بعض الاستدراكات، كما لاح عندي بعض ما يكمل المباحث تلك، عزمت على إعادة البحث بصياغة جديدة فشمّرت عن الساعد بعد التوكل على الله، والتعلّق والتوسل بذيل أوليائه، لا أبتغي إلاّ رضاه في اتّضاح الحق، و ما ينبغي العمل به، وما توفيقي إلاّ بالله وإليه أنيب.

المسئلة الأولى:

في حكم نقل مقام إبراهيم عليه السلام من موضعه الفعلي، من حيث الجواز

والمنع بل الوجوب.

والمنشأ للسؤال هو وقوع التزاحم بين الطائفين، وبين المزدحمين على المقام للزيارة، أو المشاهدة، أو عنده للصلاة، سيّما صلاة الطواف الواجب و الفرض، حيث إنّ المشهور بين فقهاء الإمامية وجوب كون صلاة طواف الفريضة خلف مقام إبراهيم عليه السلام، ويكون في نقل المقام دفعاً لزحمة المقام عن الطائفين، و تيسيراً لحركة الطائفين حول البيت، فإذا جاز نقل المقام، كان في فعله خدمة للحجاج و المعتمرين، وتسهيلاً عليهم في نسك الطواف.

ثمّ الكلام في حكم المسئلة تارة من حيث اقتضاء الأدلّة الاجتهاديّة؛ وأخرى من حيث الأصول العملية، حيث قصرت الأولى.

وقبل الورود في صلب الموضوع، ينبغي الإشارة إلى مسألة هامّة ترتبط بنتيجة البحث، ولها صلة قريبة، بل دخل في استنتاج الحكم، ألا وهي بيان شأن الموضع الفعلي للمقام وتاريخه، فقد أشبعنا الكلام فيما يتعلّق بذلك في بعض رسائلنا، وفصّلنا القول فيه بما أظنّ أن لا مزيد عليه، و لا أريد التكرار والإعادة، وإنّما أشير إلى النتيجة والبحث بطور الإجمال، وأبيّن ما انتهينا إليه ملخّصاً، لما لذلك من الارتباط الوثيق بما هو محلّ البحث، والتأثير المباشر في حكمه.

فقد نقلنا النصوص المتعددة الصحيحة و المشهورة الدالة بوضوح على أنّ الموضع الذي وضع رسول الله صلى الله عليه وآله المقام فيه ليس هو موضعه الفعلي، بل إنّ الموضع الفعلي هو موضع المقام في الجاهلية، و إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حوّل المقام إلى لصق البيت وجنبه، فكان المسلمون يطوفون بالبيت وبالمقام، فاستمر الوضع إلى نهاية حياة النبي صلى الله عليه وآله وبعده إلى زمان تولّي عمر الخلافة، ثم إنّ عمر حوّل المقام إلى موضعه

الفعـلي، رعاية لحال الطائفين، ودفعاً للزحمة عنهم.

وقـد ذكـر هـذا عـدة مـن علـماء الفريقين قدمائهم والمتأخرين ولسـنا بـصرد إعـادة تلكـم المباحـث ولا تكرارها، بل نحيل من شاء الوقوف عـلى تفصيل الكلام إلى ما حرّرناه في هذا المجال.

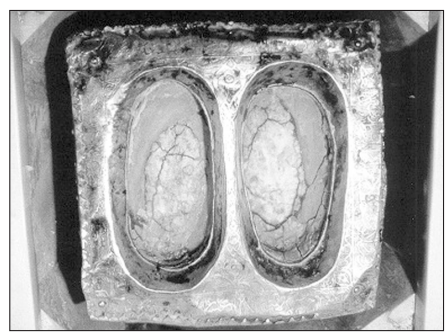

ولكـن الغـرض من الإشـارة إلى نتيجـة ذاك البحـث هـو أنّـه لايبقى شـك بعد ذلـك في عـدم خصوصيّة للموضـع الفعـلي لمقـام إبراهيم عليه السلام بعد مـا لم يكن فعل النبي صلى الله عليه وآله بل كان فعلاً لغيره اجتهـاداً ورعاية لمصحلة الطائفـين، فـإذا فـرض اقتضـاء الصـلاح تغيير ذلـك لم يكن هناك ما يوجب تعيّن وضعه القائم فعلاً.

هـذا، والأصـل أيضـاً يقتـضي الجواز لو فرض شـك في الحكم ولا شك بعد الّذي تقدّم.

المسئلة الثانية:

فيـما يجـوز نقـل المقـام إليـه مـن المسجدالحرام أو يتعيّن.

هنـاك نصـوص وردت صحيحة و متضافـرة عن أهل البيت عليهم السلام دلّت عـلى وجـوب كـون صـلاة الطواف خلف المقام وعنده، وحيث تتم هذه النصوص ـ وهي تامّة في هذا الصدد ـ فيسـتفاد منهـا اعتبار كـون موضع المقام بحيث يمكن للطائفين الصلاة خلفـه ومعه فلايجوز وضـع المقام في موضـع لايمكن الصلاة خلفه بوجه كدفنه في أرض المسـجد، أو جعله في بعض الجدر المحيطة بالمسجد بحيث لايمكن استقبال البيت و المقام قدّام المصلي بل يكون خلفه، بعد ما وجب أن يكون المصلي خلف المقام.

ثـمّ إنّه حيث يفرض وجوب نقل المقـام إلى جنـب البيت ابتـداءً، فهل يجب ذلـك ولو اسـتلزم عـدم تمكن الطائفـين من الصلاة عنـده و مجاوراً لـه و قد عرفـت إنّ مقتضي نصوص وجوب الصـلاة عند المقام هو جعل المقـام في موضـع يكن الصـلاة عنده والكلام هنا في فرضين:

الفـرض الأوّل: تعيـين موضعـه بعـد نقل المقـام من موضعـه الفعلي، من حيث مواضع المسجد أو خارجه.

الفرض الثاني: وجوب نقل المقام مـن موضعـه الفعـلي لغـرض تحقيق مجاورة الصلاة.

أمّا حكم الفرض الأوّل، فالظاهر أنّـه لاقصـور في النصـوص عـن الدلالـة على اشـتراط كـون المقام في موضع يمكن الصـلاة عنده و خلفه فإنّ الأمر بالصلاة عند المقام و خلفه يسـتدعي المفروغيّة عن كون موضع المقـام ما يمكـن معه تحقيـق الصلاة بالوصـف الخـاص لـولا العوارض والموانع غير الثابتة كالزحام و نحوه.

وعـلى هـذا فلايجوز تثبيـت المقام في موضـع لا يتمكـن المكلّفـون معه من الصلاة بالوصف الخاص، أعني الاستقبال للمقام و المجاورة له.

وأمّـا تعيـين موضـع المقـام أكثر مـن هذا المقـدار فلايسـتفاد من هذه النصوص.

نعـم، ربّـما يسـتدلّ عـلى تعيـين موضعـه الأصـلي الـذي وضعـه فيـه رسـول الله صلى الله عليه وآله بوجـوب اتبـاع رسـول الله صلى الله عليه وآله و بنصـوص فعـل المهـدي ذلـك لـو ظهـر، فـإنّ هناك بعـض النصـوص وردت عـن أئمّـة أهل البيـت عليهم السلام تـدلّ عـلى أنّ المهـدي عليه السلام إذا ظهـر ردّ المقـام إلى موضعـه الأصـلي الّـذي هـو جنـب البيـت ولصقـه، و قـد ورد في بعـض الكلمات كثـرة الأخبـار بهذا المضمون.[1]

---

١. روضة المتقين ٤: ١٣٣ كتاب الحج، فضل الكعبة و الحرم.

فقد روى المفيد في الإرشاد عن أبي بصير قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: «إذا قام القائم هدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه وحوّل المقام إلى الموضع الّذي كان فيه...» الحديث.[1]

وقد رواها الشيخ الطوسي في الغيبة.

والذي يخطر بالبال في مجال فقه هذا النص وأمثاله أنّها بصدد الاعتراض على الوضع القائم في ظرف صدور النصّ، وأنّ القضية الواقعة في الخارج ليست مرضيّة للأئمة عليهم السلام وانّهم لعدم بسط اليد لايتعرضون بالتبديل والتغيير، حيث إنّ الخلافة والسلطة بيد غيرهم ممن تقمّصها واعتم بها.

والتعبير بالمهدي كناية عن الإمام العادل المتمكن؛ وليس منظوري أن كل من باشر العمل المنسوب إلى المهدي لو ظهر فهو مهدي في نظر هذه النصوص كلّه بل منظوري أنّ نسبة الفعل المطلوب إلى المهدي لو ظهر ـ وهو الإمام المعهود في مذهب أهل البيت عليهم السلام ـ لايقتضي اختصاص وقوع الفعل منه عليه السلام بحيث لايحقّ لغيره أو لا يتحقق منه ذاك العمل.

فلاتكون هذه النصوص منافية لجواز الفعل بل وجوبه على كلّ إمام عادل، بل على كلّ مؤمن متمكن و إن كان المهدي عليه السلام هو شخص خاص لاينطبق على سواه، حيث إنّه إمام بعينه وعد الله به الأمم.

بل نفس هذه النصوص تعبير كنائي عن وظيفة كلّ متمكن، فيكون مضمون هذه النصوص أنّ المهدي عليه السلام لو ظهر والوضع قائم، لغيّر وبدل وفعل، فلاتنافي وقوع التغيير قبل ظهوره والعمل من غيره من المؤمنين، بل وغيرهم فإنّ الله قد يؤيد الدين بالرجل الفاسق. وممّا يؤكد عدم اختصاص

١. الإرشاد ٢: ٣٨٣ عنه في البحار ٥٢: ٣٣٨، الحديث ٨٠.

الفعـال المذكورة في هـذه النصوص بالمعصوم عليه السلام ما ورد فيها من توسعة الشـوارع لو ظهر، كـما أنّ ما تضمنه النـص مـن أنّ المهـدي عليه السلام يهـدم المسـجد الحـرام ويـرده إلى موضعـه الأصلي، لايعني أنه عليه السلام يرد المسـجد إلى المقـدار الـذي كان عليـه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، بل هو أيضاً اعتراض على الوضـع القائم آنذاك، لا أنّ هذا النـص يـدل عـلى أنّ المهـدي عليه السلام إذا ظهـر يصغّـر المسـجد حتى يتشـدق بعـض الجهلـة ومن لايفقـه الحديث ببعض الترهـات، وسـيأتي له بعض التكميل.

وبعد هذا نقول: هل يسـتفاد من هـذه النصوص لـزوم إرجـاع المقام إلى لصـق البيـت في هـذه الأعصـار الّذي كنت استظهره سلفاً هو ذلك؟ وأنّـه يجـب ويتعيّن مـع التمكـن ردّ المقـام إلى موضعـه الّـذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ الإمام المهدي عليه السلام لـو ظهر وبـدت قدرتـه لعمل ذلك، وكذلك تكون الوظيفة لو تمكن غيره قبل ظهوره.

ولكـن عـرض لي الـتردد في ذاك الاسـتظهار أخيراً وطرء عليّ الشـك في ذلك الحكم حديثاً.

والوجـه في ذلك ليس هو احتمال اختصـاص مـا ورد مـن الأعـمال في النصـوص بالإمام المعصوم عليه السلام، فإنّ هـذا الاحتمال كنت متفطّناً له سـابقاً و مـع ذلـك لا أقول بـه، فليس عدم مصـيري إلى هـذا الاحتـمال غفلتـي منه.

بـل الوجـه أنّ هـذه النصـوص ـ و كـما بيّنـا ـ تنقـم الوضـع المعـاصر لصدورهـا و تعترض عـلى الشرائط الموجـودة آنذاك و أنّه بحسـب تلك الشروط و الاوضاع لو ظهر المهدي لفعل كذا و كذا.

ولا ريـب أنّ ذاك الوضع و تلك الـشروط و الموضـوع مهـما تحقـق تتطلـب مثلما كانـت تتطلّبه الشروط والأوضاع آنذاك؛ و ليس معنى هذه

النصوص أنّ المهدي يفعل ما ينسب إليه، حتى إذا تغيّرت الشرائط وتبدّل الموضوع.

مثلاً ما ورد من أنّ المهدي عليه السلام إذا ظهر وسّع الطريق الأعظم إنّما يدلّ على أنّه إذا ظهر و كان هناك شارع عام مثلاً بحسب العموم الموجود في ظرف صدور هذا النص، فإنّه يوسعه كذا ذراعاً، فهو دالّ على أنّ المهدي يوسع الشارع و حدّ توسعته أيضاً كذا مقدار ذراع.

فإذا فرض أنّ الإمام ظهر و كان الطريق متروكاً لايتطرق، فهل تدلّ هذه النصوص أنّه عليه السلام أيضاً يوسعه؟ كلاّ.

أو أنّ الطريق الأعظم المشار إليه في النصّ إذا اختلفت عظمته بأن كان ذاك الطريق مسلكاً لعدد خاص كأهل قرية أو بلدة صغيرة وكان يسلكها الأشخاص بدواب ووسائط محدودة و...

ثمّ صار الطريق مسلكاً لاضعاف ذاك العدد و لوسائط نقليّة بحسب الشروط الحديثة، فهل المهدي يوسع الطريق الأعظم بذاك العدد من الذراع؟

ولعمري أنّ مثل هذا الحكم توسعة له إلى غير موضوعه وشمول منه لغير محلّه؛ فإنّ النصوص لحظت الموضوع ثمّ قضت؛ واعتبرت القضية ثمّ حكمت فكان إسراء الحكم فيها إلى غير موضعه أردء من القياس وأدون، ولم يقل و لايقول به قائل هذه النصوص فضلاً عن غيره.

فمعنى هذه النصوص أنّ المهدي عليه السلام لو ظهر في زمن الصادق عليه السلام لوسع الطريق الأعظم في ذاك العصر بكذا ذراع.

لا أنّه عليه السلام إذا ظهر في عصر آخر تختلف الشروط و الأوضاع، عمل ذاك العمل بعينه.

وربّما كان نقل المقام إلى لصق البيت في عصر الصادق عليه السلام في جهة عدم منافاته لصلاة الطائفين عنده

فهـل يسـتلزم ذلك جواز نقـل المقام إلى ذاك الموضـع ـ فضـلاً عن وجوبه ـ في عصر لايمكن للحجاج الصلاة عنده لو كان المقام هناك.

هـذا، وأيضـاً لم يعلـم اختصاص مـا يفعلـه المهـدي عليه السلام بالواجبـات، فإنّه ربّما يفعل ما لايجب بل يستحب حيـث لايجب على الإمـام أن يقتصر على فعل الواجب.

وربّـما كان ردّ المقـام إلى لصـق البيت من هـذا القبيل، فلايتعيّن على غيره العمل به.

وامّـا مـا ورد في النـص مـن أنّ المهدي إذا ظهر هدم المسجد الحرام و ردّه إلى أساسه، فقد فصّلنا الكلام في مضمونه في كتاب المبسـوط ومحصل مـا حرّرنـاه هنـاك أنه ليس المـراد ردّ المسـجد إلى ما كان عليـه من الحدّ في زمن النبي صلى الله عليه وآله.

بـل المـراد ردّ المسـجد إلى حـدّه الأصـلي الّـذي حـدّه إبراهيـم عـلى نبيّنـا و آلـه و عليـه السـلام، و قـد ورد في النصـوص أنّ حـدّ المسـجد في تقديـر إبراهيم عليه السلام هو المسـعى، و أنّ الزيـادات التي حدثت بعد عصر النبـي صلى الله عليه وآله كلهـا داخلـة في المسـجد الأصـلي بل هـو أوسـع؛ وأنّ ما زيد في المسجد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في عهد الخلفاء بعد لم يستكمل الحد الأصلي، وهـذا النـص بصـدد أنّ الحـدود السـابقة في عصر الأئمة عليهم السلام لابد من هدمهـا توسـيعاً للمسـجد، و ردّاً له إلى موضعـه الأصلي الذي أشـير إليه في نصوص أهل البيت عليهم السلام.

وهـذا أيضاً اعتراض على الوضع القائم في تلك الأعصار.

بل ذكرنا أنّ المسـتفاد مـن النصّ أنّ مقدار المسـجد أوسع ممّا هو مبني الآن و في عصرنا الحاضر.

وهـذه النصـوص بصـدد أنّ المهـدي عليه السلام يهـدم المسـجد ليوسـعه بإدخـال مقـدار المسـجد الأصـلي، وضمّـه إلى المقـدار الّـذي كان في زمـن الأئمـة عليهم السلام لا أنّ المهـدي عليه السلام

يهدم المسجد ليضيّقه كما يتشدّق به بعض العوام ممن لا فهم له، ولا يفقه النصوص، فإنّ لكلّ أمر أهلاً.

وبالجملة، فمثل هذا النص ناظر إلى أنّ المهدي بصدد احقاق الحقّ وتحقيق العدل، و من جملة ذلك إحياء المسجد الأصلي.

بل لاتنافي هذه النصوص توسعة المسجد أكثر ممّا حدّه إبراهيم عليه السلام إذ غاية ما في هذه النصوص أنّ المهدي عليه السلام يحيي المسجد الإبراهيمي بعد أن اتخذ الناس قسماً كبيراً منه، و بنوه منازل، و صرفوه إلى غير الجهة التي أعده لذلك إبراهيم عليه السلام وليست بصدد ثبوت محذور في توسعة المسجد أكثر من ذلك المقدار إذا اقتضت الحاجة و المصلحه ذلك؛ و إن شئت مزيد توضيح لذلك فراجع ما حرّرناه في هذا المجال عند التعرّض لنصوص حدّ المسجد الحرام في كتاب المبسوط.

وأمّا حكم الفرض الثاني، أعني وجوب نقل المقام من موضعه الفعلي لغرض تحقيق مجاورة الصلاة له تحقيقاً لشرط الصلاة الواجبة للطواف، أو تحقيقاً لشرط الكمال في الطواف المستحب، فالظاهر أنّه لا موجب لذلك، والسرّ فيه هو إن الشرطيّة لما كانت خاصّة تفرض التمكن ـ حيث لايشترط المجاورة بدونه ـ فمع عدم التمكن لا مثبت للمقتضي لذلك، فربّما يكون تحويل المقام من موضعه ممنوعاً و إن استلزم ترك التحويل لعدم وقوع الصلاة مجاوراً للمقام.

وإن شئت قلت: إن الموجب لإشتراط مجاورة الصلاة للمقام، هو ذلك على تقدير وضعه القائم والتمكن من ذلك؛ لا أنّه يشترط المجاورة على الإطلاق، حتى يجب تحقيق ذلك و لو بتحويل المقام إلى موضع آخر.

ومن هنا ورد الترخيص في تأخير الصلاة عن موضع المقام وبعيداً

منـه في الزحام، ولم يحكـم بقلع المقام مـن موضعـه وتحويلـه إلى المصلّـى، مـع أن الزحمـة عـلى المقـام وصعوبة الصلاة عنده أحيانـاً كان بمرأى من المعصومين عليهم السلام سيّما في الموسم؛ ومع ذلك فلم يرد الإشارة إلى لزوم تأخير المقام إلى موضع يتمكن معه الحجاج من تحقيق مجاورة الصلاة للمقام.

المسئلة الثالثة:

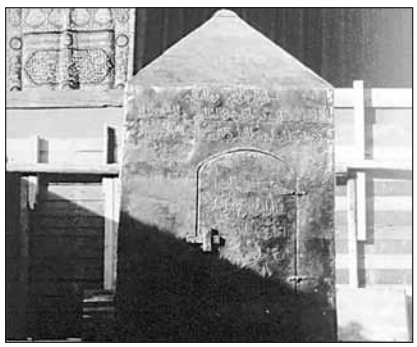

في حكـم صـلاة الطـواف عـلى تقدير نقل المقام عن موضعه الفعلي.

تمهيد:

المستفاد من النصوص أن للمقام إطلاقات:

فقد يطلق المقام و يراد به المسـجد الحرام؛ و قد يطلق و يراد به الصخرة التـي عليهـا أثـر أقـدام إبراهيم عليه السلام، وثالثـة يطلـق و يـراد بـه موضـع الصخـرة الأصـلي الـذي هـو لصق البيت قريباً من الحجر الأسود.

وممّـا أطلـق فيـه المقـام بالمعنـى الأخـير، مـا روي مـن مسـائل داود الصرمي عن الرضا عليه السلام قال: و سألته عـن الصـلاة بمكـة في أيّ موضـع أفضـل فقـال: «عنـد مقـام إبراهيـم الأوّل فإنـه مقام إبراهيم وإسـماعيل ومحمد عليهم السلام». [1]

والمـراد الموضـع الأوّل والّـذي كانت الصخرة فيه منذ زمن النبي صلى الله عليه وآله و بفعله قبل موضعه الأخير الذي كان في عصر الأئمّة عليهم السلام وبفعل غيرهم.

وواضـح أنّ النبـي صلى الله عليه وآله لم يقـم عـلى الصخـرة، بل صـلّى خلفها بعد جعلهـا بلصق البيت فمقام محمد صلى الله عليه وآله

---

١. وسائل الشيعة (ط.الإسلامية) ٣ : ٥٤ كتاب الصلاة الباب ٥٣ في أحكام المساجد.

هـو موضـع صلاتـه، والـذي كان خلف الصخـرة وكذا مقـام إبراهيم وإسـماعيل عـلى نبينا و آلـه و عليهما السلام.

وأمّا إطلاق المقام بمعنى الصخرة فهـو كثير في النصـوص الآمرة بفعل صلاة الطـواف بعد الفـراغ منه عند المقام و خلفه و غيرها.

ففـي رواية محمد بن مسـلم قال: سـألته عـن حدّ الطـواف الّـذي من خرج منه لم يكن طائفاً بالبيت؟ قال: كان النـاس على عهد رسـول الله صلى الله عليه وآله يطوفـون بالبيت و المقام و أنتم اليوم تطوفـون مـا بين المقـام و البيـت ... الحديث.[1]

وفي رواية عبـدالله بن ميمون عن جعفـر عن أبيـه عليهما السلام قـال: كان المقام لازقاً بالبيت فحوّله عمر.[2]

وفي صحيـح إبراهيـم بـن أبي محمود قال: قلـت للرضا عليه السلام: أصلّي ركعتي طـواف فريضة خلـف المقام حيـث هو السـاعة أو حيث كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: «حيث هو الساعة».[3]

إذا تحقـق إطلاقات المقام وموارد استعماله، نقول:

لا ريـب أنّ المسـتفاد مـن هـذه النصـوص اشـتراط كـون الصـلاة للطواف عند المقـام بمعنى الصخرة حسـب موضعهـا زمـن الأئمـة عليهم السلام وعـدم جـواز الصـلاة عنـد موضع المقـام الأوّل الّـذي كان بلصـق البيت المسـتلزم للتقدّم على الصخرة واستخلافها.

وإنّـما الـكلام في دلالـة هـذه النصـوص عـلى أن اشـتراط الصلاة بذاك المـكان باعتبار الصخرة، و أنّها كل الموضـوع بحيـث يتغـير موضع الصلاة بتغيّر موضع الصخرة وتدور

١. وسائل الشيعة (ط. الإسلامية) ٩ : الباب ٢٨ من الطواف، حديث ١.
٢. التهذيب ٥ : ٤٥٤، حديث ١٥٨٦.
٣. وسائل الشيعة (ط. الإسلامية) ٩ : ٤٧٨، الحديث ١.

معهـا حيثـما دارت، أو أنّ اشـتراط الصـلاة بـذاك الموضـع لخصوصيـة فيه مضافاً إلى الصخرة بحيث تكون الصخـرة جـزء الموضـوع، و لعـل الجـزء الآخـر محـاذاة المـكان للمقام الأصلي الذي كانت الصخرة فيه منذ زمن النبي صلى الله عليه وآله.

الإنصـاف أنّـه لا دلالـة في هـذه النصوص على وظيفة المصلّي إذا غيّر موضع المقام إلى مكان ثالث.

فلعّل وجوب الصـلاة عند المقام في موضعـه المعـاصر للأئمـة مـن حيث كون الصلاة عنده خلف مقام إبراهيـم الأوّل الّـذي كان ملاصقـاً للكعبة المشرفة.

ولايستلزم ذلك وجوب الصلاة عند المقام بمعنى الصخرة لو جعلت في مكان ثالث لاتكون الصلاة عنده خلـف الموضع الأصـلي للمقام؛ فإن نصوص الصلاة عند المقام بين ما هو خطاب لأشـخاص لازمـوا الوضع الخاص للمقام، أعنـي كون المقام في عصرهـم في الموضع الخـاص، وبين مـا لم يعلم كونه بصدد بيان اشـتراط مجـاورة الصخـرة عـلى الإطـلاق، ليشـمل فرض نقلهـا إلى مكان آخر، وإنّـما هو بصدد الرد على أهل السـنّة الذين ينكرون اشـتراط مجاورة المقام عـلى الإطـلاق، ويكتفـون بالصلاة في أيّ موضـع مـن المسـجد أو يرون مجـاورة الصلاة للمقام أمـراً مندوباً؛ ولا أقـل من عـدم إحراز كـون هذه الطائفـة بصـدد الإطـلاق مـن هذه الجهة، و لا أصل يحرز ذلك.

أمّـا مـا كان مـن قبيـل الخطـاب الخاص الّذي لا موجب للتعدّي عنه إلى الغـير إلاّ بإلغـاء الخصوصيّة غير الثابت على تقدير تحويل المقام: فمثل روايـة زرارة عـن أحدهمـا عليهما السلام قال: «لاينبغـي أن تصـلّي ركعتـي طواف الفريضـة إلاّ عنـد مقـام إبراهيم عليه السلام فأمّـا التطـوّع فحيـث شـئت مـن المسجد».[1]

١ . الكافي، الشيخ الكليني ٤ : ٤٢٤.

ونحوه غيره مما تضمّن أمر الأشخاص بإتيان المقام للصلاة بعد الطواف؛ ومقتضى قاعدة الاشتراك وإلغاء خصوصية المخاطب، وإن كان شمول الحكم لغير المخاطب، ولكنه بمقدار يحرز الاشتراك بين المخاطب وغيره في الخصوصيات المحتملة الدخل، ومنها الموضع الخاص للمقام، وعلى تقدير طروّ خصوصيات يختلف معها وضع الغائبين عن الحاضرين لايكاد يحرز الاشتراك.

وأمّا ما لم يكن بلسان الخطاب ولكنه لم يتحقق اطلاقه من حيث فرض تحويل المقام، فكثير من النصوص تضمّنت تقييد محل صلاة الطواف في الحج و العمرة بالمقام، مثل صحيح معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «على المتمتع بالعمرة إلى الحج ثلاثة أطواف بالبيت و سعيان بين الصفا والمروة...».[1]

«... فعلى المتمتع إذا قدم مكة طواف بالبيت، وركعتان عند مقام إبراهيم عليه السلام وسعي بين الصفا والمروة، ثم يقصر و قد حلّ هذا للعمرة و عليه للحج طوافان و سعي بين الصفا والمروة ويصلّي عند كلّ طواف بالبيت ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام...».[2]

ونحوه غيره؛ إلاّ أنّ من الواضح أن مثل هذا النص إنما هو بصدد بيان صورة حج التمتع، على وجه يمتاز عن سائر أنواع الحج من القران والإفراد، نعم ذكر فيه اشتراط مجاورة صلاة الطواف للمقام، وأما كون العبرة بصخرة المقام ـ التي هي المنظورة بالمقام ـ على الاطلاق أو على تقدير كونها في مقام خاص، فلم يعلم كون الخبر بصدد بيانه، وكون الأصل في القضية أنها حقيقية لا خارجية، يراد به عدم كون المكلف هو شخص خاص متعين في الخارج،

١ . الوسائل ١١ : ٢١٢.

٢ . المصدر السابق ١١ : ٢١٣.

بل كل من صدق عليه عنوان البالغ العاقل مع ساير القيود المعتبرة في التكليف عموماً وخصوصاً.

وإن شئت قلت: إنّ هذه النصوص بصدد بيان اشتراط مجاورة صلاة الطواف للمقام، وليفرض أنها في هذه الدلالة مطلقة شاملة للمتمكن، والعاجز، والرجل والمرأة، وغير ذلك من وجوه انقسام المكلف؛ وأما إطلاقها لفرض تحويل المقام إلى موضع آخر، فلا أقل من الشك في إطلاقها من هذه الناحية، ولاريب أنّ هذه جهة غير ساير الجهات، لابد من إحراز كون المتكلم بصدد البيان من هذه الجهة أيضاً، ولايكفي كونه في مقام البيان من ساير الجهات؛ والمتيقن كونه بصدد البيان من ساير الجهات بلا ريب.

وبالجملة: فلايبعد أنّ عمدة النظر في هذه النصوص إلى عدم جواز فعل صلاة الطواف الواجب في ساير مواضع المسجد، كما هو المتعارف بين أهل السنة؛ لا أنها بصدد بيان وجوب فعل صلاة الطواف خلف المقام، و إن حوّل إلى موضع آخر ولو خارج المسجد.

ألا ترى إلى لسان مرسلة صفوان عن الصادق عليه السلام قال: «ليس لأحد أن يصلي ركعتي طواف الفريضة إلاّ خلف المقام، لقول الله عزّوجلّ: ﴿واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلّى﴾».[1]

فإنّ هذا اللسان لسان النفي لا لسان الإثبات، فهو متضمن للمنع عن الصلاة في ساير المواضع؛ وليس ناظراً إلى حيثية الإثبات والصلاة خلف المقام حيثما حوّل.

وهناك بعض النصوص الآمرة بالصلاة عند مقام إبراهيم عليه السلام لمن نسي فعلها عنده، والحيثية المنظورة في هذه النصوص أيضاً النسيان ولا إطلاق لها من حيث تحويل المقام.

---

١ . وسائل الشيعة (ط. الإسلامية) ٩: ٤٨١، الباب ٧٣ من أبواب الطواف.

وهناك طائفة ثالثة من النصوص تضمنت تعيين المقام للصلاة، ولكنها بصدد الفرق بين الطواف الواجب والمندوب، وأنه يجوز في الأخير فعل الصلاة في أيّ جوانب المسجد اختياراً، بخلاف الطواف الواجب حيث يتعين الصلاة عند المقام؛ وأما اشتراط ذلك ولو مع نقل المقام إلى موضع آخر فعهدة دعويها على مدعيها.

المسئلة الرابعة:

وظيفة المصلّي للطواف إذا كان المقام في موضع لايمكن الصلاة عنده أو خلفه؛ وليعلم أن العجز إمَا أن يكون بسبب غير ازدحام الطائفين و قد يكون الإزدحام هو السبب.

والكلام في الوظيفة تارة بحسب القاعدة و أخري بحسب الدليل الخاص، و لمّا كان اعتبار مجاورة الصلاة للمقام شرطاً لا مجرد تكليف فيقع الكلام في كون الشرطيّة مطلقة أو خاصّة بحال التمكن.

أمّا أن اعتبار المجاورة شرط فيدلّ عليه أمران:

الأوّل: ظهور الأمر بالخصوصيات في المركبات في دخالة المتعلّق في الصحّة لا مجرّد التكليف كما في الأمر بالصلاة متطهّراً، أم مستقبل القبلة ونحو ذلك.

الثاني: إطلاق الأمر مقتض لعدم سقوطه إلاّ بامتثاله فما لم تقع الصلاة مجاورة للمقام فالمكلّف مأمور بذلك و إن صلّى في موضع آخر، وهذا معنى ما يقال: إنّ الأمر

يقتضي كـون الوجـوب تعيينيـاً فإنّه و إن ذكـر في بحـث اقتضـاء الأمـر للوجـوب التعييني الّـذي هو حكم تكليفـي ولكنـه لا خصوصية لذلك بعـد عموم النكتة، وشـمولها للمقام فإنّـه بعـد إرادة الشرطيّـة مـن الأمر يـدور الأمـر بـين الشرطيّـة التعيينيّة بحيـث لايسـقط الأمـر إلاّ بذلـك، و بـين عـدم الشرطيّـة و كـون ذلك مجرّد تكليـف أو الشرطيّة التخييرية، و إطـلاق الأمر ينفـي الأمريـن معاً و يعـيّن الشرطيّـة أوّلاً بحيـث يبقى الأمر داعياً بعد الإتيان بفاقد الشرط كـما و يعـيّن الـشرط و ينفـي وجود بديل يجزي عنه.

وبعـد ذا يقـع البحـث في اقتضاء القواعد لكون شرطيّـة مجاورة المقام أو خلفيّتـه مطلقـة أو خاصّـة بحـال التمكن.

ومعنـى الإشـتراط المطلـق هـو سـقوط المشروط بالعجز عن الشرط لا ثبـوت التكليـف بواجـد الـشرط حـال العجز فإنّـه غير معقـول؛ فإن معنـى الشرطيّـة المطلقـة ـ وكـذا الجزئيـة و المانعيّـة ـ هـو أنّ التكليف متعلّـق بخصـوص العمـل الواجـد للـشرط، فمتـى لم يمكـن الإتيـان بالعمـل مـع الـشرط فـلا أمـر لعدم تعلّق الأمـر بالعمل المجرد عمّا اعتبر شرطاً؛ بخلاف ما إذا كانت الشرطيّة مخصوصة بحـال التمكن، فإنّ الأمر متعلّـق بالعمـل بـلا اختصـاص بالواجـد للشرط عـلى الإطلاق؛ بل اختصاصـه بالعمـل الواجد للشرط مخصوص بحـال التمكن، و إلاّ فمع عـدم التمكن فـلا شرطيّـة ليختصّ الأمر بالواجد للشرط فيسقط المقيّد.

ثمّ إنّـه لا ريب في ثبوت الشرطيّة المطلقة في الشريعة في موارد بالإجماع، كالعجـز عن الإمسـاك في جـزء من النهـار في الصوم، فإنـه يبطل الصوم بلا ريب؛ كـما لا ريب في اختصاص الشرطيّـة في بعـض المـوارد بحـال التمكـن إجماعـاً كجملـة في شرائـط

الصلاة ومنها الوضوء، و إنّما الكلام في أن إطلاق الشرطيّة هو مقتضى القاعدة حتى يكون خلافه بحاجة إلى دليل، أو أنّ مقتضى القاعدة عدم إطلاق الشرطيّة فالإطلاق بحاجة إلى إثبات.

وليعلم إنّه تارة تكون الشرطية ثابتة بغير الأدلّة اللفظية، بل كان مصدرها مثل الإجماع الّذي هو دليل لبّي، فيشك في الشرطية بدون التمكن من الشرط؛ فهذا ممّا لا كلام في اختصاص الشرطية معه بحال التمكن، إذا كان هناك إطلاق في دليل أصل الواجب.

وإلاّ فمجرّد قصور دليل الشرطيّة عن الإطلاق لايستلزم إطلاق دليل أصل الواجب، فلو كان دليل أصل الواجب أيضاً إجماعاً و هو دليل لبّي لم يحكم بوجوب الأصل بمجرّد قصور الدليل على الشرطية عن حال العجز، بل كان مقتضى القاعدة عدم وجوب أصل المشروط مع العجز عن الشرط، بعد أن كان المتقين من دليل وجوبه هو فرض وجدان الشرط و التمكن منه.

وقد يفرض أنّ الدليل على الشرطيّة هو الأدلّة اللفظيّة، و هذا الفرض هو المقصود بالبحث في المقام، و أنّ مقتضى إطلاق دليل الشرط هو ثبوت الشرطيّة المطلقة أو أنّ مقتضاه اختصاص الشرطيّة بحال التمكن و لاأقل من الإجمال والمتيقّن من الدلالة هو الشرطية حال التمكن.

وتظهر الثمرة بين دلالة الدليل على اختصاص الشرطيّة بحال التمكن و بين كون اختصاص الشرط على أساس كونه المتيقّن من دون دلالة الدليل على الاختصاص، فيما لو كان الدليل على الشرط متّصلاً بدليل أصل الواجب، فعلى الإجمال يسري ذلك إلى أصل الوجوب، فلايمكن الحكم بوجوب الأصل مع العجز عن الشرط، بينما

عـلى القول بظهـور دليـل الشرط في اختصـاص الشرطية بحـال التمكن يكون متقضى نفس الدليل المتضمن لوجوب الأصل هـو وجوب الفاقد للشرط مع العجز.

وعـلى الوجهـين لا ثمـرة فيـما لو كان دليل الـشرط منفصلاً عن دليل أصل الواجب.

كـما أنّ الثمرة بـين دعوى إطلاق الشرطيّـة لحال العجـز، وبين دعوى الإجمال إنّما تكـون في فرض انفصال دليل الشرط، حيث يتمسّك بإطلاق دليل أصل الواجب على تقدير إجمال دليل الشرط على الأخير، بينما يكون المحكـم هو إطـلاق دليـل الشرطيّة المتقـضي لنفـي الوجوب عـلى تقدير العجز عن الشرط.

ثـمّ البحـث عـن اختصـاص الشرطيّـة بحال التمكن على أسـاس دليل من خارج دليل الشرط كقاعدة الميسـور بحـث محوّل إلى غـير المقام؛ وإنّـما المقصـود بالبحـث هنـا هو ما يقتضيه نفس إطلاقات أدلّة الأجزاء و الـشروط، و مع الغض عن القرينة والدليـل الخارجي، فهـل أنّ مقتضى إطلاقات أدلّة الأجزاء و الشرائط هو الشرطيّة المطلقـة ـ كما هو المعروف ـ بحيـث يكـون التخصيـص بحاجـة إلى دليـل أو أنّ متقـضى الإطلاقـات هـو الاختصاص أو لاأقـل من عدم الدلالـة عـلى الشرطيّـة المطلقـة و لو للإجمال؟

فنقـول بعـد التـوكل عـلى الله: المعـروف بـين العلـماء هـو إطـلاق الشرطيـة والجزئيـة والمانعيّـة في مـورد الشـك، وربّما يرسـل إرسـال المسلمات.

ويبـدو لي في المسـألة تفصيـل وبيانه: إنّ الدليل على الشرط والجزء قد يكـون جملة إنشـائية سـواءكانت بصيغـة الأمـر أو غـيره كالمضـارع والماضي و قد يكون الدليل على ذلك جملة خبريّة مثـل لا صلاة إلاّ بطهور و نحوه.

كما أنّ الدليل على المانعيّة قد يكون جملة إنشائية كالنهي، و قد يكون جملة خبريّة مثل لا صلاة لمن تكلّم في صلاته.

فإن كان الدليل على الشرط و الجزء و المانع جملة خبرية – لا إنشائية – فمقتضى إطلاقه هو ما ذهب إليه المشهور من ثبوت الشرطيّة المطلقة إلاّ مع ظهور الدليل في كون المقصود بالجملة الخبرية هو الإنشاء؛ فمثل لا صيام لمن لم يبيّت الصيام من الليل ظاهر في اشتراط الصيام بالنيّة، بلا فرق بين فرض التمكّن و عدمه؛ فمن غفل و لم ينو لم يصح صومه على القاعدة، فكان إجزاء الصوم ممّن بدا له ذلك بعد الفجر و في نهار شهر رمضان خلاف هذا الإطلاق؛ كما أنّ صحة الصوم ممن كان جاهلاً بدخول شهر رمضان فعلم أثناء النهار قبل الزوال أو بعده ينافي الإطلاق المتقدّم.

وإمّا إذا كان الدليل على مثل الشرط هو جملة إنشائية من أمر وغيره من الصيغ، فهذا لا ظهور له في الشرطيّة المطلقة لو لم نقل بظهوره في اختصاص الشرط بحال التمكن.

والوجه في ذلك هو الوجه المذكور في ظهور أدلّة التكاليف في اختصاصها بفرض التمكن، و أن اعتبار القدرة على متعلق التكاليف ليس مقتضى حكم العقل فحسب حتى يكون هناك مجال لإنكاره ممن ينكر التحسين و التقبيح العقلي، كالأشعري الذي يصحح التكليف بغير المقدور، بل ذلك مقتضى نفس ظهور دليل التكاليف، حيث إن ظاهر مثل الأمر هو أن إنشاء الطلب إنما صدر بداعي التحريك والبعث، وأن المقصود به هو الإنبعاث والتحرّك إلاّ إذا كان المكلف عاصياً؛ فعدم الإنبعاث للعجز مفروض العدم في نفس دليل التكليف، كما أنّ عدم الإنبعاث بسبب العصيان مطلوب العدم بنفس التكليف؛

وعـلى هذا الأسـاس حيـث لايعقل التحـرك والإنبعـاث مـن العاجـز، فلايعقل التحريك والبعث في فرضه من الحكيم، ولايجوز له إنشاء الحكم بعـد مـا كان الغـرض والداعي على الإنشـاء هو ما لايمكن تحققه؛ وبهذا ظهر الفرق بين ا لعاجز وبين العاصي وإن اشتركا في عدم تحقق الامتثال.

بيـان الفـرق هـو أن الغـرض مما يمكـن تحققه في شـأن العـاصي و إن كان لايتحقق الامتثال مع العصيان، حيث إنّ الغرض ليـس هو الامتثال بالفعـل؛ بـل الغـرض هـو الامتثال وجـه الاختيـار، و لمـا كان العصيان اختياريـاً فعـدم العصيـان وتحقيـق غـرض المولى ممكن باختيـار الطاعة فلايكـون التكليـف لغـواً حتـى لـو اختص التكليف بمن يعلم عصيانه، فإنـه تتم الحجة عليه بذلك وعصيانه فـرع كونـه مكلفـاً؛ و هـذا بخـلاف العاجز، فإنّ الغـرض لايعقل تحققه لعدم التمكن، فيكون التكليف لغواً في شأنه.

وإن شـئت قلـت: الغـرض مـن التكليف هو إمكان الإنبعاث بسـببه وهـذا متحقـق في شـأن كل مكلّـف مختار ومنه العاصي بخلاف العاجز.

إذا عرفـت ذلك قلنـا: إنّه لا فرق في النكتـة بـين كـون الأمـر صـادراً بداعـي بيـان الحكـم التكليفـي، أو صدر بداعي بيـان الحكم الوضعي، فـإنّ ظهـور الأمـر في كونـه بداعـي الانبعـاث مشـترك بـين الفرضـين، غايتـه أنّ الداعي على الداعي مختلف حيـث إنـه في أحـد الفرضـين بيـان التكليف، وفي الآخر بيان الشرط.

فـإن قلـت: إذا كانـت النكتـة في اختصـاص التكليـف بالتمكـن والقادر هـو لغويّة تكليـف العاجز، فهذه النكتة منتفيـة فيما كان المقصود بالأمـر هـو الحكـم الوضعـي، فـإن ثبـوت الشرطيّة المطلقـة لا لغويّة فيه بل نتيجتها عدم التكليف بالمشروط على تقدير العجز عن الشرط.

قلت: نعم لا يلغو إثبات الشرطيّة المطلقة في حال العجز عن الشرط و لذا قلنا بإطلاق الشرطيّة فيما كان الدليل عليه جملة خبرية مثل الأمر، ولكنّ إثبات إطلاق الشرطيّة في الفرض إنّما يكون في طول الأمر بالشرط، و ليس المستعمل فيه في الأوامر تكليفية كانت أو وضعيّة إلاّ معنى واحداً، و لايكون المستعمل فيه في الثاني هو عنوان الشرطيّة و نحوها حتى يعقل إطلاقها في فرض العجز عن الشرط.

بل المعنى الاستعمالي للأمر مطلقاً هو النسبة الطلبية أو الإنشانية بداعي الانبعاث في قبال داعي الاستهزاء والتعجيز ونحوهما؛ ثمّ الداعي على إنشاءالطلب بداعي الإنبعاث قد يكون هو بيان وجوبه النفسي و بيان الحكم التكليفي، و قد يكون الداعي هو الوجوب الغيري و بيان الحكم الوضعي، و كيف كان فداعي بيان الحكم الوضعي أو التكليفي إنّما يكون في طول إنشاء الطلب بداعي الإنبعاث، والمقصود أنّ البعث والتحريك قد يكون في مورد يستلزم عدم الانبعاث مجرد العصيان، وهذا ما يسمى بالحكم التكليفي، و قد يكون المقصود البعث و التحريك في مورد يستلزم عدم الانبعاث فساد العمل وبطلانه، وهذا ما يسمى بالحكم الوضعي، ولا يعني الثاني عدم كون البعث والتحريك مقصوداً أصلاً.

وهذه النقطة هي التي أوقع القائلين بإطلاق الشرطيّة في هذه المقالة، حيث حسبوا أن مدلول الأخير هو الشرطيّة في مثل هذه الموارد، و حيث لا محذور في الشرطيّة المطلقة ـ بخلاف التكليف المطلق ـ فيؤخذ بإطلاق دليل الشرطية، مع أنه غفلة عن أنّ الشرطيّة بعنوانها ليست مدلولاً للأمر، بل هي منتزعة عن إنشاء الطلب، والمفروض اختصاص ذلك بما إذا كان متعلّقه

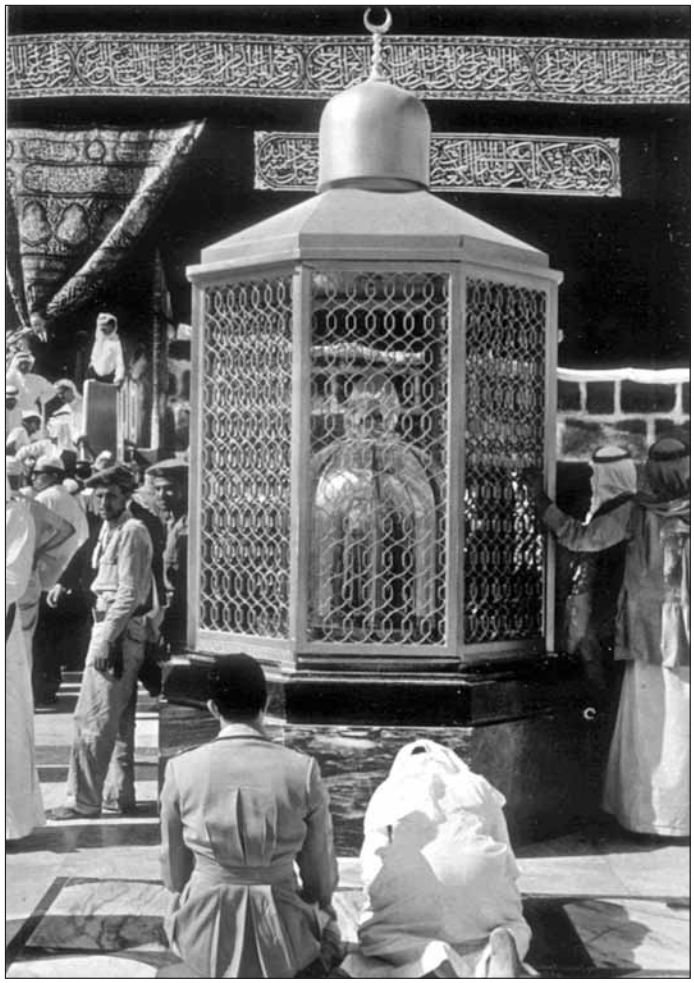

مقـدوراً للمكلف، و لو على أسـاس اختصـاص الأمـر إنصرافـاً بـما إذا كان صـادراً بداعـي البعـث وإن لم يكـن اسـتعماله في موارد الاسـتهزاء والتعجـب مجـازاً. فلاحـظ وتأمّـل جيّداً في المقام فإنه حقيق به.

إذا عرفت مـا مهّدناه فلنرجع إلى أصل المسـألة التي كنا بصدده، وهي وظيفـة المكلـف حيـث ينقـل المقـام إلى موضـع لايمكن الصـلاة خلفه، فنقول:

أمـا على مبنـى القوم مـن القضاء

بإطـلاق الشرطيـة والجزئيـة عـلى الإطـلاق، كان مقتـضى القاعـدة سقوط صلاة الطواف رأساً، بالعجز عـن شرطـه، أعنـي مجـاورة المقـام واسـتقباله؛ إلاّ أن يسـتظهر ممـا ورد في وجـوب الصـلاة في أي مكان لمن ارتحل عن مكة، ثم تذكّر أنه لم يصلّها ونحوه، كون الشرط مقيداً بالقدرة.

وأمـا على مسـلكنا مـن التفصيل المتقـدم، فحيـث إنّ الأمـر بالصـلاة خلف المقام بمثـل الأمر بإتيان المقام والصلاة عنده وخلفـه؛[1] لا إطلاق لـه لإفـادة الاشـتراط، كان مقتـضى القاعـدة وجوب أصـل الصلاة بعد العجـز عـن الـشرط، بـلا حاجة إلى دليـل آخر غـير دليل أصـل وجوب الصـلاة، فـإنّ المتيقن مـن تقييده هو فـرض التمكن مـن اسـتقبال المقام، وفي غيره يكون المرجع هو الإطلاق.

ومثـل الأمر بإتيـان المقام في عدم الإطـلاق لفرض العجـز، ما تضمّن الأمـر بإعـادة الصلاة لـو صلاّها في موضـع آخـر مطلـق وفي خصوص الناسي.[2]

١ . وسائل الشيعة (ط.الإسلامية) ٩ : ٤٧٩، الباب ٧١ من أبواب الطواف.

٢ . وسائل الشيعة (ط.الإسلامية) ٩ : ٤٨٠، الباب ٧٢ من أبواب الطواف.

مطارحات في العقيدة (٣)

نظرية عدالة الصحابة في الميزان

سماحة العلامة السيد كمال الحيدري
إعداد: حسن الحاج

إنّ من أهمّ ما انتهى إليه بعض أعلام مدرسة الصحابة، وبالذات الشيخ ابن تيمية وفريق من أتباعه، وهم يتحدثون عن عدالة الصحابة، هو منح الصحابة مستوًى من العصمة، وإن لم يصرّحوا به، لكنهم ملتزمون به عملياً، حيث راحوا على أساسه يوجّهون كلَّ أعمال الصحابة وأقوالهم ومواقفهم.. ولايجوّزون أن يوجّه لهم أيّ نقد، وإن فعلوا ما فعلوا من قتل وسبّ، وارتكاب

للمحرمات، ومحاربة لأولي الأمر ونحو ذلك.. بل ويمنعون من أن نوصف بعضهم بالبخل أو بالجبن أو بعدم الزهد أو العلم... وهذا كلّه يجعلهم في دائرة العصمة أو على الأقل في درجة من درجاتها سواء أكانت واسعةً أم محدودة..

ولم يكتفوا بذلك التوجيه لما يصدر من الصحابة، وبالتحذير من انتقادهم أو وصفهم بتلك الصفات، بل سنّوا لمن تفوّه بمثل تلك الصفات أو النقود تأديباً وتعزيراً، دون أن يُكفّر، إلا عندما يتجاوز ذلك الوصف إلى تفسيقهم أو أنهم مرتدون، فيما يتعيّن الكفر على من شك في تكفير من يقول بفسق الصحابة وارتدادهم.. هذا وغيره نجده صريحاً بيّناً في كلام الشيخ ابن تيمية حين يقول:

«... وأما من سبهم سبّاً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم ـ مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلةِ العلمِ، أو عدمِ الزهدِ، ونحو ذلك ـ فهذا هو الذي يستحقُّ التأديبَ والتعزيرَ، ولا يُحكمُ بكفرهِ بمجردِ ذلك، وعلى هذا يحملُ كلامُ من لم يكفرهم من العلماء...

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلاّ نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسَّقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضاً في كفرهِ، فإنَّهُ مكذبٌ لما نصهُ القرآنُ في غير موضع: من الرضا عنهم والثناء عليهم، بل من يشكُّ في كفرِ مثل هذا فإنّ كفرهُ متعين،... ولهذا تجدُ عامةَ من ظهر عنه شيءٌ من هذه الأقوال، فإنه يتبيّنُ أنهُ زنديقٌ، وعامَّةُ الزَّنَادِقَة إنَّمَا يَسْتَتِرُونَ بمذهبهم، وقد ظهرت للهِ فيهم مَثُلات، وَتَوَاتَرَ النقلُ بأَنَّ وجوههم تُمسخُ خنازيرَ في المحيا والمماتِ،...

وبالجملة فمن أصنافِ السابَّةِ من لا ريب في كفرهِ، ومنهم من لا يحكمُ

بكفرهِ، ومنهم من يتردّدُ فيهِ، وليس هذا موضعُ الاستقصاء في ذلك، وإنما ذكرنا هذه المسائل لأنها من تمام الكلامِ في المسألةِ التي قصدنا لها...».[1]

فوفقاً لهذا النصِّ ، نحن أمام أمرين خطيرين:

الأمر الأول:

تأديبٌ و تعزيرٌ لكلِّ مَن يقول عن صحابيٍّ: إنه بخيل أو جبان أو قليل العلم أو ليس بزاهد، دون أن نحكم بكفره، وعليه يحمل كلام علماءٍ لم يكفروا هذا النوع من الناس المتفوّهين بهذه الصفات، و في الوقت الذي يعدُّ كلام الشيخ ابن تيمية محملاً وفرصةً هيَّأها تخليصاً لهؤلاء العلماء، الذين لم يحكموا بكفر هكذا نوع من المتفوّهين، فهو يتضمن أن هناك مِن العلماء مَن يكفّر الذي يصف صحابيّاً بالجبن والبخل وقلة العلم وعدم الزهد..

الأمر الثاني: تكفيران:

ـ تكفير لكلِّ مَن زعم أنَّ صحابياً ما، كان فاسقاً أو مرتداً..

ـ تكفير متعيّن لطائفة تشكك في كفر أولئك الزاعمين..

هكذا فصّل الشيخ الموقف العام إزاء الصحابة، وأنه لا بدّ لهم من أن يبعدوا أنفسهم عن هذه المواقف الثلاثة، وبالتالي ليس أمامهم إلاّ القبول بسيرة الصحابي بل والدفاع عنها، وإن شابها خطأ، أو خالطها فحش أو تجاوز، أو كبيرة من الكبائر المتسالم على حرمتها كشرب للخمر، أو تخللها جرم كقتل نفس محترمة بغير حقٍّ أو فساد في الأرض، أو خروج على ولي أمر

---

١. أنظر الصارم المسلول على شاتم الرسولﷺ لابن تيمية الحراني الدمشقي، المعروف بابن تيمية، حقّقه وفصّله وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، صفحة: ٥٨٦ .

شرعيٍّ، والتآمر عليه، وإشاعة الفساد في الساحة المسلمة، والإطاحة بأمن الناس واستقرارهم، وتدمير الحرث والنسل، والتسبب بقتل الآلاف من المسلمين بمعارك طاحنة، لم يبخل علينا التاريخ بتفاصيلها المرعبة كحرب الجمل وصفين والنهروان...

وبعد كلِّ هذا وبكلِّ سوء مثله ارتكب بحقِّ الدين والأمّة من قبل طائفة من الصحابة، يأتينا الشيخ ليعزّر ويؤدّب من ينتقد مثل هذه الفئة، أو يكفّر من يشير إلى انحرافها وبعدها عن الدين وقيمه وأحكامه بفسق أو ارتداد، ويعلو أكثر فيحكم بكفر حتى من يشك؛ مجرد شك لا غير، في تكفير الفريق الثاني. بدلاً من أن ينادي بتأديبٍ وتعزيرٍ لمن تجاوز الحقَّ والعدلَ وأحكام الشرع الحنيف حتى وإن كان من الصحابة المقرّبين، وممن طالت قاماتهم في الساحة المسلمة... فالصحبة ليست حصانة لأحد، إلاّ أن يلتزم حقّاً أو يقيم عدلاً، أو يأمر بمعروف بين الناس وينهى عن منكر...

نعم الصحبة ارتباط جليل برسول الله ﷺ، وقرب منه ﷺ فيه شرف عظيم، ولكنها أمانة كبرى في أعناقهم، ومسؤولية تجب المحافظة عليها و رعايتها، وبالتالي فهي تكليف، إن التزموا بها تمنحهم العدالة، أما من لم يتقيّد بها، فلا يستحق تقديراً ولا حصانةً فضلاً عن منحه صفة العدالة..

وأما في سبب تكفير المشككين الوارد في قوله: «بل من يشكُّ في كفرِ مثل هذا فإنّ كفرهُ متعين؛ لأنه مكذب لما نصّه القرآن في غير موضع من الرضا عنهم والثناء عليهم...».

فهذا بحسب اعتقاده، و إلا فلا نجد في القرآن الكريم نصّاً على عدالة الصحابة، نعم هناك نصّ على الرضا عن المهاجرين والأنصار والثناء عليهم، ولكن بعد التخصيص؛ لأنه ما من عام إلاّ وقد خصّ..

هذا والذي أريد بيانه بشكل واضح وصريح أنّ هذا الاتجاه ليس موجوداً عند عموم المسلمين أبداً، وإنما عند بعضهم، بل عند بعض أتباع الشيخ ابن تيمية، وليس كل أتباعه يؤمنون بهذا الاتجاه الذي يؤمن به.

السابّة أصنافاً وأحكاماً:

يقول الشيخ: «وبالجملة فمن أصناف السابَّة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بكفره، ومنهم من يتردد فيه، وليس هذا موضع الاستقصاء في ذلك، وإنما ذكرنا هذه المسائل؛ لأنها من تمام الكلام في المسألة التي قصدنا لها».

إذن فابن تيمية يقسّم أحكامه لهؤلاء السابّة إلى:

١. صنف من لا ريب في كفره.

٢. صنف من لا يحكم بكفره.

٣. صنف من يتردد فيه.

ثمَّ يحكم عليهم بأنهم زنادقة. «...ولهذا تجدُ عامةَ من ظهر عنه شيءٌ من هذه الأقوال، فإنه يتبيّنُ أنهُ زنديقٌ، وعامَّة الزَّنَادِقَة إنَّمَا يَسْتَتِرُونَ بمذهبهم، وقد ظهرت للهِ فيهم مَثُلات، وَتَوَاتَر النقلُ بأنَّ وجوههم تُمسخُ خنازيرَ في المحيا والممات...».

وهنا لا بدَّ لنا من أن نسأل الشيخ:

أين هي تلك النصوص، التي بلغت حدَّ التواتر ؟!

وفي أيِّ مصدر تواتر النقل فيمن سبّ صحابياً؛ أن وجوههم تمسخ خنازير في المحيا والممات؟!

ثمَّ أين الشيخ من منطق التنزيل العزيز:

ـ الذي وصفَ من جبن وفرَّ من الصحابة في معركة حنين بقوله: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾.[1]

في المجمع: أي وليتم عن عدوكم منهزمين، وتقديره ولّيتموهم أدباركم وانهزمتم.

وفي الجامع... فانهزم جمهور المسلمين ولم يَلْوِ أحدٌ على أحد، وفيها يقول العباس بن عبد المطلب:

نصرْنا رسولَ الله في الحرب تسعة
وقد فرّ مَن قد فرّ عنه وأقشعوا
وعاشرُنا لاقَى الحمام بنفسه
بما مَسّه في الله لا يتوَجّع

وثبتت أمّ سُليم في جملة من ثبت، مُحْتزمةً ممسكةً بعيراً لأبي طلحة وفي يدها خَنْجر...

ويقول ابن عاشور: والتولّي: الرجوع، و﴿مُدْبِرِينَ﴾ حال: إمّا مؤكّدة لمعنى ﴿وَلَّيْتُمْ﴾. أو أريد بها إدبار أخص من التولّي، لأنّ التولّي مطلق يكون للهروب، ويكون للفرّ في حِيل الحروب، والإدبار شائع في الفرار الذي لم يقصد به حيلة، فيكون الفرق بينه وبين التولّي اصطلاحاً حربياً.

وقد نهاهم الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوۤاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ ٱلأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً

١ . سورة التوبة: ٢٥.

﴿إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.[1]

وتولية الأدبار كناية عن الفرار من العدو... تعين أنّ المفاد من قوله: ﴿فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبارَ﴾ النهي عن الفرار قبل النصر أو القتل... وهذا غضب الله عليه في الدنيا المستحق الذم وغيره مما عسى أن يحرمه عناية الله تعالى في الدنيا، ثم يترتب عليه المصير إلى عذاب جهنم، وهذا يدل على أنّ توليه الظهر إلى المشركين كبيرة عظيمة.[2]

ـ ووصفَ طائفةً منهم بالبخل حين قال:

﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَيَكُونُوٓاْ أَمْثَالَكُم﴾.[3]

ابن عاشور: وعلى الاحتمالين فقوله: ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ إما مسوق مساق التوبيخ، أو مساق التنبيه على الخطإ في الشح ببذل المال في الجهاد الذي هو محلّ السياق؛ لأن المرء قد يبخل بُخلاً ليس عائداً بخلُه عن نفسه.

ومعنى قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ على الاحتمال الأول فإنما يبْخل عن نفسه إذ يتمكن عدّوه من التسلط عليه فعاد بُخله بالضر عليه، وعلى الاحتمال الثاني فإنما يبْخل عن نفسه بحرمانها من ثواب الإنفاق.

والقصر المستفاد من ﴿إِنَّمَا﴾ قصر قلب باعتبار لازم بُخله؛ لأنّ الباخل اعتقد أنه منع من دَعاه إلى الإنفاق، ولكن لازم بخله عاد عليه بحرمان

١ . الأنفال: ١٥ – ١٦.

٢ . أنظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ؛ وتفسير مجمع البيان، للشيخ الطبرسي ؛ والتحرير والتنوير، لابن عاشور: الآية ٢٥ من سورة التوبة، وسورة الأنفال: ١٥– ١٦.

٣ . سورة محمد: ٣٨.

نفسه من منافع ذلك الإنفاق، فالقصر مجاز مرسل مركَّب. وفعل (بخل) يتعدى بـ (عن) لما فيه من معنى الإمساك ويتعدى بـ (على) لما فيه من معنى التضييق على المبخول عليه. وقد عدي هنا بحرف (عن).[1]

الشيخ الطبرسي: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ لأنه يحرمها مثوبة جسيمة ويلزمها عقوبة عظيمة، وهذه إشارة إلى أن معطي المال أحوج إليه من الفقير الآخذ، فبخله بخل على نفسه وذلك أشد البخل قال مقاتل: إنما يبخل بالخير والفضل في الآخرة عن نفسه. وقيل: معناه فإنما يبخل بداع عن نفسه يدعوه إلى البخل ،فإنّ الله تعالى نهى عن البخل وذمه فلايكون البخل بداع من جهته.[2]

.. وأمّا ميسورو الحال منهم فقد بخلوا، أو خافوا الفقر والعَيلة من تقديم صدقات، وحتى هذه لا تخلو من سوء ظنٍّ، كما في الآية:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نَاجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلاَةَ وَآتُواْ ٱلزَّكَاةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.[3]

عن مقاتل بن حيان: نزلت الآية في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته، ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره رسول الله ﷺ ذلك من طول جلوسهم ومناجاتهم، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية، فأمر بالصدقة عند المناجاة، فأما أهل العُسرة فلم يجدوا

---

١ . تفسير التحرير والتنوير: الآية.

٢ . أنظر مجمع البيان في تفسير القرآن: الآية.

٣ . المجادلة: ١٢ – ١٣.

شيئاً، وأما أهل الميسرة فبخلوا، واشتد ذلك على أصحاب النبيﷺ فنزلت الرخصة. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ**﴾ كان لي دينار فبعته بدراهم، وكنت إذا ناجيت الرسول، تصدقت بدرهم حتى نفد؛ فنسخت بالآية الأخرى: ﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ**﴾.[1]».

إذن فقد بخل الموسرون من الصحابة كما في الخبر أعلاه: «وأما أهل الميسرة فبخلوا» والبخل صفة ذميمة، فوصف هذا الفريق بها، يقابلها صفة الجود؟!

فكيف يمكن أن يقاس كلام ابن تيمية إلى المنطق القرآني هذا، ولما قاله المفسرون؟!

وأين الشيخ من الأحاديث الواردة والأخبار الواضحة، والأقوال الصريحة، التي تفاضل بين الصحابة وتميّز بينهم مثل: (أعلمكم فلان.. أقضاكم.. أشجعكم.. أتقاكم... أفرضكم، أعرفكم.. أعدلكم، وكذا **أقضانا**، أقرؤنا، **وأقرؤهم**...؟!

وبالتالي تبيّن أنّ فيهم من هو الأعلم والأقضى والأعدل..، وفيهم ما دون ذلك، أو فيهم من ليس له من ذلك شيءٌ، وهو ما قد نستفيده ولو من مفهوم هذه الروايات والأقوال، والتي منها:

فعن رسول اللهﷺ أنّه قال: «أقضاهم علي» أي أقضى الأصحاب، وفي رواية أخرى أنّهﷺ قال: «أقضاها علي» أي الأمّة جمعاء..

---

١ . أنظر أسباب نزول القرآن، للواحدي: السورة والآيتان.

وروي أنه صلى الله عليه وآله قال: «أقضاكم علي، وأفرضكم زيد، وأعرفكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل» عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «..**وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت..**». وهكذا ورد «**أقضاهم عليٌّ، أقضى أمتي عليٌّ..**».

ويبدو أنّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب؛ لأنّه سمعها في مواقف عديدة، اقتبس ذلك، وغدا يردد لفظ «أقضانا علي بن أبي طالب» أو «علي أقضانا»، كما في أخبار عديدة، كان منها:

ما روي عن ابن عباس قال: قال عمر: علي أقضانا وأبيّ أقرؤنا.. ومثلها روايتان أخريان عن ابن عباس وسعيد بن جبير.[1]

هذا، وقال القاضي أبو بكر بن العربي: فأما علم القضاء فلعمر إلهك، إنه لنوع من العلم مجرّد، وفصل منه مؤكد، غير معرفة الأحكام والبصر بالحلال والحرام، ففي الحديث: «أقضاكم علي، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل».[2]

فوفق هذه الروايات والأقوال وغيرها، نجد أنَّ هناك تفاضلاً بين الصحابة، وأنَّ بها رُجح كلٌّ واحد من الصحابة على غيره في علم من

١ . أنظر في كل هذا صحيح البخاري ٤ : ١٦٢٨. قال ابن حجر في فتح الباري ٨ : ١٦٧ في شرحه الحديث المذكور: «وأما قوله: وأقضانا عليّ، فورد في حديث مرفوع أيضاً عن أنس رفعه: أقضى أمتي علي بن أبي طالب؛ والرياض **النضرة**٢: ١٩٨؛ ومسند الإمام أحمد٥ :١١٣؛ وسنن ابن ماجة١: ١٥٤،٥٥ بتعليق الألباني ؛ وأيضاً المستصفى، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي(ت ٥٠٥ هجرية) طبعه وصححه محمد بن السلام عبد الشافي، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان: ١٧٠ ؛ والإحكام في أصول الأحكام، للآمدي(ت٦٣١ هجرية)، وقد علّق عليه العلامة الشيخ عبدالرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي٤: ٢٣٧.

٢ . أنظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي١٥: ١٦٢.

العلوم، وفي معرفة دون أخرى، وحتى في مواقفهم، وفيما قاموا به من جهاد أو عبادة أو وظيفة يؤدونها، وقد تدلُّ على أنّ طائفةً منهم لم يكن لها نصيب منها، أو أنها لم تتميّز ولو بمنقبة ما..؟!

ثمَّ كيف يوجه الشيخ ابن تيمية الأحاديث التي وردت عن رسول الله ﷺ في عمار بن ياسر، والتي منها:

عن أبي سعيد الخدري قال: كنا نحمل في بناء المسجد لبنة لبنة، وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين، قال: فرأه رسول الله ﷺ فجعل ينفض التراب عنه، ويقول: يا عمار ألا تحمل لبنة كما يحمل أصحابك؟ قال: إني أريد الأجر من الله.

قال: فجعل ينفض التراب عنه، ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار».[1]

١ . صحيح البخاري:٣٤٦ ورواه أيضاً في ٢٦٥٧. ٢: ٨٧ ؛ ومسند أحمد٣: ٩١؛ سنن الترمذي:٥٤٢؛ والسيرة النبوية، لابن هشام٢: ٤٩٦ ـ ٤٩٧.

وقد اتفقت الكلمة على أنّ الفئة الباغية هم معاوية وأصحابه، وكان في جيش معاوية جملة من الصحابة، ومنهم عمرو بن العاص، والذي حين سُئل عن عمار بن ياسر، قالوا: قتيلكم يوم صفين؟! ولم ينكر ذلك، بل أجاب قائلاً: قد والله قتلناه؟![1]

ثمَّ ماذا يقول الشيخ ابن تيمية عن الروايات، التي جاءت في باب الحوض وغيره بأسانيد عديدة، ومتون متشابهة، والتي تبيّن أنّ جملة من الصحابة، قد ارتدوا بعد رسول الله ﷺ، أحدثوا بعد رسول الله ﷺ، غيّروا بعد رسول الله ﷺ، بدّلوا بعد رسول الله ﷺ، وهي العناوين نفسها، التي نصّت عليها تلك الروايات في أهم صحاح مدرسة الصحابة، فقد ذكرها البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الصحاح وسائر السنن، وهذه بعضها بالعناوين المذكورة:

ارتدوا

ما جاء عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «بينا أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم».[2]

أحدثوا

عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «ليردن عليَّ ناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما

---

١ . مختصر تاريخ دمشق١٨: ٢١٤.

٢ . صحيح البخاري٥: ٢٤٠٧ رواية رقم: ٦٢١٥.

أحدثوا بعدك».[1]

أحدثوا، وغيّروا

عن سهل بن سعد قال: قال النبيﷺ: «أنا فرطكم على الحوض من مرَّ عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً؛ ليردنَّ عليَّ أقوام، أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم؛ ثمَّ يحال بيني وبينهم؛ قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش، فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم؛ فقال: اشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته، وهو يزيد فيها، فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي».[2]

بدّلوا

عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم».

قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش، وأنا أحدثهم هذا فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، فقال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه، قال: إنهم مني. فيقال: إنك لا تدري ما بدّلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي.[3]

---

١ . المصدرالسابق٨ : ١٢٠ كتاب الرقاق، الحديث: ٦٠٩٦.

٢ . المصدر السابق٨ : ١٢١ الحديث : ١٠٩٧، وكتاب الفتن ، الحديث : ٦٥٢٨.

٣ . المصدر السابق٦: ٢٥٨٧ رواية رقم: ٦٦٤٣. الفرط بفتح الفاء والراء الذي يتقدم الوارد ليُصلح لهم، فقولهﷺ: أنا فرطكم على الحوض: سابقكم إليه كالمهيِّئ له. والحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء.

عن ابن عباس أنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة، فقال: يا أيها الناس! إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً (غير مختونين) ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.[1] ألا وإنّ أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام! ألا وإنّه سيجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يارب أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح:

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.[2]

قال: فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم؟![3]

هذا وأن النبيَّ ﷺ نسب إليه، أنَّه قال لشهداء أحد: هؤلاء أشهد عليهم.

فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟!

فقال رسول الله ﷺ: «بلى ولكن لا أدري ما تُحدثون بعدي».

فبكى أبو بكر، ثمَّ بكى، ثمَّ قال: أَئنا لكائنون بعدك.[4]

---

١ . الأنبياء: ١٠٤.

٢ . المائدة: ١١٧ – ١١٨.

٣ . هذا ما أخرجه كلٌّ من البخاري ومسلم وابن حبان في صحاحهم بأسانيدهم جميعاً عن ابن عباس، واللفظ لمسلم. فانظر صحيح مسلم٤ : ٢١٩٤ رواية رقم: ٢٨٦٠، صحيح البخاري ٤: ١٦١٩ رواية رقم: ٤٣٤٩ و ٥/ ٢٣٩١ رواية رقم: ٦١٦١.
صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، حقّقه وخرج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرنووط ١٦: ٣٤٣ رقم: ٧٣٤٦.

٤ . أنظر كتاب الموطأ، للإمام مالك٢، كتاب الجهاد، ١٤ـ باب الشهداء في سبيل الله:٩٩٣.

ثم كيف يحكم الشيخ بتأديب وتعزير إنسان أو بكفره وأيضاً بزندقته، وأنه تواتر النقل أنه ممسوخ على صورة الخنازير، ولربما استند هذا الإنسان إلى مثل هذه الروايات في الصحاح، ولربما اجتهد فأخطأ حسب القاعدة المعمول بها؟!

ثمَّ ماذا يقول عن صحابة، أقيم عليهم الحدُّ في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وفي زمن الخلفاء الثلاثة من بعده صلى الله عليه وآله...؟! وإن كان عددهم ضئيلاً جدًّا، إذا ما قورنوا بأعداد الصحابة الآخرين، كالنعيمان بن عمرو، الذي ورد فيه عن عقبة بن الحارث أنَّ النبيَّ أُتي بنعيمان، أو بابن نعيمان، وهو سكران فشقَّ عليه، وأمر من في البيت أن يضربوه، فضربوه بالجريد والنعال، وكنتُ فيمن ضربه.

وكأبي محجن الثقفي، الذي عرف بإدمانه على شرب الخمر، حتى أنه لايقلع عن ذلك وإن عوقب مرات بالجلد، فما أن يجلد حتى يعود لشربها؛ فلما أكثر عليهم سجنوه وأوثقوه.. ولشدة تعلقه بالخمر راح يوصي ابنه قائلاً:

إذا مِتُّ فَادْفَنّي إلى جَنْبِ كَرْمَةٍ
تُرَّوي عِظامِي بَعْدَ مَوْتِي عُروقُها
وَلا تَدْفِنَنِّي فِي الفَــلاةِ فَإنَنِّــي
أخافُ إذَا ما مِـتُّ أنْ لا أَذُوقُها

وقد جلده عمر الحدّ عليها مراراً، ونفاه إلى جزيرة في البحر؛ فلحق بسعد، فكتب إليه عمر أن يحبسه فحبسه...

وفي خبر: أنَّ عمر بن الخطاب ضرب ابنه عبيد الله في الشراب، هو وجماعة معه، وضرب أبا محجن الثقفي في الشراب أيضاً سبع مرات، وضرب معه ربيعة بن أمية بن خلف...

العصبة:

والعصبة، جماعة من الصحابة، عدول باعتقادهم، ولا يسمحون لأحد بأن يناقش أقوالهم فضلاً عن أفعالهم وتصرفاتهم، تلك التي اختلقت حادثة الإفك، التي يقول عنها وعنهم التنزيل العزيز:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِّنْهُمْ مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلإِثْمِ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ حسان بن ثابت، مسطح بن أثاثة، حمنة بنت جحش، ولربما كان هناك غيرهم؛ لأنّ العصبة فيها أقوال: ثلاثة أو أربعة إلى العشرة.

﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾: عبدالله بن أبيّ بن سلول، رأس المنافقين.

فقد روى محمد بن إسحاق وغيره: أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم جلد في الإفك رجلين وامرأة: مِسْطَحاً وحسان وحَمْنَة.

فهؤلاء إذا كانوا جميعاً من العدول، ومن الموثوقين، وممن اجتهدوا فأخطأوا، وبالتالي لا يصحّ انتقادهم، فلماذا أُقيمت الحدود عليهم؟![1]

ثمَّ ألَم يشنّ الخليفة الأول حروباً طاحنةً على طوائف من المسلمين سمّوا بالمرتدين، حين جهّز أحد عشر جيشاً كاملاً، ووضع على كل جيش قائداً كخالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، وعمرو بن العاص، وغيرهم؟!

وماذا يقول أصحاب نظرية عدالة الصحابة عما كان يقع بين الصحابة

---

١ . أنظر في هذه الحدود كلاً من صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب الضرب بالجريد والنعال رقم ٦٣٩٣، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي؛ ومجمع البيان، للشيخ الطوسي، تفسير الآية ٢١٩ من سورة البقرة، وتفسير سورة النور، الآية١١؛ والبداية والنهاية، لابن كثير٩: ٦٤١ سنة أربع عشرة من الهجرة ـ غزوة القادسية ؛ وصحيح مسلم٥ : ١٢٥ ـ ١٢٦؛ والسنن الكبرى، للبيهقي٨ : ٣١٢؛ ومصادر أخرى.

أنفسهم من انتقادات ومن قدح ومن تسقيط..؟!

وكيف يوجه ما يقرُّ بأن بعض الصحابة كان يكفّر بعضهم بعضاً، ويبغض بعضهم بعضاً، ويسبُّ ويشتم بعضهم بعضاً، فعبارته واضحة وجلية، وهي مثال واضح على ذلك:

(وقد علم قدح كثير من الصحابة في علي...).

فصريح الكلام أنّ كثيراً من الصحابة كانوا يقدحون في عليٍّ، و ليس فقط ينتقدون، بل يقدحون، والقدح قد يكون أبلغ من النقد، فهم يقدحون بإيمانه، بإسلامه، وبثقته، وبعدالته..!

ثمَّ هو لا يكتفي بما يدور بين الصحابة، بل يوسع الدائرة لتضمّ لا فقط الصحابة، بل تضمّ التابعين أيضاً حيث راحوا جميعاً يؤدون ما هو أوسع من القدح والبغض والسبِّ، ألا وهو القتال، وقد جاء النصُّ التالي من الشيخ يبيّن لنا تفصيلاً لما كانوا يقومون به، فيقول:

(ولم يكن كذلك علي، فإنَّ كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبونه ويقاتلونه...).[1]

إذن فعلى أساس كلِّ هذا، واستناداً لمبناه الذي صرح به في مقالته أعلاه: (وأما من سبهم سبّاً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم... وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا... أو أنهم فسَّقوا عامتهم... ولهذا تجدُ عامةَ

١ . أنظر هاتين العبارتين في منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، طبع سنة (١٤١١) من الهجرة٧: ١٤٧، تحت فصل قال الرافضي: البرهان الخامس عشر: قوله تعالى: ﴿**وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ**﴾. روى أبونُعيم بإسناده عن أبي سعيد الخدري...؛ وصفحة١٣٧ تحت فصل: قال الرافضي: والبرهان الثاني عشر قوله تعالى: ﴿**إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًّا**﴾ سورة مريم:٩٦.

من ظهر عنه شيءٌ من هذه الأقوال، فإنه يتبيّنُ أنهُ زنديقٌ،... وقد ظهرت للهِ فيهم مَثُلات، وَتَوَاتَرَ النقلُ بأنَّ وجوههم تُمسخُ خنازيرَ في المحيا والممات).

ولما ذكره في مقولته الآخرى: (وقد علم قدح كثير من الصحابة في علي)،(فإنّ كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبونه ويقاتلونه). وعليٌّ أقلُّ ما يقال فيه: إنه صحابيٌّ، وهو مما لا شك فيه عندهم.. على هذا ووفقاً لما تبنّاه لابدَّ أنَّ كثيراً من الصحابة والتابعين إمّا كانوا يستحقون الـتأديب والتعزير، وإمّا أنهم كفارٌ، وبالتالي يحكم عليهم جميعاً أنّهم زنادقة تمسخ وجوههم خنازير..!

وقفة قصيرة:

إنَّ عبارات الشيخ تلك التي تخصُّ الموقف من الإمام عليٍّ عليه السلام، تكشف عن كيفية التعامل الذي كان جارياً ـ وفقاً لما يقوله ابن تيمية ـ مع واحد من الصحابة وهو علي بن أبي طالب، إذ هو صحابيٌّ، أقول هذا وأكتفي به تنزلاً مع مبنى مدرسة الصحابة، التي لا شك لديها في حمله لهذه الصفة، بل ولصفات أخرى؛ فهو من المهاجرين، وهو الخليفة الرابع على حدٍّ زعم هذه المدرسة، وهو صهر لرسول الله صلى الله عليه وآله وهو واحد من أهل البيت الذين نزلت فيهم آية التطهير:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.[1]

وهو وجه من الوجوه التي باهلَ بها رسولُ الله صلى الله عليه وآله النصارى، كما في آية المباهلة:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ

١ . سورة الأحزاب:٣٣.

﴿وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.[1]

وهو من القربى الذين أمر الله سبحانه وتعالى بمودتهم في صريح الآية: ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.[2]

ولم يثبت في القرآن وجوب المودة لأحد إلا للقربى، إلى ما شاء الله من الأمور التي ذكرتها صحاحهم... فضلاً عن كونه _ وفقاً لمدرسة أهل البيت _ إماماً معصوماً...

إنّ ذلك التعامل الذي تحدث عنه الشيخ أقلّ ما يقال فيه: تعامل ما أسوأه!

فهم لا يقولون عنه: إنه قليل العلم، أو إنه ليس زاهداً.. بل يتجاوزن ذلك حتى بلغوا كلَّ درجات السبّ والشتم والبغض، وحتى وصلوا إلى قتاله ومحاربته، وهم يعلمون أنّ سبّه سبٌّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وقتالَه قتالٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله. فهم ولجوا في تعاملهم مع عليٍّ الدائرة التي توجب كفرهم، على حدِّ تعبير الشيخ ابن تيمية، اللهم إلا أن يكون كلامه يجري فيمن لو سُبَّ أو قوتل غير عليٍّ لوجب كفره!

منطق آخر:

وأنَّ بين أيديهم منطقاً آخر ألا وهو: (اجتهد فأخطأ) الذي راحوا يوجهون به المواقف السلبية لبعض الصحابة من الإمام عليٍّ عليه السلام؛ فكلّ من قاتل عليّاً، وكلّ من سبَّ عليّاً، وكلّ من أبغض عليّاً، فإنه يدخل تحت دائرة الاجتهاد المزعوم هذا، وبالتالي فهو مأجور؛ لأن المجتهد إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجرٌ..

١ . سورة آل عمران:٦١.

٢ . سورة الشورى:٢٣.

فطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، ومن معهم في قتالهم للإمام علي عليه السلام في واقعة الجمل، اجتهدوا فأخطأوا!

ومعاوية بن أبي سفيان ومعه عمرو بن العاص ومن تبعهما حين تمرّدوا على الإمام علي عليه السلام وبغوا عليه وقاتلوه في صفين، اجتهدوا فأخطأوا!

إذن هؤلاء جميعاً ليسوا معذورين فقط عند الله سبحانه وتعالى، بل هم مأجورون عنده..

فهم طبقوا ما روي من أنه صلى الله عليه وآله قال: «من اجتهد فأخطأ، فله أجر واحد، ومن اجتهد فأصاب، له أجران». على أفعال الصحابة وأقوالهم. وأنَّ هذه القاعدة مختصة بالصحابي ولا تشمل غير الصحابي. فمن يسبّ صحابياً ،

وهو ليس من الصحابة، لا تنطبق عليه أنه اجتهد فأخطأ.. وبالتالي ووفقاً لهذه النظرية إذا وجدتم صحابياً يشتم أو يسب أو يلعن صحابياً، أو يقاتل صحابياً أو يقتل صحابياً، وإن بلغت الدماء ما بلغت، فهو غير مؤاخذ بل هو مأجور؛ لأنه يدخل تحت دائرة اجتهد فأخطأ.. فيا أسوأه من تطبيق لهذه القاعدة أو النظرية! التي تمسّك بها الشيخ ابن تيمية ومن تبعه، وحاولوا أن يوجهوا عمل الصحابة في موارد السب والقدح والبغض والمقاتلة والمحاربة، وبالتالي فهم مأجورون، وكأنّهم بأجمعهم استوفوا شروط الاجتهاد، وبذلوا جهدهم في النصوص، واستنبطوا بما يملكونه من أدوات علمية، وبإخلاص وصدق وورع، جوازَ شتمّ عليٍّ وبغضَه بل وقتاله! وأنه أمر مسموح به فقط للصحابة وللتابعين دون غيرهم من المسلمين، الذين إن فعلوا ولو شيئاً يسيراً من ذلك، فالتأديب والتعزير ينتظرهم، وإلا فالتكفير والزندقة تلاحقهم، ثمَّ المسوخ، كلُّ هذا لهم بالمرصاد، فيا أولئك الصحابة والتابعون لهم بإحسان يؤجرون ويثابون![1]

عليٌّ عليه السلام ونصوص فيه:

وهنا لا بد لي من العودة إلى النصوص الواردة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في عليٍّ عليه السلام، وعلى ضوء ما تدلّ عليه نرى:

هل تقبل هذه الأحاديثُ تلكَ المواقف منهم، وذلك التخريج أو التوجيه

١ . أنظر شرح كتاب «الاعتصام بالكتاب و السنة» من صحح الإمام البخاري (٥٦) أجر العالم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، الباب الحادي والعشرون: باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.٧٣٥٢، وفيه بحث مفصّل عما نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا حكم الحاكم فاجتهد، ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد، ثم أخطأ فله أجر». وفي مسند أحمد بن حنبل٤: ١٩٨ (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر) وكلاهما عن عمرو بن العاص.

لها، أو أنَّ هذه النصوص مخالفة لتلك المواقف وتخريجها وتوجيهها؟

وهل من استند إلى تلك المواقف من البغض والسبِّ والقتال للإمام عليٍّ، يمكنه الخلاص من دائرة النفاق؟

وهل تنجيه تلك القاعدة البائسة التطبيق من الدرك الأسفل من النار، الذي ينتظر المنافقين: ﴿**إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً**﴾؟![1]

إنَّ (كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبونه ويقاتلونه) كما هو نصُّ الشيخ، لا يمكن أن يكون مصداقاً لنظرية (اجتهد فأصاب فله أجران، واجتهد فأخطأ فله أجر) بل هو كلام باطل جزماً، وإن صدق على غير عليٍّ، فلا يصدق على عليٍّ، خصوصاً وأنّ عليّاً عليه السلام قد اقترن حبُّه بالإيمان، واقترن الإيمانُ بحبِّه، فلا يمكن لمؤمن إلا أن يحبَّ عليّاً. فيما اقترن بغضُه بالنفاق فلا يبغضه إلا من كان منافقاً. وهذا ما تُحدثنا عنه أحاديثُ وردت بحقّه، وأمامنا نماذج منها:

فعن عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش، عن عليٍّ عليه السلام، قال: «لقد عهد إليَّ النبيُّ الأميُّ أنه لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق».[2]

ومن ذلك ما رُوي عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: «وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ إِلَيَّ، أَنَّهُ لاَ يُحِبُّكَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُكَ إِلاَّ مُنَافِقٌ»، رواهُ مسلمُ.[3]

---

١ . سورة النساء: ١٤٥.

٢ . جامع الترمذي: ٥٨٣، كتاب (٤٥)، باب٢٠ من كتاب المناقب الحديث (٣٧٣٦).

٣ . صحيح مسلم: ٦٠، الحديث رقم (١٣١) كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حبَّ الأنصار وعليٍّ من الإيمان وعلاماته؛ وانظر الصارم المسلول: ٥٨١. تجد الشيخ ابن تيمية نفسه يذكر ما روي في هذا الخصوص، ومنه هذه الرواية.

وعن قيس بن مسلم، عن عبدالله الجدلي، عن أبي ذر، قال: ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلّف عن الصلوات، والبغض لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.[1]

ثمَّ يقول الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، يعني لم يخرجه لا البخاري ولا مسلم، ولذا نجد بأن العلاّمة الكبير الآلوسي البغدادي في تفسيره الكبير، وهو من أعلام مدرسة الصحابة لا من أعلام مدرسة أهل البيت عليهم السلام، يقول: وذكروا من علامات النفاق بغض عليٍّ كرّم الله تعالى وجهه. فقد أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ ببغضهم علي بن أبـي طالب. وأخرج هو وابن عساكر عن أبـي سعيد الخدري مايؤيده، وعندي أن بغضه رضي الله تعالى عنه من أقوى علامات النفاق، فإن آمنت بذلك، فيا ليت شعري ماذا تقول في يزيد الطريد، أكان يحب عليّاً كرم الله تعالى وجهه أم كان يبغضه؟! ولا أظنك في مرية من أنه عليه اللعنة كان يبغضه رضي الله تعالى عنه أشدَّ البغض، وكذا يبغض ولديه الحسن والحسين على جدهما وأبويهما وعليهما الصلاة والسلام، كما تدلّ على ذلك الآثار المتواترة معنىً، وحينئذٍ لا مجال لك من القول بأن اللعين كان منافقاً. وقد جاء في الأحاديث الصحيحة علامات للنفاق غير ما ذكر كقوله عليه الصلاة والسلام: «علامات المنافق ثلاث... الحديث». لكن قال العلماء: هي علامات للنفاق العملي لا الإيماني، وقيل: الحديث خارج مخرج التنفير عن اتصاف المؤمن المخلص بشيء منها؛ لما أنها كانت إذ ذاك

١ . المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، دار الفكر، الجزء الثالث:١٢٩.

من علامات المنافقين.[1]

النتيجة:

بعد أن عرفنا أنَّ بغض علي بن أبي طالب عليه السلام هو إحدى علامات المنافقين. فإنَّ النتيجة التي أريد أن أصل إليها هي:

إذا كان بغض عليٍّ من قبل فريق من الصحابة، تشمله قاعدة (من اجتهد فأخطأ...) فهم ليسوا من أهل النار، بل هم مأجورون على عملهم هذا. وحينئذ يأتي السؤال التالي:

أين هم من تلك الأحاديث، التي تجعل من يبغض عليّاً من المنافقين، وهو صريح قول رسول الله صلى الله عليه وآله. وبالتالي فهم منافقون، أَوليس الجدير بهم أن يتجنبوا هذا السلوك، وما يترتب عليه من نتيجة ما أسوأَها! نهاية لا أظن أنَّ هناك عاقلاً يقبل أن يردي نفسه فيها، ألا وهي ﴿اَلدَّرۡكِ اَلۡأَسۡفَلِ مِنَ اَلنَّارِ﴾ كما هو صريح التنزيل العزيز، وهي طبقة في أقصى قعر جهنم؟!

وإذا كانوا مأجورين بحسب قاعدة من اجتهد فأخطأ فله أجر، فلماذا يصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالنفاق، والمنافق ليس مأجوراً على عمله هذا؟!

إذن فهنا قولان:

القول الأول: ينطلق من تلك النصوص عن رسول الله صلى الله عليه وآله، التي ذكرنا بعضها، وهي إما تخاطبه «... أَنَّهُ لاَ يُحِبُّكَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُكَ إِلاَّ مُنَافِقٌ...» وإما تصرح بأنّ بغض عليٍّ علامةً على النفاق، وقد عدّت واحدةً من علامات يُعرف بها المنافقون. كما أنَّ حبَّه علامة على الإيمان، حتى عدّ

١ . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي: سورة محمد الآية ٣٠.

حبُّه والإيمانُ أمرين مقترنين، لا ينفكّان. وما وجود أداة الاستثناء والحصر (إلاَّ) إلا دليلاً على ذلك التلازم والاقتران.

فيما القول الثاني، الذي يذهب إلى أنَّ كلَّ من سبّ عليّاً أو أبغض عليّاً أو حارب عليّاً وقاتله، فهو يدخل تحت دائرة (من اجتهد فأخطأ فله أجر) وبالتالي فهو ليس من أهل النار، بل هو مأجور على عمله، كما يقول ابن كثير:

«...أنّ عليّاً هو المصيب وإن كان معاوية مجتهداً، وهو مأجور إن شاء الله، ولكن علي هو الإمام فله أجران، كما ثبت في صحيح البخاري ومن حديث عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر».[1]

إذن فمن قاتل عليّاً مأجور إن شاء الله.. وبالتالي فهو ليس منافقاً.

فصار عندنا قولان، والأمر إليك أيها القارئ: أن تقبل قول رسول الله ﷺ أو تقبل قول السلفية!!

ثمَّ إنّ هذين القولين يكشفان عن وجود تناقض بين نظرية (اجتهد فأخطأ) وتطبيقها على بغض الصحابة لعليّ عليه السلام وسبّهم له... فيكون من سبَّ علياً مأجوراً، و من قاتل علياً فهو مأجور... وبين أنّ هؤلاء الصحابة الذين يبغضون علياً منافقون، كما حمله النصُّ الصريح لرسول الله ﷺ الذي يقول عنه التنزيل العزيز: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾.[2]

ومع هذا التناقض الذي تحمله هذه النظرية، فإنها نظرية تعدُّ باطلةً حين

---

١ . أنظر البداية والنهاية، لابن كثير٧ :٢٧٩.

٢ . سورة النجم: ٣ ـ ٤.

تنتقض ولو بنفر واحد كما يقولون: إنّ الموجبة الكلية تنتقض بالسالبة الجزئية، بمعنى لو خرج عشرة من الصحابة بهذا المنطق، فهي نظرية باطلة..

إضافةً إلى أنها نظرية سقيمة مريضة معلولة.. وبالتالي لا يقول بها إنسان يحترم عقله.

هذا وأنَّ دعوى أنّ الشيخ ابن تيمية لا يكفر أحداً، ولا يحكم بالزندقة على أحد. منقوضة بما صرح به، فقد وجدناه لا فقط يكفّر جماعة كبيرة من المسلمين، بل يكفّر حتى من يشك في كفرهم.

علماً بأنَّ عموم المسلمين في الأعم الأغلب لا يكفرون من يسبّ بعض الصحابة أو ينتقدهم.. كما أننا بحمد الله تعالى ليس من منهجنا السبّ، وهو منهج مدرسة أهل البيت عليهم السلام، و إذا ما انتقدنا بعض الصحابة لفعل صدر منهم إنما هو يقع تبعاً لنصوص قطعية واردة في صحاحهم.

هذه هي خلاصة نظرية مدرسة **ابن تيمية** وتلامذته، وهذا هو منهجهم، والاتجاه الذي هم عليه، والنقوض عليها كثيرة إضافة إلى ما ذكرناه..

آراء ابن تيمية في النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام :

أمّا لماذا الشيخ ابن تيمية؟!

إنَّ الذي دفعنا لاختيار الشيخ، هو:

أولاً: أنَّ الوقوف عند آراء أحد، إنما يكون لأحد عاملين:

العامل الأول: أن له مجموعة من الآراء والنظريات والأفكار العميقة والمهمة في مختلف الأبواب العلمية سواء أَكانت دينيةً أم كانت فلسفيةً أو عرفانيةً، أو كان لها ارتباط بأي علم من العلوم الأُخرى وهي عديدة بل كثيرة في عالمنا؛ لنتعرف على آرائه تلك وعمقها، ومدى سعة أقواله فيها وأهميتها..

العامل الثاني: أن الذي نريد أن نقف عنده ليس بالضرورة له آراء عميقة، وله نظريات جديدة ومفيدة، وإنما هناك جماعة تبنت أفكاره، ورددت أقواله، فصنعت منها مدرسة، وصار هناك اتجاه احتلّ مساحة بين المسلمين، فالوقوف عند هذه النظريات والآراء لا لأهميتها، بل لبيان كونها على الموازين العلمية أو لم تكن كذلك، وأنَّها مما اتفقت كلمة كثير من علماء المسلمين على أنها آراء مجانبة للصواب، وأنها آراء منحرفة، وأنها لا تمت بصلة إلى القرآن والسنّة والنصوص الصريحة الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. وحتى لا يأتي أحدٌ فيطلع عليها، وفي ظنّه أنَّها الحقُّ والصواب.. وأنَّ هدفنا من هذا كلِّه هو كشف الحقائق لا غير.

إذن فهذا العامل الثاني هو الذي يدعوننا للوقوف عند الشيخ ابن تيمية، خصوصاً أنَّ هناك من راح يروّج لأقواله وآرائه، ويجعلها اتجاهاً ذا مكانة في الساحة، ولا يقف عند هذا فقط، بل صار ينسبها إلى علماء الأمّة،

ويسوقها على أنّها نظريات أهل السنّة والجماعة، مع أنَّ هؤلاء بُرَآءٌ من مثل هذه الأفكار.. وهي ليست إلا أفكاراً ونظريات ، لا تتجاوز في شمولها إلا لمجموعة يمكن تسميتها بمدرسة الشيخ ابن تيمية، ولكنهم يدلسون ويوهمون المسلمين أنَّ ما يحملونه من أقواله هي أفكار أهل السنّة والجماعة، وفي الواقع هي أفكار الشيخ، والتي تحكي لنا أيضاً منهجه وتصوّر لنا طريقته في التعامل مع النصوص، وقد انحرف فيها عن عموم علماء المسلمين، وهو ما نجده صريحاً، ولكن بعد أن نقرأ تقييم أعلام للشيخ ابن تيمية ولما تبنّاه..، وهم من مدرسة الصحابة، كما جاء في كلماتهم عنه، حتى يتضح موقفهم من منهجه ومن آرائه في مباحثه العديدة.

فهذا ابن حجر الهيثمي المكي، بعدما استدل على مشروعية زيارة قبر النبيِّ ﷺ بعدة أدلة، منها الإجماع، يقول:

فإن قلت: كيف تحكي الإجماع السابق على مشروعية الزيارة والسفر إليها وطلبها، وابن تيمية من متأخري الحنابلة منكر لمشروعية ذلك كله، كما رواه السبكي في خطه، وأطال ـ أعني ابن تيمية ـ في الاستدلال لذلك بما تمجه الأسماع، وتنفر عنه الطباع، بل زعم حرمة السفر إليها إجماعاً وأنه لا تقصر فيه الصلاة،[1] وأنّ جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة، وتبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه؟

قلت: مَن ابن تيمية حتى يُنظر إليه، أو يُعوَّل في شيء من أمور الدين عليه؟

وهل هو إلاّ كما قال جماعة من الأئمة، الذين تعقبوا كلماته الفاسدة

١ . أي أنّ الإنسان إذا ذهب إلى المدينة المنورة بقصد زيارة النبيِّ ﷺ فإنّ الشيخ ابن تيمية يعدّ سفرَ هذا الإنسان سفر معصية، وزيارة معصية، ولابد أن يتمَّ الصلاة.

وحججه الكاسدة حتى أظهروا عوار سقطاته وقبائح أوهامه وغلطاته كالعز بن جماعة، عبد أضلّه الله تعالى وأغواه وألبسه رداء الخزي وأرداه، وبؤأه من قوة الافتراء والكذب ما أعقبه الهوان، وأوجب له الحرمان. ولقد تصدى شيخ الإسلام، وعالم الأنام، المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وإمامته التقيّ السبكي قدس الله روحه، ونوّر ضريحه للردّ عليه في تصنيف مستقل، أفاد فيه وأجاد وأصاب، وأوضح بباهر حججه طريق الصواب. فشكر الله مسعاه، وأدام عليه شآبيب رحمته ورضاه؛ آمين.

ربه وعاه إذن أفرط وفرّط رجع إلى لبه، لكن إذا غلبت والعياذ بالله تعالى الشقاوة استحكمت الغباوة. فمعاذاً بك اللهم من ذلك وضراعة إليك يارب، عزّت قدرتك في أن تديم لنا سلوك أوضح المسالك هذا، وما وقع من ابن تيمية، مما ذكر، وإن كل عثرة لا تقل أبداً، ومصيبة يستمر عليه شؤمها دوماً سرمداً ليس بعجيب. فإنه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب، وما درى المحروم أنه أتى بأقبح المعايب، إذ خالف إجماعهم في مسائل كثيرة، وتدارك على أئمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهيرة، وأتى من نحو هذه الخرافات بما تمجّه الأسماع، وتنفر عنه الطباع حتى تجاوز إلى الجناب الأقدس منزه سبحانه وتعالى عن كل نقص، والمستحق لكل كمال أنفس. فنسب إليه العظائم والكبائر، وأخرق سياج عظمته وكبرياء جلالته بما أظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم، وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين، حتى قام عليه علماء عصره، وألزموا السلطان بقتله أو حبسه وقهره. فحبسه إلى أن مات، وخمدت تلك البدع، وزالت تلك الظلمات، ثم انتصرت له أتباع لم يرفع الله تعالى لهم رأساً، ولم يظهر لهم جاهاً ولا بأساً، بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة،

وباءوا بغضب من الله، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.

ثمَّ قال تحت عنوان:

تنبيه: ما أحسن ما حكاه السبكي عن بعض الفضلاء، وإن كان فيه كون الزيارة قربة معلومة من الدين بالضرورة، وجاحد محكوم عليه بالكفر، انتهى. فتأمله لتعلم به قبح ما جاء به ابن تيمية، ومن معه أو تابعه،...[1]

وهناك كلمات أخرى لابن حجر الهيثمي المكي حيث يقول: «إنّ ابن تيمية عبد خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمه وأذله، وبذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله، وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد...» إلى آخره.

وقال أيضاً: «وإياك أن تصغي إلى ما في كتب ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم الجوزية، وغيرهما ممن اتخذ إلهه هواه، وأضلّه الله على علم، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، فمن يهديه من بعد الله...».[2]

منهج الشيخ:

بعد أن اتضح من ابن حجر الهيثمي أنّه لا يجعل ابن تيمية يمثل مدرسة أهل السنّة، وليس فقط لا يقدح رأيه في إجماع، بل لا يقبل علمه، ولا ينظر إليه، أو يعول في شيء من أمور الدين عليه.. وهو تحذير جليٌّ من علمٍ من كبار أعلام مدرسة السنة والجماعة، وجدير بأن يؤخذ به، خصوصاً وقد كثرت كلمات ابن تيمية في مختلف الأبواب، وتناثرت في مباحث التوحيد

---

١ . أنظر الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف المكرم، لابن حجر الهيثمي المكي المتوفى سنة (٩٧٣ أو ٩٧٤) من الهجرة، تحقيق الدكتور محمد زينهم محمد عزب، صفحة ٢٩ ـ ٣١.

٢. أنظر الفتاوى الحديثية، لابن حجر الهيثمي، الطبعة الثانية لمصطفى الحلبي صفحة ٢٠٣، ١١٤.

والمعاد والتفسير، وفيما يتعلق بالنبيِّ صلى الله عليه وآله وبالإمام عليٍّ والسيدة الزهراء عليهما السلام، ولعلّه أيضاً فيما يتصل ببعض الصحابة ومنهم الخلفاء، والتي لا مجال لاستعراضها.

وها نحن نحاول أن نقتصر على موارد منها، تتعلق بكلامه حول أهل البيت عليهم السلام؛ لنكتشف منهجه وهو يلقي بدلوه فيها، وسنجده إما كان جاهلاً فيها، وإما كان مدلساً، وإما كان كذّاباً، وأنّ آراءه لا تمثل رأي أعلام مدرسة الصحابة.. وسأستدل على هذا بما يقوله أعلام هذه المدرسة، حتى يتضح أنَّ أهل السنّة والجماعة بُرَآءٌ من منهجه، ومن كثير من آرائه، التي سنشير إليها.

فمن المعلوم عند الجميع أنَّ الإمام عليّاً عليه السلام صحابيٌّ، بل هو من أعلام الصحابة، وهذا أمرٌ لا ينكره أحدٌ، بل هو أقلُّ ما يقال فيه، ونكتفي به تنزلاً لما عليه مدرسة الصحابة. فما هو منهج الشيخ في كتاباته عنه؟

خطوات ثلاث:

إنَّ ما نكتشفه من تتبعنا لما كتبه الشيخ عن الإمام عليٍّ عليه السلام أنَّ الاتجاه العام فيه يقوم على خطوات ثلاث:

الخطوة الأولى: تتمثل هذه الخطوة في تكذيبه أو إنكاره ـ إن أمكنه ـ لأي حديث يبيّن مقاماً أو فضيلةً ومنقبةً لعليٍّ، حتى يجعله من الأحاديث الموضوعة، علماً بأنَّ هناك طائفةً من الأحاديث الثابتة، والمتفق على صحتها بين علماء المسلمين، ولم ينكرها أحدٌ منهم إلا الشيخ ابن تيمية، ويعدّها كذباً.

الخطوة الثانية: فإن لم تسعفه تلك الخطوة، ووجد أن الروايات التي جاءت، لا يمكن إنكارها أو تكذيبها، يحاول أن يجد بدائل أخرى يضيفها للمراد من المنقبة، التي يتوفر عليها الحديث، أي ينفي اختصاصها بمن

وردت فيه، فيذهب إلى أنَّ هذه المنقبة أو تلك الفضيلة ليست منحصرةً بعليٍّ، وإنما هي موجودة عند غيره.

الخطوة الثالثة: وإذا لم يجد طريقاً لا لتلك ولا لهذه، يحاول أن يقرأ النصوص قراءة سلبية، بأن ما ورد ليس مدحاً بل هو ذم..

وحتى نقف على هذه الخطوات، فما علينا إلا الرجوع إلى مؤلفاته وخصوصاً منهاج السنّة، ومجموعة الفتاوى، ففيها موارد كثيرة تصلح أن تكون أمثلة لكل خطوة من هذه الخطوات، التي يسلكها في كلّ ما ورد بحقِّ الإمام عليٍّ عليه السلام، والتي منها:

ـ حديث المنزلة:

فتحت عنوان (المنافقون يرجفون بعليٍّ)

يقول ابن هشام: وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، إلى أهله وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلّفه إلاّ استثقالاً له، وتخفُّفاً منه، فلما قال ذلك المنافقون: أخذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجُرف، فقال: يا نبيَّ الله، زعم المنافقون أنك إنما خلَّفتني أنك استثقلتني، وتخفَّفت مني.

فقال: كذبوا. ولكني خلَّفتك لما تركتُ ورائي، فارجع فاخلُفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبي بعدي؟ فرجع عليٌّ إلى المدينة، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره.[1]

يقول عنه: (.. و التخصيص بالذكر إذا كان لسبب يقتضي ذاك، لم يقتض

١ . السيرة النبوية، لابن هشام، غزوة تبوك.

الاختصاص بالحكم، فليس في الحديث دلالة على أن غيره لم يكن منه بمنزلة هارون من موسى..) وبالتالي فحديث المنزلة، ليس مختصّاً بعليٍّ دون غيره.

ـ حديث الراية:

الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم خيبر:

«... لأعطين الراية رجلاً يحبُّ اللهَ و رسولَه، و يحبُّه اللهُ و رسولُه، يفتح الله على يديه، ليس بفرَّار... يقول سلمة: فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً رضوان الله عليه، وهو أرمد، فتفل في عينه، ثم قال: خذ هذه الراية، فامض حتى يفتح عليك».[1]

يقول عنه: (... و ليس هذا الوصف من خصائص عليٍّ، بل غيره يحبُّ اللهَ و رسولَه ويحبُّهُ اللهُ و رسولُهُ...).

إذن فهو بعد أن يبدأ بنقل مجموعة من الأحاديث الموضوعة أو الصحيحة بحسب مبناه؛ ليثبت من خلالها النتيجة التي يريد الوصول إليها، وهي أن ما ورد ليس من اختصاصات الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، بل هناك من يشاركه فيما تقصده هذه الأحاديث، وبالتالي لا فضل له فيما حملته تلك الروايات من مناقب ومنازل..، وهو منهج معروف عندهم يتلخص بالعبارة التالية: (ما من منقبة إلاّ ولعليٍّ مشارك فيها).[2]

ـ حديث الغدير:

وفي هذا الحديث نقف عند قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: «من كنت

---

١ . المصدر السابق٣: ٣٤٩، خيبر.

٢ . أنظر في هذين الحديثين منهاج السنة٧ : ٣٢٦،٣٦٧. وحول هذا المنهج انظر حديث المنزلة ـ القسم الثالث، للسيد كمال الحيدري.

مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، و انصر من نصره، واخذل من خذله».

وقد ذكرها الشيخ ابن تيمية في ردّه على ما جاء عن الرافضي كما يسميه، ويقصد به ابن المطهر الحلي، صاحب كتاب منهاج الكرامة في إثبات الإمامة.

يقول ابن تيمية:

قال الرافضي: البرهان الثالث، قوله تعالى: ﴿**اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم[1]: «الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي، و بالولاية لعليٍّ من بعدي، ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله».[2]

ثمَّ يقول الشيخ ابن تيمية: والجواب من وجوه:

الوجه الخامس: أن هذا اللفظ وهو قوله: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث.

ثم يقول: (وأما قوله: من كنت مولاه فعلي مولاه) فلهم فيه قولان..[3]

إذن فهو يقسم هذا الحديث، الذي نقله من الرافضي بتعبيره إلى قسمين:

١ . مع أنّ ابن مطهر الحلي، لا يصلي على النبيِّ الصلاة المبتورة، أي بدون (وآله) إلا أنَّ ابن تيمية، وخلافاً للأمانة حذف (وآله) والتي تقتضي أن ينقل النصَّ كما هو.

٢ . منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، لابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، طبعة سنة (١٤١١هـ) بمناسبة افتتاح المدينة الجامعية في المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية٧ : ٥٢.

٣ . المصدر السابق٧ : ٥٢ ، ٥٥.

القسم الأول: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». يقول: كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث.

فيما القسم الثاني: «من كنت مولاه فعلي مولاه» يقول: فيه قولان.. أي فيه اختلاف..

ونجد نصَّ كلامه هذا، بل أوضح منه في كتابه الآخر:

وأما قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه...» فهذا ليس في شيء من الأمهات، إلا في الترمذي. وليس فيه: «ألا من كنت مولاه فعلي مولاه»، وأما الزيادة، فليست في الحديث، وسئل عنها الإمام أحمد،

فقال: زيادة كوفية، ولا ريب أنها كذب لوجوه...

فهذه العبارة: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

يقول عنها هناك: كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث.

ويقول عنها هنا: «.. فليست في الحديث، وسئل عنها الإمام أحمد، فقال: زيادة كوفية».

وأنَّ قولهﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه...» غير موجود في أي مصدر من مصادر علماء المسلمين، ومدرسة الصحابة وأهل السنّة والجماعة، إلاّ في الترمذي. هذا ما توصل إليه الشيخ ابن تيمية.

إذن نأتي إلى المقطع الأول: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه». هل هو موضع خلاف من أحد، أو أنّ ابن تيمية هو الذي يخالف فقط؟

وهل المقطع الثاني: «اللهم وال من والاه» مكذوب ـ زيادة كوفية، أو هو متواتر بين علماء المسلمين؟

مع العلاّمة الألباني في طرق الحديث:

بدايةً لا بدَّ لي من الإشارة إلى أني عندما أنقل عن الألباني، لا يتبادر إلى ذهن أحد أنني أوافقه في كلّ ما يصحّح، وفي كلّ ما يضعف، فالأمر ليس كذلك، وإنما أنقل كلامه في هذا المقام؛ لأنّ هناك تصريحات واضحة من أعلام السلفية الحديثة كالشيخ ابن باز في تعريفه وتوثيقه للعلاّمة الألباني، والشيخ محمد صالح العثيمين أيضاً يمدحه. كما أنَّ هناك كثيراً من علماء المسلمين يرفضون كلامه أو بعض تصحيحاته وتضعيفاته، ولعلّه هو أيضاً رجع عن بعض تضعيفاته وصححها، أو رجع عن بعض تصحيحاته وضعّفها. ولكنه يبقى رجل العلم الذي قبلوه، وهذا ما يجعلني أنقل أقواله وآراءه.

و هنا أكتفي بما يذكره العلامة الألباني حيث يستفتح قوله بذكر نصَّ الحديث:

«من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

ورد من حديث زيد بن أرقم، وسعد بن أبي وقاص، وبريدة بن الحصيب، وعلي بن أبي طالب، وأبي أيوب الأنصاري، والبراء بن عازب، وعبدالله بن عباس، وأنس بن مالك وأبي سعيد، وأبي هريرة. هؤلاء عشرة من الصحابة.

وبعد كلامه هذا، راح يبيّن الطرق لكلٍّ صحابي، مع الروايات التي يذكرونها، والتي يقف الإنسان عندها متحيّراً، ويُهمّشها بمصادرها:

١. حديث زيد، وله عنه طرق خمس:

الأولى: عن أبي الطفيل عنه قال: لما دفع النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ونزل غدير (خم)، أمر بدوحات فقممن، ثم قال: «كأني دعيت فأجبت، وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر:

كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض».

ثم قال: «إنّ الله مولاي وأنا ولي كلِّ مؤمن».

ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: «من كنت وليه، فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».[1]

قلت: سكت عنه الذهبي، وهو كما قال: لولا أنّ حبيباً كان مدلساً وقد عنعنه.

---

١ . أخرجه النسائي في «خصائص عليٍّ»: ١٥ ؛ والحاكم٣ : ١٠٩ ؛ وأحمد١ : ١١٨ وابن أبي عاصم (١٣٦٥) ؛ والطبراني (٤٩٦٩ - ٤٩٧٠) عن سليمان الأعمش قال: حدثنا حبيب بن أبي ثابت عنه وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين».

لكنه لم يتفرد به، فقد تابعه فطر بن خليفة عن أبي الطفيل قال: «جمع علي رضي الله عنه الناس في الرحبة، ثم قال لهم: أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام، فقام ثلاثون من الناس، (وفي رواية: فقام ناس كثير) فشهدوا حين أخذ بيده، فقال للناس:

«أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

قالوا: نعم يا رسول الله.

قال: «من كنت مولاه، فهذا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

قال: فخرجت وكأن في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم، فقلت له: إني سمعت علياً يقول: كذا وكذا، قال: فما تنكر، قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك له».[1]

الثانية: عن ميمون أبي عبدالله...

الثالثة: عن أبي سليمان (المؤذن) عنه...

الرابعة: عن يحيى بن جعدة عن زيد بن أرقم...

الخامسة: عن عطية العوفي قال: سألت زيد بن أرقم..

٢. سعد بن أبي وقاص، وله عنه ثلاث طرق:

الأولى: عن عبد الرحمن بن سابط عنه...

الثانية: عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه به...

الثالثة: عن خيثمة بن عبد الرحمن عنه ...

٣. حديث بريدة، وله عنه ثلاث طرق:

الأولى: عن ابن عباس عنه قال: خرجت مع علي رضي الله عنه إلى

١ . أخرجه أحمد٤ :٣٧٠ ؛ وابن حبان في صحيحه ٢٢٠٥- موارد الظمآن ؛ وابن أبي عاصم ١٣٦٧ و ١٣٦٨ ؛ والطبراني ٤٩٦٨ ؛ والضياء في "المختارة" رقم: ٥٢٧ بتحقيقي...

اليمن، فرأيت منه جفوة، فقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت علياً، فتنقصته، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير وجهه، فقال: «يا بريدة! ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «من كنت مولاه، فعلي مولاه».[1]

الثانية: عن ابن بريدة عن أبيه «أنه مرَّ على مجلس، وهم يتناولون من علي، فوقف عليهم، فقال: إنه قد كان في نفسي على عليٍّ شيء، وكان خالد بن الوليد كذلك، فبعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية عليها عليٌّ، وأصبنا سبياً، قال: فأخذ علي جارية من الخمس لنفسه، فقال خالد بن الوليد: دونك، قال: فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم، جعلت أحدثه بما كان، ثم قلت: إنّ علياً أخذ جارية من الخمس، قال: وكنت رجلاً مكباباً، قال: فرفعت رأسي فإذا وجه رسول الله ﷺ قد تغير، فقال: .. «فذكر الشطر الأول».[2]

الثالثة: عن طاووس عن بريدة ...

٤. علي بن أبي طالب، وله عنه تسع طرق:

الأولى: عن عمرو بن سعيد أنه سمع علياً رضي الله عنه وهو ينشد في الرحبة...

---

١ . أخرجه النسائي والحاكم٣ :١١٠ ؛ وأحمد٥ :٣٤٧ من طريق عبدالملك بن أبي غنية قال: أخبرنا الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وتصحيح الحاكم على شرط مسلم وحده...

٢ . أخرجه النسائي وأحمد٥ : ٥٠ و٣٥٨ و٣٦١. والسياق له من طرق، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة عنه، قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين أو مسلم...

الثانية: عن زاذان بن عمر قال: سمعت علياً في الرحبة...

والثالثة والرابعة: عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالا: نشد عليٌّ الناسَ في الرحبة...

الخامسة: عن شريك أيضاً عن أبي إسحاق عن عمرو ذي مر... وزاد فيه: «وانصر من نصره، واخذل من خذله».

السادسة: عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «شهدت علياً رضي الله عنه

في الرحبة ينشد الناس..». فذكره مثله دون زيادة «وانصر...».

السابعة والثامنة: عن أبي مريم ورجل من جلساء علي عليه السلام عن علي أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم غدير خم... فذكره بدون الزيادة، وزاد: «قال: فزاد الناس بعد: وال من ولاه، وعاد من عاداه».

التاسعة: عن طلحة بن مصرف...

٥. أبو أيوب الأنصاري.

يرويه رياح بن الحارث قال: «جاء رهط إلى علي بالرحبة، فقالوا: السلام عليك يا مولانا، قال: كيف أكون مولاكم، وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم يقول: (فذكره دون الزيادة) قال رياح: فلما مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري».[١]

٦. البراء بن عازب.

يرويه عدي بن ثابت عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا: الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين فصلى الظهر، وأخذ بيد علي رضي الله تعالى عنه، فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟...»، ... وزاد قال: فلقيه عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة.[٢]

٧. ابن عباس.

يرويه عنه عمرو بن ميمون...

٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ أنس بن مالك وأبو سعيد وأبو هريرة.

يرويه عنهم عميرة بن سعد قال: شهدت علياً رضي الله عنه على المنبر

١ . أخرجه أحمد٥ : ٤١٩ ؛ والطبراني ٤٠٥٢ و ٤٠٥٣ من طريق حنش بن الحارث بن لقيط النخعي الأشجعي عن رياح بن الحارث قلت: وهذا إسناد جيد رجاله ثقات. وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد ثقات.

٢ . أخرجه أحمد وابنه في زوائده ٤ : ٢٨١ ؛ وابن ماجة ١١٦ مختصراً...

يناشد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير (خم) يقول ما قال فليشهد. فقام اثنا عشر رجلاً، منهم أبو هريرة وأبو سعيد وأنس بن مالك، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ...[1]

ثمَّ قال العلامة الألباني:

وللحديث طرق أخرى كثيرة جمع طائفة كبيرة، منها الهيثمي في «المجمع».[2] وقد ذكرت وخرجت ما تيسر لي منها مما يقطع الواقف عليها بعد تحقيق الكلام على أسانيدها بصحة الحديث يقيناً، وإلا فهي كثيرة جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، قال الحافظ ابن حجر: منها صحاح ومنها حسان. وجملة القول أن حديث الترجمة حديث صحيح بشطريه، بل الأول منه متواتر عنه صلى الله عليه وسلم.

كما ظهر لمن تتبع أسانيده وطرقه، وما ذكرت منها كفاية. وأما قوله في الطريق الخامسة من حديث علي رضي الله عنه: «وانصر من نصره واخذل من خذله» ففي ثبوته عندي وقفة؛ لعدم ورود ما يجبر ضعفه، وكأنه رواية بالمعنى للشطر الآخر من الحديث: «اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه». ومثله قول عمر لعلي: «أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة». لا يصح أيضاً؛ لتفرد علي بن زيد به كما تقدم.

وبعد بحثه المفصّل هذا، وقد أوجزناه، قال:

إذا عرفت هذا، فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث وبيان

---

١ . أخرجه الطبراني في «الصغير» (ص٣٣- هندية رقم١١٦- الروض) وفي الأوسط رقم ٢٤٤٢ عن إسماعيل بن عمرو...

٢ . ٩ : ١٠٣ ـ ١٠٨.

صحته أنني رأيت شيخ الإسلام بن تيمية، قد ضعف الشطر الأول من الحديث، وأما الشطر الآخر، فزعم أنه كذب (أنظر«مجموع الفتاوى»٤ : ٤١٧- ٤١٨)! وهذا من مبالغته الناتجة في تقديري من تسرعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ويدقق النظر فيها.والله المستعان.[١]

انتهى كلام العلامة الألباني بمحلِّ الشاهد، وهو رفضه لموقف الشيخ ابن تيمية من حديث «من كنت مولاه ...» المتمثل بتضعيفه الشطر الأول من الحديث، وتكذيبه للشطر الثاني منه. كما أن هذا الزعم للشيخ ابن تيمية كان هو الدافع لتحرير الكلام على الحديث وبيان صحته، وهو ما صرّح به العلامة الألباني.

وإضافةً إلى هذا تعال معي أيها القارئ إلى كلٍّ من:

ـ الإمام أحمد في مسنده:

ففيه موارد عديدة لهذا الحديث، منها:

عن أبي إسحاق، عن سعيد بن وهب، وعن زيد بن يثيع قالا:

«نشد عليٌّ الناس في الرحبة من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم (هذه الصلاة البتراء التي يصلونها) يقول يوم غدير خم إلاّ قام، قال: فقام من قبل سعيد ستة، ومن قبل زيد ستة، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله

١ . أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع٤ :٣٣٠، ذيل الحديث (١٧٥٠). وانظر أيضاً بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى (٨٠٧) من الهجرة، تحقيق عبدالله محمد الدرويش، دار الفكر٩ : ١٠٣ ـ ١٠٨ من الحديث ١٤٦١٠ وحتى١٤٦٤١، تحت باب قوله: (من كنت مولاه فعلي مولاه) فهو ينقل واحداً وثلاثين حديثاً، إن لم أقل كلها، فأغلبها قريب من الإجماع ويقول: رواتها ثقات، ورواياتها صحيحة...

صلى الله عليه وسلم يقول لعلي رضي الله عنه يوم غدير خم: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟ قالوا: بلى، قال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «شهدت علياً رضي الله عنه في الرحبة ينشد الناس، أنشد الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه، لما قام فشهد. قال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر بدرياً، كأني أنظر إلى أحدهم، فقالوا: نشهد انا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجي أمهاتهم؟ فقلنا: بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».[1]

ـ الإمام الطبراني في معجمه:

عن عمرو بن واثلة، عن زيد بن أرقم قال: «لما رجع رسول الله من حجة الوداع، ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقمت، ثم قامﷺ فقال: كأني قد دعيت فأجبت، إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ثم قال: إنّ الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي، فقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقلت لزيد: أنت سمعته من رسول الله؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلاّ قد رآه بعينيه وسمعه بأذنيه».[2]

---

١ . مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دارالفكر، الطبعة القديمة١: ١١٨ ـ ١١٩، الحديث الأول.

٢ . المعجم الكبير، للحافظ أبي قاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار إحياء التراث العربي،

ـ الحاكم النيسابوري في مستدركه:

حدثنا حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم قال: «لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع، ونزل غدير خم، أمر بدوحات، فقال: كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين... قال: ثم أخذ بيد علي، فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه..» وذكر الحديث بطوله. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. أي البخاري ومسلم، يعني على شرط أصح كتابين عند مدرسة الصحابة.[1]

هذا، وأنَّ مجيء حديث الثقلين في متن هذين الحديثين يكشف أنّ الرسولﷺ قدم لحديث الولاية حديث الثقلين، وهذا يثبت أن كل الأدلة التي تثبت تواتر حديث الولاية سوف تثبت لنا تواتر حديث الثقلين أيضاً، وكل أعلام المسلمين نقلوا النصَّ هكذا: « كتاب الله وعترتي أهل بيتي» ولا يوجد في نصّ من هذه النصوص أنه قال: وسنتي، نعم لعلَّ هناك نصّين أو ثلاثة نصوص تذكر وسنتي، و بعض هذه النصوص صحيح السند. سنقف عندها في بحثنا حول حديث الثقلين، ولكن النكتة المهمة هنا أنّ رسول اللهﷺ قدّم لحديث «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» بحديث الثقلين، وبهذا يتضح أن مضمون حديث الولاية هو مضمون حديث الثقلين «لن تضلوا بعدي أبداً».

هؤلاء هم من أعلام مدرسة الصحابة، وهذه المصادر هي من مصادرها، وإلا إن تحدثنا عما ذكره أعلام ومصادر مدرسة أهل البيت فإنّ العلامة

المجلد الخامس، تحت الحديث (٤٩٦٩).

١ . المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، دار الفكر٣ : ١٠٩ .

الأميني في كتابه الغدير يقول:

«الذين نقلوا رواية الغدير وحديث الولاية من رسول الله ﷺ من الصحابة بلغ عددهم مئة وعشرة، ومن التابعين بلغ عددهم أربعة وثمانين تابعياً».

وهم ممن وثّقهم كبار علماء مدرسة الصحابة، و ليس الصحابة الذين كانوا يوالون علياً فقط، وإنما أولئك الذين كانوا موثّقين عند عموم علماء المسلمين، خصوصاً أنَّ نظرية مدرسة الصحابة تتبنى عدالة الصحابة جميعاً، والطعن فيهم كما هو رأي السلفية: زندقة وخروج عن الإسلام، وأن من ينتقص أحداً منهم، فهو ينتقص من رسول الله ﷺ. وعلى ذكر الانتقاص، هل انتقص الشيخ ابن تيمية الإمام عليّاً؟! هذا ما سنجده في البحث التالي:

انتقاصه للإمام علي عليه السلام:

ربَّ قارئ يستغرب من هذا العنوان، فيسأل: كيف ينتقص ابنُ تيمية الإمام عليَّاً، والانتقاص خلاف مبناه المذكور (من انتقص صحابياً فهو كافر، ومن شك أنه كافر فهو كافر) وعليٌّ هو أحد الخلفاء الأربعة، ويأتي في الفضل بعد الخليفة الثالث، وبالتالي فهو رابع الذين هم أفضل الصحابة جميعاً، هذا هو مبنى مدرسة الصحابة، وبالذات مدرسة السلفية وابن تيمية زعيمها.؟!

وجواباً عن ذلك، أنقل ما ذكره ابن حجر العسقلاني، فبعد أن يقول تحت عنوان:

(يوسف) والد الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي الرافضي المشهور، كان رأس الشيعة الإمامية في زمانه، وله معرفة بالعلوم العقلية؛ شرح مختصر ابن الحاجب الموصلي شرحاً جيداً، بالنسبة إلى حلِّ ألفاظه وتوضيحه، وصنّف

كتاباً في فضائل علي رضي الله عنه، نقضه الشيخ تقي الدين بن تيمية في كتاب كبير، وقد أشار الشيخ تقي الدين السبكي إلى ذلك في أبياته المشهورة حيث قال: وابن المطهر لم يظهر خلافه، ولابن تيمية ردٌّ عليه، أي الردّ واستيفاء أجوبة، لكنا نذكر بقية الأبيات فيما يعاب به ابن تيمية من العقيدة.

يذكر ابن حجر التالي: طالعت الردَّ المذكور (أي ردّ ابن تيمية على ابن مطهر الحلي الرافضي)، فوجدته كما قال السبكي في الاستيفاء، لكن وجدته كثير التحامل إلى الغاية في ردِّ الأحاديث، التي يوردها ابن المطهر، وإن كان معظم ذلك من الموضوعات والواهيات، لكنه ردّ في ردّه كثيراً من الأحاديث الجياد، التي لم يستحضر حالة التصنيف مظانها؛ لأنه كان لاتساعه في الحفظ، يتكل على ما في صدره، والإنسان عامد للنسيان، وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي أدته أحياناً إلى تنقيص علي رضي الله عنه، وهذه الترجمة لا تحتمل إيضاح ذلك وإيراد أمثلته. وكان ابن المطهر مقيماً، وقد بلغه تصنيف ابن تيمية، فكاتبه بأبيات يقول فيها.[1]

إذن في كلام ابن حجر بيان واضح لما يتصف به الردُّ المذكور للشيخ ابن تيمية:

من التحامل الكثير: (لكن وجدته كثير التحامل إلى الغاية في ردِّ الأحاديث، التي يوردها ابن المطهر).

من التوهين المبالغ فيه، والذي أدى به إلى التنقيص من الإمام عليٍّ عليه السلام: (وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي أدته أحياناً إلى تنقيص علي

١ . لسان الميزان، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة سنة: ١٤٠٦ هـ ٦: ٣١٩ رقم ١١٤٤.

رضي الله عنه، وهذه الترجمة لا تحتمل إيضاح ذلك وإيراد أمثلته) وهو محلُّ الشاهد في كلامنا.

ومما لا ريب فيه أنّ هذه الصفات مخلّة بالبحث، وبمصداقية الباحث إن كان ينشدها، وهي مما لا يتصف بها العالمُ المحترِمُ لعلمه ومنهجه؛ لأنها تفقده دقّته وأمانته العلمية، كما أنّها تبيّن وبشكل واضح أنَّ عمل الشيخ ابن تيمية هذا إما أنّه ينمُّ عن جهل مطبق بالروايات، وإما أنه كان ملتفتاً، لكنه يحاول أن يدلّس ويخلط بين الروايات حتى يردَّ الروايات الجياد. وأنّه صار بحجة الردِّ على الحلّي، الرافضي بتعبيره، راح ينتقص من عليٍّ عليه السلام، وهو ما صرّح به ابنُ حجر العسقلاني. حتى يحقق الشيخ ابن تيمية ما يسعى إليه، وإن خالف به ما يتبناه في دفاعه عن الصحابة ضدَّ كلّ من يتعرض لهم من سبٍّ أو شتم أو اتهام... وما علينا إلا ما ألزم به نفسه.

هذا، و قد ذكر ابن حزم أنه إذا بلغت الرواية في الطبقة الأولى، وقد نقلها خمسة من الصحابة فهي تدل على التواتر.

وفي قول: اختار ابن حزم أنّ التواتر يثبت باثنين تحيل العادة تواطؤهما على الكذب.[1]

فأين يقع كلام ابن تيمية (كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث..) بعد هذا الجهد للعلامة الألباني ولغيره من العلماء الذين ذكرنا بعضاً منهم في دراسة سند الحديث؟!

فيما رواية الغدير «من كنت مولاه ...» ليست فقط متواترةً، وإنما هي ضعف التواتر، علماً بأنّ الأصحاب الذين نقلوها يتجاوز عددهم ثلاثين صحابياً، ولعلّه أكثر من ذلك.

---

١ . أنظر كتاب الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، تحقيق الشيخ أحمد شاكر١ : ١٢٠.

إنَّ ما ذكره الشيخ حول حديث الغدير، لا ينسجم مع الموازين العلمية، التي قامت بعيداً عنها نظريتُه حول هذا الحديث، والتي تتلخص فيما سجله من إشكال في سند هذا الحديث، ويتمثل في أن المقطع الأول من الحديث لم يرد في أمهات المصادر الحديثية، وإنما ورد في الترمذي فقط.

وأما المقطع الثاني فهو كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث، ثم راح ينسب إلى الإمام أحمد أنه سئل فقال: «زيادة كوفية».

و بعد أن اتضح ذلك، نعود إليه حيث يقول عنها: ولا ريب أنها كذب لوجوه...

أحدها: أنّ الحقَّ لا يدور مع معيّن إلا النبيّ؛ لأنه لو كان كذلك لوجب اتباعه في كل ما قال.

وقوله: «اللهم انصر من نصره ...» خلاف الواقع قاتل معه أقوام يوم صفين فما انتصروا، وأقوام لم يقاتلوا فما خذلوا كسعد الذى فتح العراق لم يقاتل معه، وكذلك أصحاب معاوية وبنى أمية الذين قاتلوه، فتحوا كثيرًا من بلاد الكفار ونصرهم الله.[1]

وقفة أخرى:

يبدو أنَّ الشيخ ابن تيمية فهم من «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» أنها دالة على العصمة. والحقّ معه، الجملة إذا كانت ثابتة، فهي تدل على العصمة؛ لأنه إذا لم يكن الشخص معصوماً، فكيف يقول عنه رسول الله ﷺ

١ . مجموعة الفتاوى، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، اعتنى بها وخرّج أحاديثها عامر الجزار، أنور الباز، الطبعة الأولى، دار الجيل سنة (١٤١٨هـ)، المجلد الثاني، مركب من جزأين، الجزء الثالث والجزء الرابع، مجمل ومفصل الاعتقاد. ٤: ٤١٧. وانظر أيضاً الصفحة ٢٥٥ من الجزء الرابع من كتابه هذا.

«اللهم وال من والاه ..»؟! وهذا معناه أنَّ كلَّ من والاه فهو حقٌّ، وكلَّ من عاداه فهو باطل، وهذا لا يكون إلا إذا كان ذلك الذي هو محور الولاية والمعاداة معصوماً، وإلا إذا لم يكن معصوماً، لا يمكن أن يكون له هذا، ولذا فالشيخ ابن تيمية ملتفت للنكتة، يقول: (ومعلوم أنّ علياً ينازعه الصحابة، واتباعه في مسائل وجد فيها النصّ يوافق من نازعه ...).

وعن الدليل على أنّ هذه الرواية لا تدل على عصمة علي؛ لأن معاوية خالفه. وبالتالي نستكشف من مخالفته أنّ الحق معه لا مع علي، وبعبارة أخرى أنّ معاوية هو المعصوم بمجرد أنه خالف علياً. وهذا وإن لم يصرح به، لكننا نستفيده من أقواله ومنها (ومعلوم أنّ علياً ينازعه الصحابة ..) أي نازعه وقاتله وأبغضه جماعة.

هذا، وأن الذين نازعوا عليّاً إما أن يكونوا على حقٍّ أو أنَّهم على باطل، فإن كانوا على حقٍّ وهو على باطل، فيدل على عدم عصمته. وإن كانوا على باطل، فهذا لا يدل على عدم عصمته عليه السلام.

وأما عن «اللهم انصر من نصره ...» فهي عنده خلاف الواقع؛ لأنَّ أولئك نصرهم الله، نصر معاوية وبني أمية، ولكن لم ينصر علياً ..

فالشيخ ابن تيمية كما يظهر من كلامه، يفترض في الرتبة السابقة أنّ علياً على باطل، وأنّ معاوية وجنده، وأيضاً من خرج على عليٍّ في الجمل، كلّهم على حقٍّ، وهذا أقوى دليل يقدمه ابن تيمية على أن الحقَّ لا يدور مع عليٍّ حيثما دار! وهوأغرب استدلال!!

ثمَّ هو بعد كلامه في سند الحديث، وضع إشكالاً آخر على متن ومضمون هذا الحديث، قائلاً:

(فإن كان قاله، فلم يرد به ولاية مختصّاً بها، بل ولاية مشتركة وهي ولاية الإيمان التي للمؤمنين).

فعلى فرض صدور هذا الحديث، فإن مضمونه شامل لجميع المؤمنين من قبيل: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ وبالتالي فلا توجد فيه أي

خصوصية لعليٍّ.

إذن عنده كلام في السند، وهو ما تحدثنا عنه، وكلام في المضمون والدلالة سيأتينا الكلام عنه في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

* * *

هذه هي الحلقة الثالثة من المطارحات للعلامة السيد كمال الحيدري، قام بإعدادها للنشر، حسن الحاج ، وقد تمّت ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان المبارك لسنة ١٤٣٣ هجرية، نأمل أن نكمل ما تبقى منها في الأعداد القادمة من هذه المجلة!

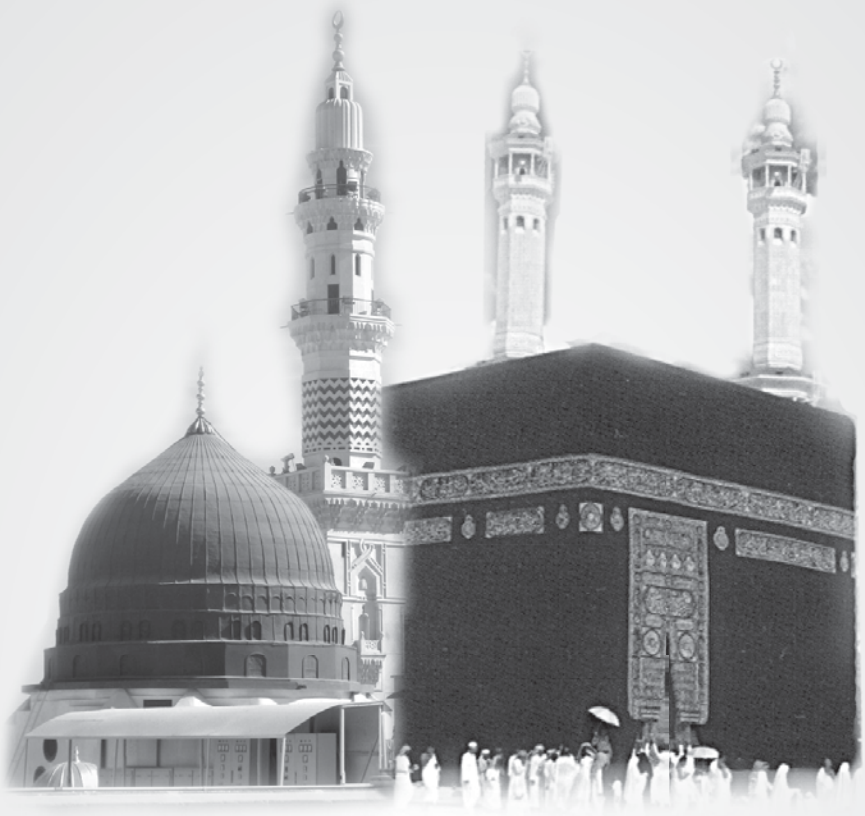

فضائل الحرمين الشريفين في تراث أهل البيت عليهم السلام «٢»

محمدعلي المقدادي

* * *

تمهيد:

احتلّ الحرمان الشريفان فضيلةً وقداسةً وتكريماً وتعظيماً، مساحةً واسعةً في التراث الإسلامي، وعند جميع الفرق والمذاهب الإسلامية، وبالذات فيما وصل إلينا من أحاديث أهل البيت عليهم السلام، والتي تتميّز بأنها الأفضل والأصحّ؛

لأنها تصدر عن الثقل الثاني بعد التنزيل العزيز، اللذين هما مصدرا العقيدة والتشريع، وفقاً لما جاء به الحديث النبويّ، المعروف بحديث الثقلين، الذي رواه أصحاب الصحاح والمسانيد عن النبيّ الأكرمﷺ بألفاظ عديدة لكنها متقاربة، منها:

«يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله؛ وعترتي أهل بيتي».[1]

«إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».[2]

وكيف لا تتوفر للحرمين تلك المساحة اللائقة، وهما يشكلان وجودين مباركين في حياة المسلمين في دينهم ودنياهم؛ لما يتمتعان به من خصائص نفتقدها في غيرهما، ولما أسند إليهما من دور في بناء الإنسان المسلم روحيّاً

١ . بحار الأنوار٢٩ : ٣٤٠ ؛ مسند الرضاعليه السلام، داود بن سليمان الغازي: ٢٠٣ ؛ كمال الدين، الشيخ الصدوق:٢٣٨.

٢. أنظر التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسولﷺ للشيخ منصور علي ناصف، من علماء الأزهر الشريف١: ٤٧ ؛ كتاب الإسلام والإيمان. و٣: ٣٤٨ كتاب الفضائل، وغيره من المصادر.

وأخلاقيّاً واجتماعيّاً..، ولما سنّ لهما وخاصةً للحرم المكي بمواقيته المتعدّدة من شرائع ومناسك وآداب بين ما يجب على المسلم أداؤه، وما ينبغي ويستحب له ذلك، حين تواجده فيهما في فريضة أو مستحب يؤديه، وأيضاً لفريضة الحج، وهي السبب الأهم، حين أذّن لها نبيّ الله إبراهيم عليه السلام، بأمر من الله سبحانه وتعالى، فأحيا به هذه البلاد يوم أن بثّ فيها الخير والعطاء، وغدا الناس يأتونها من كل مكان في عالمنا قديماً وحديثاً، ومنذ ذلك الوقت الذي شرع فيه منسك الحج المبارك، وصار يؤديه أنبياء وصالحون..، وما زال وسيبقى هذا المنسك يتوجه نحوه المسلمون والمؤمنون لأدائه، حتى يأذن الله تعالى بنهاية دار الابتلاء والتكاليف، فينتقل الجميع إلى دار الجزاء والأجر والثواب.

فقداسة الحرمين الشريفين «**مكة المكرمة و المدينة المنورة**» وما لهما من وظائف جليلة، أمرٌ أجمع عليه أهل التوحيد، مما جعلهما محلّ اهتمام أحاديث كثيرة ومواقف جليلة لأهل البيت عليهم السلام، وهم الأدرى بفضائل هذين الحرمين، وما لهما من دور كبير ومبارك في حياة المسلمين في البناء الإيماني لهم، أو الروحي والأخلاقي، فضلاً عما تتركه مناسك الحج واجتماعه السنويّ الحاشد من آثار في ثقافتهم، وتوحيد صفوفهم، وما يتمخض من منافع جليلة.. وقد شكلت تلك الأحاديث والأقوال والمواقف تراثاً كبيراً، صار مورد عناية ودراسة من

قبل المسلمين، وبالذات أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، على المستوى الفقهي والروحي والخلقي..، ونحن هنا نقتبس ما يتيسر لنا منه، وبما يتعلق بفضائل هذين الحرمين المباركين مكة والمدينة، وننشره إن شاء الله تعالى على شكل حلقات في هذه المجلة.

* * *

الأول: الأماكن المقدسة في مكة المكرمة

١ـ الكعبة الشريفة:

نقلنا في العدد السابق أحاديث شريفة حول فضائل الكعبة المعظمة من تراث أهل البيت عليهم السلام ؛ والقسم الثاني منها تختص بالحجر الأسود و . . . :

٢ـ الحجر الأسود:

١ . حدثنا أبي رضي الله عنه، قال: حدثنا سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عبدالرحمان بن أبي نجران، والحسين بن سعيد، جميعاً عن حماد بن عيسى، عن حريز بن عبدالله، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان الحجر الأسود أشد بياضاً من اللبن، فلو لا ما مسّه من أرجاس الجاهلية، ما مسّه ذو عاهة إلا برء». [1]

٢ . علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عمن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا دخلت المسجد الحرام وحاذيت الحجر الأسود، فقل: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، آمنت بالله، وكفرت بالطاغوت، وباللات والعزى، وبعبادة الشيطان، وبعبادة

١ . علل الشرائع، الشيخ الصدوق٢ : ٤٢٧ ـ ٤٢٨.

كل ندّ يدعى من دون الله؛ ثم ادن من الحجر واستلمه بيمينك ثم تقول: بسم الله والله أكبر، أللهم أمانتي أديتها، وميثاقي تعاهدته، لتشهد عندك لي بالموافاة». (١)

٣. أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي، قال: حدثنا محمد بن المفضل بن إبراهيم بن قيس بن رمانة الأشعري من كتابه، قال: حدثنا إبراهيم بن مهزم، قال: حدثنا خاقان بن سليمان الخزاز، عن إبراهيم بن أبي يحيى المدني، عن أبي هارون العبدي، عن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: شهدنا الصلاة على أبي بكر حين مات، فبينما نحن قعود حول عمر وقد بويع إذ جاءه فتى يهودي من يهود المدينة كان أبوه عالم اليهود بالمدينة، وهم يزعمون أنه من ولد هارون، فسلم على عمر، وقال: يا أميرالمؤمنين، أيكم أعلم بكتابكم وسنة نبيكم؟ فقال عمر: هذا ـ وأشار إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ـ وقال: هذا أعلمنا بكتابنا وسنة نبينا.

فقال الفتى: أخبرني أنت كذا؟... قال: أخبرني عن أول حجر وضع على وجه الأرض، وأول شجرة نبتت في الأرض، وأول عين أنبعت في الأرض؟ قال علي عليه السلام: «يا يهودي، أما أول حجر وضع على وجه الأرض فإنّ اليهود يقولون الصخرة التي في بيت المقدس، وكذبوا، ولكنه الحجر الأسود، نزل به آدم عليه السلام من الجنة، فوضعه في الركن، والمؤمنون يستلمونه؛ ليجددوا العهد والميثاق لله عزوجل بالوفاء. وأما قولك: أول شجرة نبتت في الأرض، فإنّ اليهود يقولون الزيتونة، وكذبوا، ولكنها النخلة العجوة، نزل بها آدم عليه السلام من الجنة وبالفحل، فأصل الثمرة كلها العجوة. وأما العين فإنّ اليهود يقولون: بأنها العين التي تحت الصخرة، وكذبوا، ولكنها عين الحياة التي لا يغمس

١. الكافي، الشيخ الكليني ٤ : ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

فيها ميت إلا حي، وهي عين موسى التي نسي عندها السمكة المملوحة، فلما مسها الماء عاشت وانسربت في البحر، فأتبعها موسى وفتاه حين لقيا الخضر». فقال الفتى: أشهد أنك قد صدقت وقلت الحق، وهذا كتاب ورثته عن آبائي إملاء موسى عليه السلام وخط هارون عليه السلام بيده، وفيه هذه الخصال السبع...[1]

٤. قال الصادق عليه السلام: «من عانق حاجاً بغباره كان كأنما استلم الحجر الأسود».[2]

٥. عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مرّ عمر بن الخطاب على الحجر الأسود فقال: والله يا حجر! إنا لنعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، إلا أنا رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله يحبك فنحن نحبك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «كيف يا بن الخطاب! فوالله ليبعثنه الله يوم القيامة، وله لسان وشفتان، فيشهد لمن وافاه، وهو يمين الله عزوجل في أرضه، يبايع بها خلقه»؛ فقال عمر: لا أبقانا الله في بلد لا يكون فيه علي بن أبي طالب.[3]

٦. عن علي عليه السلام في حديث الأربعمائة، قال: «إذا قدم أخوك من مكّة، فقبّل بين عينيه و فاه الذي قبّل به الحجر الأسود الذي قبّله رسول الله صلى الله عليه وآله والعين التي نظر بها إلى بيت الله، وقبّل موضع سجوده ووجهه، وإذا هنّأتموه فقولوا له: قبل الله نسكك، و رحم سعيك، وأخلف عليك نفقتك، ولاجعله آخر عهده ببيته الحرام».[4]

٧. علي بن محمد، عن محمد بن علي بن إبراهيم، عن أبي عبدالله بن صالح أنه رآه ـ يعني صاحب الأمر عليه السلام ـ عند الحجر الأسود والناس يتجاذبون عليه

١. كتاب الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني: ٩٨ـ ٩٩.
٢. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق٢: ٣٠٠.
٣. وسائل الشيعة ١٣ : ٣٢٠ ـ ٣٢١.
٤. المصدر السابق ١١ : ٤٤٧.

وهو يقول: «ما بهذا أمروا».[1]

٨. محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي عبيدة و زرارة جميعاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لمّا قتل الحسين عليه السلام أرسل محمّد بن الحنفيّة إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فخلا به فقال له: يا ابن أخي قد علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دفع الوصيّة والإمامة من بعده إلى أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ إلى الحسن عليه السلام ثمّ إلى الحسين عليه السلام وقد قتل أبوك رضي اللّه عنه وصلّى على روحه ولم يوص وأنا عمّك وصنو أبيك، و ولادتي من عليّ عليه السلام في سنّي و قديمي أحقّ بها منك في حداثتك، فلا تنازعني في الوصيّة والإمامة، ولا تحاجّني؛ فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: يا عمّ اتّق الله ولا تدّع ما ليس لك بحقّ، إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين؛ إنّ أبي يا عمّ صلوات اللّه عليه أوصى إليّ قبل أن يتوجّه إلى العراق، وعهد إليّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعة وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي، فلا تتعرّض لهذا فإنّي أخاف عليك نقص العمر وتشتّت الحال؛ إنّ الله عزّوجلّ جعل الوصيّة والإمامة في عقب الحسين عليه السلام فإذا أردت أن تعلم ذلك، فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتّى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك. قال أبوجعفر عليه السلام: وكان الكلام بينهما بمكّة، فانطلقا حتّى أتيا الحجر الأسود؛ فقال عليّ بن الحسين لمحمّد بن الحنفيّة: ابدأ أنت فابتهل إلى الله عزّوجلّ وسله أن ينطق لك الحجر ثمّ سل؛ فابتهل محمّدٌ في الدّعاء وسأل الله ثمّ دعا الحجر فلم يجبه؛ فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: يا عمّ لو كنت وصيّاً وإماماً لأجابك؛ قال له محمّدٌ: فادع اللّه أنت ياابن أخي و سله؛ فدعا الله عليّ بن الحسين عليه السلام بما أراد، ثمّ قال: أسألك بالّذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء، وميثاق النّاس أجمعين، لمّا أخبرتنا من الوصيّ والإمام بعد الحسين بن عليّ عليه السلام. قال:

١. الكافي١: ٣٣١؛ وسائل الشيعة ١٣ : ٣٢٧.

فتحرّك الحجر حتّى كاد أن يزول عن موضعه، ثمّ أنطقه الله عزّوجلّ بلسان عربيّ مبين؛ فقال: اللّهمّ إنّ الوصيّة والإمامة بعد الحسين بن عليّ عليه السلام إلى عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فانصرف محمّد بن عليّ وهو يتولّى عليّ بن الحسين».[1]

٩. محمّد بن يحيى وغيره، عن محمّد بن أحمد، عن موسى بن عمر، عن ابن سنان، عن أبي سعيد القمّاط، عن بكير بن أعين قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام لأيّ علّة وضع الله الحجر في الركن الّذي هو فيه ولم يوضع في غيره، ولأيّ علّة تقبّل ولأيّ علّة أخرج من الجنّة ولأيّ علّة وضع ميثاق العباد والعهد فيه ولم يوضع في غيره وكيف السّبب في ذلك؟ تخبرني جعلني الله فداك، فإنّ تفكّري فيه لعجبٌ.

قال: فقال: «سألت وأعضلت في المسألة واستقصيت، فافهم الجواب وفرّغ قلبك وأصغ سمعك، أخبرك إن شاء الله. إنّ الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود وهي جوهرةٌ أخرجت من الجنّة إلى آدم عليه السلام فوضعت في ذلك الركن لعلّة الميثاق، وذلك أنّه لمّا أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم حين أخذ الله عليهم الميثاق في ذلك المكان، وفي ذلك المكان تراءى لهم، ومن ذلك المكان يهبط الطّير على القائم عليه السلام فأوّل من يبايعه ذلك الطّائر وهو والله جبرئيل عليه السلام وإلى ذلك المقام يسند القائم ظهره وهو الحجّة والدّليل على القائم، وهو الشّاهد لمن وافاه في ذلك المكان، والشّاهد على من أدّى إليه الميثاق، والعهد الّذي أخذ الله عزّوجلّ على العباد.

وأمّا القبلة والاستلام فلعلّة العهد تجديداً لذلك العهد والميثاق، وتجديداً للبيعة ليؤدّوا إليه العهد الّذي أخذ الله عليهم في الميثاق، فيأتوه في كلّ سنة

١. الكافي ١: ٣٤٨.

ويؤدّوا إليه ذلك العهد والأمانة اللّذين أخذا عليهم؛ ألا ترى أنّك تقول: أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة، و والله ما يؤدّي ذلك أحدٌ غير شيعتنا، ولا حفظ ذلك العهد والميثاق أحدٌ غير شيعتنا، وإنّهم ليأتوه

فيعرفهم ويصدّقهم، ويأتيه غيرهم فينكرهم ويكذّبهم، وذلك أنّه لم يحفظ ذلك غيركم فلكم والله يشهد وعليهم والله يشهد بالخفر والجحود والكفر، وهو الحجّة البالغة من الله عليهم يوم القيامة، يجيء وله لسانٌ ناطقٌ وعينان في صورته الأولى يعرفه الخلق ولا ينكره، يشهد لمن وافاه وجدّد العهد والميثاق عنده بحفظ العهد والميثاق وأداء الأمانة، ويشهد على كلّ من أنكر وجحد ونسي الميثاق بالكفر والإنكار.

فأمّا علّة ما أخرجه الله من الجنّة فهل تدري ما كان الحجر؟ قلت: لا. قال: كان ملكاً من عظماء الملائكة عند الله، فلمّا أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أوّل من آمن به وأقرّ ذلك الملك، فاتّخذه الله أميناً على جميع خلقه، فألقمه الميثاق وأودعه عنده، واستعبد الخلق أن يجدّدوا عنده في كلّ سنة الإقرار بالميثاق والعهد الّذي أخذ الله عزّوجلّ عليهم، ثمّ جعله الله مع آدم في الجنّة يذكّره الميثاق، ويجدّد عنده الإقرار في كلّ سنة».[1]

١٠. الحسين بن سعيد، عن صفوان بن يحيى، عن سيف التمار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أتيت الحجر الأسود فوجدت عليه زحاماً، فلم ألق إلا رجلاً من أصحابنا فسألته. فقال: «لابد من استلامه، فقال: إن وجدته خالياً وإلا فسلم من بعيد».[2]

١١. وعنه عن صفوان، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال له أبو بصير: إنّ أهل مكة أنكروا عليك أنك لم تقبّل الحجر الأسود وقد قبّله رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا انتهى إلى الحجر يفرجوا له وأنا لا يفرجون لي».[3]

١٢. وعن علي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، عن الحسين بن يزيد، عن الحسين بن علي بن أبي حمزة، عن أبي إبراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام ـ في حديث ـ : «إنّ الله بعث جبرئيل إلى آدم فقال: السلام عليك يا آدم، التائب من خطيئته، الصابر لبليته، إنّ الله أرسلني إليك لأعلمك المناسك التي تطهر بها، فأخذ بيده، فانطلق به إلى مكان البيت، وأنزل الله عليه غمامة، فأظلت مكان البيت،

---

١. الكافي ٤: ١٨٤.
٢. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي ٥: ١٠٣.
٣. المصدر السابق ٥: ١٠٤.

وكانت الغمامة بحيال البيت المعمور، فقال: يا آدم، خط برجلك حيث أظلت هذه الغمامة، فإنه سيخرج لك بيت من مهاة يكون قبلتك وقبلة عقبك من بعدك، ففعل آدم، وأخرج الله له تحت الغمامة بيتاً من مهاة، وأنزل الله الحجر الأسود».[1]

١٣. حديث الشبلي... ثم قال له ـ يعني قال الإمام زين العابدين عليه السلام للشبلي ـ : «... صافحت الحجر، و وقفت بمقام إبراهيم عليه السلام وصليت به ركعتين؟ قال: نعم. فصاح عليه السلام صيحة كاد يفارق الدنيا، ثم قال عليه السلام: آه آه، من صافح الحجر الأسود، فقد صافح الله تعالى، فانظر يا مسكين لا تضيع أجر ما عظم حرمته، وتنقض المصافحة بالمخالفة، وقبض الحرام نظير أهل الآثام».[2]

١٤. علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «كنا نقول: لابد أن نستفتح بالحجر ونختم به، فأما اليوم فقد كثر الناس».[3]

١٥. علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، وابن أبي عمير، عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كنت أطوف وسفيان الثوري قريب مني فقال: يا أبا عبدالله كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصنع بالحجر إذا انتهى إليه؟ فقلت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستلمه في كل طواف فريضة ونافلة، قال: فتخلف عني قليلاً فلما انتهيت إلى الحجر جزت ومشيت فلم أستلمه؛ فلحقني فقال: يا أبا عبدالله ألم تخبرني أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يستلم الحجر في كل طواف فريضة

---

١. وسائل الشيعة، الحر العاملي ١١: ٢٢٧.

٢. مستدرك الوسائل، الميرزا النوري ١٠: ١٦٨.

٣. الكافي، الشيخ الكليني ٤: ٤٠٤ ـ ٤٠٦.

ونافلة؟ قلت: بلى، قال: فقد مررت به فلم تستلم؟ فقلت: إنّ الناس كانوا يرون لرسول الله صلى الله عليه وآله ما لا يرون لي، وكان إذا انتهى إلى الحجر، أفرجوا له حتى يستلمه، وإني أكره الزحام».[1]

١٦. علي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، عن الحسين بن يزيد، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبي إبراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله عزّوجلّ لما أصاب آدم وزوجته الحنطة، أخرجهما من الجنة، وأهبطهما إلى الأرض، فأهبط آدم على الصفا، وأهبطت حواء على المروة، وإنما سمي صفا، لأنه شق له من اسم آدم المصطفى، وذلك لقول الله عزّوجلّ: ﴿**إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحاً**﴾؛[2] وسميت المروة مروة، لأنه شق لها من اسم المرأة، فقال آدم: ما فرق بيني وبينها إلاّ أنها لا تحل لي، ولو كانت تحل لي هبطت معي على الصفا، ولكنها حرمت علي من أجل ذلك، وفرق بيني وبينها، فمكث آدم معتزلاً حواء، فكان يأتيها نهاراً، فيتحدث عندها على المروة، فإذا كان الليل وخاف أن تغلبه نفسه يرجع إلى الصفا، فيبيت عليه، ولم يكن لآدم أنس غيرها ولذلك سمين النساء من أجل أنّ حواء كانت أنساً لآدم، لا يكلمه الله، ولا يرسل إليه رسولاً؛ . . . وأنزل الله الحجر الأسود وكان أشد بياضاً من اللبن، وأضوء من الشمس، وإنما اسودّ؛ لأنّ المشركين تمسّحوا به، فمن نجس المشركين اسودّ الحجر...».[3]

١٧. علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل حج ولم يستلم الحجر، فقال: «هو من السنة، فإن لم يقدر فالله أولى بالعذر».[4]

---

١. المصدر السابق.

٢. آل عمران: ٣٣.

٣. الكافي، الشيخ الكليني، ٤: ١٩٠ـ١٩١.

٤. المصدر السابق ٤: ٤٠٥. استلام الحجر: لمسه إما بالقبلة أو باليد أو بالإشارة.

١٨. حميد بن زياد، عن ابن سماعة، عن غير واحد، عن أبان بن عثمان، عن محمد الحلبي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الحجر إذا لم أستطع مسه وكثر الزحام، فقال: «أما الشيخ الكبير والضعيف والمريض فمرخص، وما أحب أن تدع مسه إلا أن لا تجد بداً».[١]

١٩. عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن محمد بن عبيد الله قال: سئل الرضا عليه السلام عن الحجر الأسود وهل يقاتل عليه الناس إذا كثروا؟ قال: «إذا كان كذلك فأوم إليه إيماء بيدك».[٢]

٢٠. عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أحمد بن موسى، عن علي ابن جعفر، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: استلموا الركن، فإنه يمين الله في خلقه، يصافح بها خلقه مصافحة العبد أو [الدخيل] الرجل، يشهد لمن استلمه بالموافاة».[٣]

٢١. محمد بن يحيى، وغيره، عن أحمد بن [محمد بن] هلال، عن أحمد بن محمد، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أول ما يظهر القائم من العدل أن ينادي مناديه أن يسلم صاحب النافلة لصاحب الفريضة الحجر الأسود والطواف».[٤]

٢٢. أبي رحمه الله قال: حدثني علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن عبيد الله بن علي الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته لم يستلم الحجر؟ قال: «لأنّ مواثيق الخلايق فيه»؛ وفي حديث آخر قال: «لأنّ الله تعالى لما أخذ مواثيق العباد أمر الحجر فالتقمها، فهو

١. المصدر السابق.
٢. المصدر السابق.
٣. المصدر السابق ٤: ٤٠٦.
٤. المصدر السابق ٤: ٤٢٧.

يشهد لمن وافاه بالموافاة». [1]

٢٣. أخبرني علي بن حاتم فيما كتب إليّ قال: حدثنا جميل بن زياد قال: حدثنا أحمد بن الحسين النخاس، عن زكريا أبي محمد المؤمن، عن عامر بن معقل، عن أبان بن تغلب، قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: «أتدري لأي شيء صار الناس يلثمون الحجر؟ قلت: لا. قال: إنّ آدم عليه السلام شكى إلى ربه عزّوجلّ الوحشة في الأرض، فنزل جبرئيل عليه السلام بياقوتة من الجنة، كان آدم إذا مرّ عليها في الجنة ضربها برجله، فلما رآها عرفها، فبادر يلثمها، فمن ثم صار الناس يلثمون الحجر». [2]

٢٤. عن عبدالله بن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الأرواح جنودة مجندة، فما تعارف منها في الميثاق ائتلف هاهنا، وما تناكر منها في الميثاق هو في هذا الحجر الأسود، أما والله إنّ له لعينين وأذنين، وفماً ولساناً ذلقاً، ولقد كان أشد بياضاً من اللبن، ولكن المجرمين يستلمونه والمنافقين، فبلغ كمثل ما ترون». [3]

٢٥. محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن العباس بن معروف، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن أبي بصير و زرارة ومحمد بن مسلم، كلهم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله عزّوجلّ خلق الحجر الأسود، ثمّ أخذ الميثاق على العباد، ثمّ قال للحجر: التقمه، والمؤمنون يتعاهدون ميثاقهم». [4]

٢٦. مهج الدعوات: روينا بإسنادنا إلى سعد بن عبدالله من كتابه، قال: حدثني الحسن بن علي بن عبدالله، عن الحسين بن سيف، عن محمد بن سليمان

١. علل الشرائع، الشيخ الصدوق ٢: ٤٢٣.
٢. المصدر السابق ٢: ٤٢٦ ـ ٤٢٧.
٣. المصدر السابق.
٤. وسائل الشيعة ١٣: ٣١٩، باب استحباب استلام الحجر الأسود.

البصري، عن إبراهيم ابن المفضل، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان الذي دعا به علي بن الحسين عليهما السلام عند محاكمته محمد بن الحنفية إلى الحجر الأسود أن قال:

«أللهم إني أسئلك باسمك المكتوب في سرادق المجد، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق البهاء، وأسئلك باسمك المكتوب في سرادق العظمة، وأسئلك باسمك المكتوب في سرادق الجلال، وأسئلك باسمك المكتوب في سرادق العزة، وأسئلك باسمك المكتوب في سرادق القدرة، وأسئلك باسمك المكتوب في سرادق السرائر، السابق الفائق، الحسن النضير، رب الملائكة الثمانية، ورب العرش العظيم، وبالعين التي لا تنام، وبالاسم الأكبر الأكبر الأكبر، وبالاسم الأعظم الأعظم الأعظم، المحيط بملكوت السماوات والأرض، وبالاسم الذي أشرقت به الشمس، وأضاء به القمر، وسجرت به البحار، ونصبت به الجبال، وبالاسم الذي قام به العرش والكرسي، وبأسمائك المقدسات المكرمات المكنونات المخزونات في علم الغيب عندك، أسألك بذلك كله أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تفعل بي كذا وكذا . . .»

قال أبان بن تغلب: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا أبان إياكم أن تدعوا بهذا الدعاء إلا لأمر مهم من أمر الآخرة والدنيا، فإنّ العباد ما يدرون ما هو؟ هو من مخزون علم آل محمد، عليه وعليهم السلام».[1]

٢٧. حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدثنا سعد بن عبدالله، عن إسماعيل بن محمد التغلبي، عن أبي طاهر الوراق، عن الحسن بن أيوب، عن عبد الكريم بن عمرو، عن عبدالله بن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه ذكر الحجر فقال: «أما إنّ له عينين وأنفاً ولساناً، ولقد كان

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٩٢ : ١٦٦.

أشد بياضاً من اللبن، أما إنّ المقام كان بتلك المنزلة». [1]

٢٨. عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن ابن سنان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَ هُدىً لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آياتٌ بَيِّنَاتٌ**﴾ ما هذه الآيات البيّنات؟ قال: «مقام إبراهيم حيث قام على الحجر، فأثّرت فيه قدماه، والحجر الأسود، ومنزل إسماعيل عليه السلام». [2]

٢٩. ... عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن الحجر فقال: «نزلت ثلاثة أحجار من الجنة: الحجر الأسود، . . . إنّ الله استودع إبراهيم الحجر الأبيض، وكان أشد بياضاً من القراطيس، فاسود من خطايا بني آدم». [3]

٣٠. و روي عن سعيد بن عبد اللّه الأعرج، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «إنّ قريشاً في الجاهليّة هدموا البيت، فلمّا أرادوا بناءه حيل بينه وبينهم، وألقي في روعهم الرّعب حتّى قال قائلٌ منهم: ليأت كلّ رجل منكم بأطيب ماله، ولاتأتوا بمال اكتسبتموه من قطيعة رحم، أو حرام ففعلوا؛ فخلّى بينهم وبين بنيانه، فبنوه حتّى انتهوا إلى موضع الحجر الأسود، فتشاجروا فيه أيّهم يضع الحجر في موضعه، حتّى كاد أن يكون بينهم شرٌّ، فحكّموا أوّل من يدخل من باب المسجد؛ فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا أتاهم أمر بثوب فبسط، ثمّ وضع الحجر في وسطه، ثمّ أخذت القبائل بجوانب الثّوب فرفعوه، ثمّ تناوله صلى الله عليه وآله فوضعه في موضعه، فخصّه الله عزّوجلّ به». [4]

٣١. ثمّ انظر إلى الحجر الأسود، واستقبله بوجهك، وقل: «ألحمد للّه الّذي

١. علل الشرائع ٢ : ٤٢٨.
٢. الكافي ٤ : ٢٢٣.
٣. بحار الأنوار ٩٦ : ٢٢٧.
٤. من لا يحضره الفقيه ٢ : ٢٤٧.

هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله والله أكبر، لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت ويميت ويحيي، وهو حيٌّ لا يموت بيده الخير، وهو على كلّ شيء

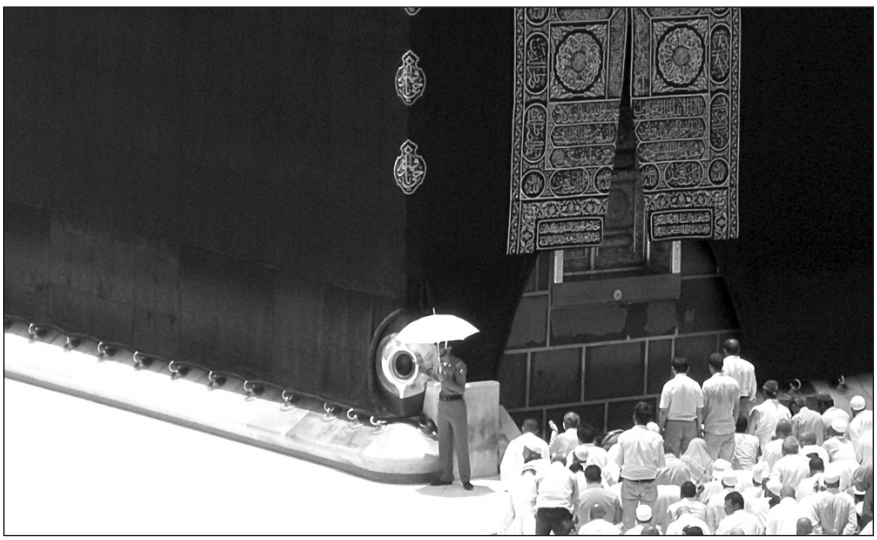

قديرٌ، أللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وبارك على محمّد وآل محمّد، كأفضل ما صلّيت وباركت وترحّمت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميدٌ مجيدٌ، وسلامٌ على جميع النّبيّين والمرسلين، والحمد للّه ربّ العالمين، أللّهمّ إنّي أومن بوعدك، وأصدّق رسلك، وأتّبع كتابك. ثمّ استلم الحجر الأسود وقبّله في كلّ شوط، فإن لم تقدر عليه فافتح به واختم به، فإن لم تقدر عليه فامسحه بيدك اليمنى وقبّلها، فإن لم تقدر عليه فأشر إليه بيدك وقبّلها، وقل: أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة، آمنت بالله وكفرت بالجبت والطّاغوت، واللات والعزّى، وعبادة الشّيطان، وعبادة الأوثان، وعبادة كلّ ندّ يدعى من دون الله عزّوجلّ».[1]

١. من لا يحضره الفقيه ٢ : ٥٣١.

٣٢. وعن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، وعن الحسين بن محمّد، عن عبد ربّه بن عامر، وعن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، جميعاً عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن عقبة بن بشير، عن أحدهما [يعني الإمام الباقر عليه السلام أو الإمام الصادق عليه السلام] قال: «إنّ الله عزّوجلّ أمر إبراهيم ببناء الكعبة، وأن يرفع قواعدها، ويري النّاس مناسكهم، فبنى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام البيت كلّ يوم سافاً حتّى انتهى إلى موضع الحجر الأسود؛ قال أبو جعفر عليه السلام: فنادى أبوقبيس إبراهيم عليه السلام أنّ لك عندي وديعةً، فأعطاه الحجر فوضعه موضعه».[1]

٣٣. وفي الجعفريات بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الركن [الحجر الأسود] والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله تبارك وتعالى نورهما، ولولا ذلك لأضاءتا من بين المشرق والمغرب».[2]

٣٤. أخبرنا علي بن حاتم قال: حدثنا علي بن الحسين النحوي، عن أحمد ابن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن ثعلبة بن ميمون وغيره، عن بريد بن معاوية العجلي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كيف صار الناس يستلمون الحجر والركن اليماني ولا يستلمون الركنين الآخرين؟ فقال: «قد سألني عن ذلك عباد بن صهيب البصري، فقلت له: لأن رسول الله صلى الله عليه وآله استلم هذين ولم يستلم هذين، فإنما على الناس أن يفعلوا ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسأخبرك بغير ما أخبرت به عباداً؛ إنّ الحجر الأسود والركن اليماني عن يمين العرش، وإنما أمر الله تبارك وتعالى أن يستلم ما عن يمين عرشه، قلت: فكيف صار مقام إبراهيم عن يساره؟ فقال: لأنّ لإبراهيم عليه السلام مقاماً في القيامة، ولمحمد صلى الله عليه وآله مقاماً، فمقام محمد صلى الله عليه وآله عن يمين عرش ربنا عزّوجلّ، ومقام إبراهيم عليه السلام عن

١. وسائل الشيعة ١٣ : ٢١٢.

٢. مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي ٤ : ١٩٠ ـ ١٩١.

شمال عرشه، فمقام إبراهيم في مقامه يوم القيامة، وعرش ربنا مقبل غير مدبر».[1]

حكاية عجيبة:

قال صاحب مستدرك الوسائل:

أخبرني السيد الأجل العالم عبد الحميد بن التقي عبدالله بن أسامة العلوي الحسيني رضي الله عنه، في ذي القعدة من سنة ثمانين وخمسمائة قراءة عليه بحلة الجامعين، ابن عبدالله بن أسامة ـ المتولي للنقابة بالعراق ـ ابن أحمد بن علي بن محمد بن عمر، الرئيس الجليل الذي رد الله على يده الحجر الأسود؛ لما نهبت القرامطة مكة في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، وأخذوا الحجر، وأتوا به إلى الكوفة، وعلقوه في السارية السابعة من المسجد التي كان ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام، فإنه قال ذات يوم بالكوفة: لا بد أن يصلب في هذه السارية؛ وأومى إلى السارية السابعة. والقصة طويلة. وبنى قبة جده أمير المؤمنين عليه السلام من خالص ماله، ابن يحيى القائم بالكوفة ابن الحسين النقيب الطاهر ابن أبي عانقة أحمد الشاعر المحدث بن أبي علي عمر بن أبي الحسين يحيى، من أصحاب الكاظم عليه السلام، ـ المقتول سنة خمسين ومائتين، الذي حمل رأسه في قوصرة إلى المستعين ـ بن أبي عبدالله الزاهد العابد الحسين الملقب بذي الدمعة، الذي رباه الصادق عليه السلام وأورثه علماً جماً، ابن زيد الشهيد بن السجاد عليه السلام النيلي النجفي النسابة. وهو كما في الرياض: الفقيه الشاعر الماهر، العالم الفاضل الكامل، صاحب المقامات والكرامات العظيمة، قدس الله روحه الشريفة، كان من أفاضل عصره وأعالم دهره، وكذا جده السيد عبدالحميد. قال: ولعل السيد

١. علل الشرائع، الشيخ الصدوق ٢ : ٤٢٨.

عبد الحميد جدّ هذا السيد، هو السيد جلال الدين عبد الحميد بن عبدالله التقي الحسيني النسابة، الذي يروي عنه السيد شمس الدين فخار بن معد بن فخار الموسوي النسابة. وبالجملة، فله مؤلفات شريفة قد أكثر من النقل عنها نقدة الأخبار وسدنة الآثار، أحسنها كتاب الأنوار المضيئة في الحكمة الشرعية في مجلدات عديدة، قيل: إنها خمسة، وقد عثرنا بحمد الله تعالى على المجلد الأول منه، وهو في الأصول الخمسة، وفي ظهره فهرست جميع ما في

هذه المجلدات بترتيب بديع، وأسلوب عجيب، بخط كاتب الكتاب، وقد سقط من آخر الكتاب أوراق، وتاريخ الفهرست يوم الأحد ١٧ جمادى الأولى بالمشهد الشريف الغروي سلام الله على مشرفه سنة ٧٧٧.[1]

١ . خاتمة المستدرك، الميرزا النوري ٢ : ٢٩٧ - ٢٩٨.

في البحار: (سبع)، لكن اتفقت كتب التاريخ أنّ القرامطة ردوا الحجر الأسود في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، بعد أن اغتصبوه في سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة، راجع الكامل لابن الأثير ٨ : ٤٨٦ ؛ النجوم الزاهرة : ٣٠١ ؛ العبر٢: ٥٦ ؛ البداية والنهاية١١ : ٢٢٣؛ وغيرها، ونشأ هذا التصحيف لتقارب كلمتي (سبع) و (تسع) في الرسم.

القرامطة هم فرقة من الشيعة الإسماعيلية المباركية، زعموا بأنّ الإمام بعد جعفر الصادق عليه السلام هو محمد بن إسماعيل بن جعفر، وهو الإمام القائم المهدي، وهو رسول وهو حي لم يمت، وأنه في بلاد الروم، وأنه من أولي العزم، أنشاؤوا دولتهم في البحرين، ثم توسعوا غرباً حتى وصلوا بلاد الشام سنة ٢٨٨؛ راجع معجم الفرق الإسلامية:١٩٢.[١]

حديث قصيدة الفرزدق لعلي بن الحسين عليهما السلام

حدثنا جعفر بن الحسين المؤمن ـ رحمه الله عن حيدر بن محمد بن نعيم، ويعرف بأبي أحمد السمرقندي، تلميذ أبي النضر محمد بن مسعود، عن محمد بن مسعود، قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثني أبوالفضل محمد بن أحمد بن مجاهد، قال: حدثنا العلاء بن محمد بن زكريا بالبصرة، قال: حدثنا عبيدالله بن محمد بن عائشة.[٢]

قال: حدثني أبي أنّ هشام بن عبدالملك حج في خلافة عبدالملك والوليد، فطاف بالبيت، وأراد أن يستلم الحجر، فلم يقدر عليه من الزحام، فنصب له

١ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه: ١٧ ـ ١٨، الهامش.

٢ . كذا في النسختين، وفى البحار، ورجال الكشي أيضا كذلك، والصحيح هكذا «حدثنا الغلابي محمد بن زكريا البصري، عن عبيدالله بن محمد بن عائشة»، كما في الأغاني ١٤ : ٧٥.

منبر فجلس عليه، وأطاف به أهل الشام، فبينا هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين عليهما السلام وعليه إزار ورداء، من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم رائحة، بين عينيه سجادة، كأنها ركبة عنز، فجعل يطوف بالبيت، فإذا بلغ إلى موضع الحجر، تنحى الناس حتى يستلمه، هيبة له وإجلالاً، فغاظ هشام، فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة، وأفرجوا له عن الحجر؟ فقال هشام: لا أعرفه، لأن لا يرغب فيه أهل الشام!

فقال الفرزدق: ـ وكان حاضراً ـ لكني أعرفه. فقال الشامي:

من هو يا أبا فراس؟

فقال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا علي رسول الله والده ... أمسى بنور هداه تهتدى الظلم[1]
إذا رأته قريش قال قائلها: ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمى إلى ذروة العز التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم.[2]

٣ ـ الحطيم:

يَا قَاصِداً نحوَ الحطيمِ وَ زَمْزمِ ... بلّغْ سَلامِي للنبيِ الأكْرَمِ
وقُلِ السَّلامُ عَليكَ يا مَوْلَى الْوَرَى ... أنْتَ الدليلُ إلَى السَّبيلِ الأقْوَمِ

١. وسئل الصادق عليه السلام عن الحطيم؟ فقال: «هو ما بين الحجر الأسود

١ . كذا. وفى بعض النسخ [أمست بنور هداه تهتدى الأمم].
٢ . بحار الأنوار ٩٦ : ٢٢٩.

والباب. قيل: ولم سمي الحطيم؟ قال: لأنّ الناس يحطم بعضهم بعضاً، وهو الموضع الذي فيه تاب الله على آدم. وقال عليه السلام: إن تهيأ لك أن تصلي صلاتك كلها، الفرائض وغيرها عند الحطيم فافعل، فإنه أفضل بقعة على وجه الأرض؛ وبعده الصلاة في الحجر أفضل».[1]

٢. الكليني، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن إبن فضال، عن الحسن بن الجهم قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن أفضل موضع في المسجد يصلى فيه، قال: «الحطيم ما بين الحجر وباب البيت، قلت: والذي يلي ذلك في الفضل؟ فذكر أنه عند مقام إبراهيم عليه السلام، قلت: ثم الذي يليه في الفضل؟ قال: في الحجر، قلت: ثم الذي يلي ذلك؟ قال: كلما دنى من البيت».[2]

٣. وعنه، عن محمد، عن ابن فضال، عن ثعلبة، عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الحطيم؟ فقال: «ما بين الحجر الأسود وبين الباب. وسألته لم سمي الحطيم؟ فقال: لأنّ الناس يحطم بعضهم بعضاً هناك».[3]

٤. وعن الباقر عليه السلام: «أفضل البقاع عندالله مكّة. وأفضل بقاع مكّة مسجد الحرام. وأفضل بقاع المسجد ما بين الركن والمقام وباب الكعبة، وهو الحطيم».[4]

يستفاد من هذه الرواية والرواية رقم: (١) أنّ الحطيم ليس الحِجر ولا جداره، بل الحطيم هو الفضاء المقدس الواقع بين باب الكعبة، والركن (الحجر الأسود)، ومقام إبراهيم عليه السلام.

٥. وجدت بخط الشيخ محمد بن علي الجبعي نقلاً من خط الشيخ قدس الله

١. مجمع البيان، الشيخ الطبرسي٢: ٣١١.
٢. مسند الإمام الرضا٧ ٣ : ٢٣٧.
٣. وسائل الشيعة ٥ : ٢٧٤.
٤. مستدرك سفينة البحار، النمازي الشاهرودي٤ :٤٨٣.

روحه، عن الصادق عليه السلام: «إن تهيأ لك أن تصلي صلواتك كلها، الفرائض وغيرها عند الحطيم، فإنه أفضل بقعة على وجه الأرض، وهو ما بين باب البيت والحجر الأسود، وهو الموضع الذي تاب الله فيه على آدم. وبعده الصلاة في الحجر أفضل. وبعد الحجر ما بين الركن العراقي وباب البيت، وهو الموضع الذي كان فيه المقام. وبعده خلف المقام حيث هو الساعة. وما قرب من البيت فهو أفضل، ومن صلى في المسجد الحرام صلاة واحدة قبل الله منه كل صلاة صلاها، وكل صلاة يصليها إلى أن يموت، والصلاة فيه بمائة ألف صلاة، وإذا أخذ الناس مواطنهم بمنى نادى مناد من قبل الله عزّوجلّ: إن أردتم أن أرضى فقد رضيت».[1]

٦. محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن أبان، عن زرارة قال: سألته عن الرجل يصلي بمكة يجعل المقام خلف ظهره وهو مستقبل الكعبة؟ فقال عليه السلام: «لا بأس يصلي حيث شاء من المسجد بين يدي المقام أو خلفه، وأفضله الحطيم،[2] أو الحجر، أو عند المقام، والحطيم حذاء الباب».[3]

---

١. بحار الأنوار ٩٦ : ٢٣١.

٢. قال العلامة المجلسي: ـ في كتابه مرآة العقول ١٨ : ٢٢٣ ـ (الحديث التاسع): موثق كالصحيح.
قوله عليه السلام: «وأفضله الحطيم». قال الفيروزآبادي: الحطم الكسر، والحطيم حجر الكعبة، أو جداره، أو ما بين الركن والزمزم والمقام، و زاد بعضهم الحجر، أو من المقام إلى الباب، أو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام، حيث يتحطم الناس للدعاء.
حَطِيم مكّة: هو ما بين الركن والباب. وقيل: هو الحِجْر المُخْرج منها؛ سمّي به، لأنّ البيت رُفع وتُرِك هو مَحْطُوماً. وقيل: لأنَّ العرب كانت تطرَح فيه ما طافت به من الثياب، فَتَبْقى حتَّى تَنْحَطِم بطول الزمان، فيكون فعيلاً بمعنى فاعل (النهاية). غريب حديث البحار.

٣. وسائل الشيعة ٥ : ٢٧٣.

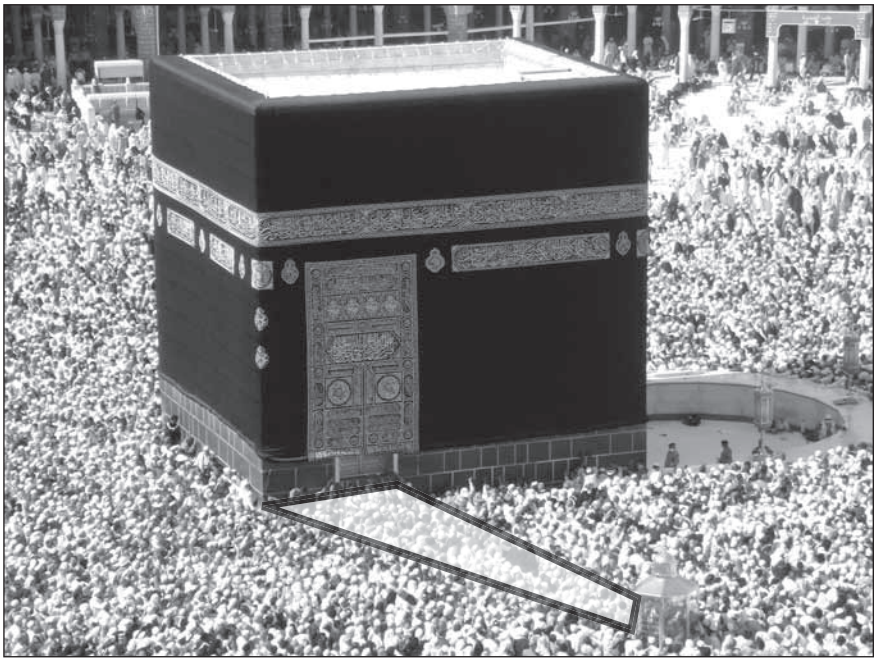

٧. محمد بن إدريس في آخر (السرائر) نقلاً من (نوادر أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي)، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الحجر، فقال: «إنكم تسمونه الحطيم، وإنما كان لغنم إسماعيل، وإنما دفن فيه أمه، وكره أن يوطأ قبرها، فحجر عليه، وفيه قبور أنبياء».[١]

٨ . بعض نسخ الرضوي عليه السلام: «والحجر ليس هو من البيت ولا فيه شيء منه، وأنهم سموه الحطيم، وقالوا: إنما هو لغنم إسماعيل، ولكن دفن إسماعيل أمه فيه، فكره أن يوطأ قبرها فحجر عليها، وفيه قبور أنبياء».[٢]

ثم إنّ العلامة المجلسي قدس سره ذكر كلاً من التفسيرين (حول الحطيم) اللذين وجد أحدهما في هذين الروايتين الأخيرتين، والتفسير الآخر كان في الرواية رقم: (١) والرواية رقم: (٤) وقال: الحطيم ـ بالفتح ثم الكسر ـ بالمسجد

١ . المصدر السابق ١٣ : ٣٥٥.

٢ . مستدرك الوسائل، الميرزا النوري ٩ : ٣٩٦.

الحرام شرفها الله تعالى، ما بين الركن الأسود والباب، إلى مقام إبراهيم عليه السلام؛ ويقال لحجر الكعبة الذي فيه الميزاب: الحطيم.[1]

و للعلامة المجلسي رحمه الله بيان آخر، نذكره في قسم الملتزم إن شاء الله تعالى.

٩. قال أبوجعفر عليه السلام: «أتى آدم عليه السلام هذا البيت ألف أتية على قدميه، منها سبعمائة حجة، وثلاثمائة عمرة، وكان يأتيه من ناحية الشام، وكان يحج على ثور والمكان الذي يبيت فيه عليه السلام الحطيم ـ وهو ما بين باب البيت والحجر الأسود ـ وطاف آدم عليه السلام قبل أن ينظر حواء مائة عام، وقال له جبرئيل عليه السلام: حياك الله وبياك- يعني أضحكك الله».[2]

١٠. فقه الرضا عليه السلام: «أكثر الصلاة في الحجر، وتعمد تحت الميزاب، وادع عنده كثيراً، وصل في الحجر على ذراعين من طرفه مما يلي البيت، فإنه موضع شبير وشبر ابني هارون، وإن تهيأ لك أن تصلي صلواتك كلها عند الحطيم (فافعل)، فإنه أفضل بقعة على وجه الأرض، والحطيم ما بين الباب والحجر الأسود، وهو الموضع الذي فيه تاب الله على آدم عليه السلام، وبعده الصلاة في الحجر أفضل».[3]

١١. محمد بن يحيى وغيره، عن أحمد بن محمد، عن العباس بن معروف، عن علي بن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن إبراهيم ابن أبي البلاد، قال: حدثني أبو بلال المكي، قال: رأيت أبا عبدالله عليه السلام طاف بالبيت، ثم صلى فيما بين الباب والحجر الأسود ركعتين، فقلت له: ما رأيت أحداً منكم صلى في هذا الموضع، فقال عليه السلام: «هذا المكان الذي تيب على آدم فيه».[4]

١. بحار الأنوار ٣٥ : ١٥٩.
٢. من لايحضره الفقيه١ : ١٥٧.
٣. مستدرك الوسائل ٣ :٣١٧.
٤. جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي ٤ : ٥٠٧ ـ ٥٠٨.

وداع البيت بالحطيم:

١٢. فإذا أردت وداع البيت فطف به أسبوعاً ثم صل ركعتين حيث أحببت من المسجد فائت الحطيم ـ والحطيم ما بين باب الكعبة والحجر ـ وتعلق بالأستار وأنت قائم، فاحمد الله واثن عليه، وصل على النبي صلى الله عليه وآله ثم قل: «أللهم عبدك وابن عبدك وابن أمتك، حملته على دابتك، وسيرته في بلادك، وقد أقدمته المسجد الحرام، أللهم وقد كان في أملي ورجائي أن تغفر لي، فإن كنت يارب قد فعلت فازدد عني رضى، وقربني إليك زلفى، فإن لم تكن فعلت يا رب فمن الآن فاغفر لي، قبل أن تنأى داري عن بيتك، غير راغب عنه ولا مستبدل به، هذا أوان انصرافي إن كنت قد أذنت لي، أللهم احفظني من بين يدي، ومن خلفي وتحتي ومن فوقي، وعن يميني وعن شمالي حتى تقدمني أهلي صالحاً، فإذا قدمتني أهلي يا رب، فلا تحرمني واكفني مؤنة عيالي، ومؤنة خلقك».[١]

وقال صاحب تفسير الأمثل:

١. كل زاوية من زوايا الكعبة ـ الأربعة يسمى ركناً.

٢. يقع الحطيم بين الحجر الأسود وباب الكعبة المعظمة، وإنما سمي بالحطيم إما لكثرة ازدحام الناس والطائفين فيها، وهو موضع توبة آدم، وإما لكونه موضع غفران الذنوب، وغفرانها بمنزلة تحطيمها.

٣. إنّ الحطيم بين الركن والمقام وباب الكعبة، وهو أفضل البقاع حرمة، وأعظمها منزلة، وهو روضة من رياض الجنّة.[٢]

قال المحقق النراقي قدس سره:

ولما بذل والدي العلاّمة ـ شكر الله مساعيه الجميلة ـ جهده الشريف في

١. بحار الأنوار ٩٦ : ٣٧٣.

٢. تفسير الأمثل ٢: ٦٠٧.

تحقيق تلك الأماكن بمكة وبيانها، فنذكر هنا ترجمة ما ذكره في ذلك المقام في المناسك المكية.

قال ـ طيب الله مضجعه ـ : الحطيم، قدر من حائط البيت ما بين حجر الأسود وباب الكعبة...[1]

٤ـ الملتزم (المستجار):

لابد وأن أشير الآن إلى نكتة مهمة، وهي: أنّ الملتزم في بيان الأئمة عليهم السلام غير الملتزم المعروف عند ساير الناس؛ ولذلك فإن وجدت في رواية عنهم عليهم السلام مفردة «الملتزم» فهي تشير إلى نفس مكان المستجار الذي وقع خلف الكعبة، لا الحد الفاصل بين الباب والحجر الأسود. وقد ذكر العلامة المجلسي قدس سره مطالب نافعة حول هذا الموضوع، ستأتي إن شاء الله تعالى.

و في كتاب الشرايع، للمحقق الحلي قدس سره : (يلتزم) أي: يلصق نفسه به، (المستجار) ويسمى في الأخبار الملتزم، هو المكان الذي يقال: إنه دخلت فاطمة بنت أسد عليها السلام والدة أمير المؤمنين عليه السلام منه إلى البيت، عند ما أرادت أن تولده، ولا يزال إلى الآن فيه علامة، ولعل تسميته بالمستجار، لأنّ فاطمة عليها السلام استجارت به، فأنشق حائطه لها، وإنما يسمى (الملتزم)، لما ورد من أنّ الله تعالى التزم أن يغفر ذنوب من أقر له بذنوبه هنا، وهو خلف باب الكعبة، فلو دخل داخل الكعبة يصير أمامه من جهة خلف الكعبة.[2]

ثم إنه قد عقد الشيخ الكليني قدس سره في كتابه الكافي باباً سماه بـ: **(باب الملتزم والدعاء عنده)** و ذكر الروايات الواردة، وإليك نصها:

---

١ . مستند الشيعة ١٣ :٦٧.

٢ . شرايع الإسلام، المحقق الحلي١ : ٢٧٠ ، الهامش رقم: ٣٥٦.

«باب الملتزم والدعاء عنده»

١. عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قلت له: من أين أستلم الكعبة إذا فرغت من طوافي؟ قال: من دبرها».[١]

٢. محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل عن استلام الكعبة فقال: «من دبرها».[٢]

٣. عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عبدالله بن سنان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إذا كنت في الطواف السابع، فائت المتعوذ، وهو إذا قمت في دبر الكعبة حذاء الباب فقل: أللهم البيت بيتك، والعبد عبدك، وهذا مقام العائذ بك من النار، أللهم من قبلك الروح والفرج. ثم استلم الركن اليماني، ثم ائت الحجر فاختم به».[٣]

٤. علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه كان إذا انتهى إلى الملتزم، قال لمواليه: «أميطوا عني حتى أقر لربي بذنوبي في هذا المكان، فإنّ هذا مكان لم يقر عبد لربه بذنوبه ثم استغفر الله إلا غفر الله له».[٤]

٥. علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل ابن شاذان، عن ابن أبي عمير، وصفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمار

---

١. الكافي، الشيخ الكليني ٤: ٤١٠ ـ ٤١١.
٢. المصدر السابق.
٣. المصدر السابق.
٤. المصدر السابق.

قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إذا فرغت من طوافك وبلغت مؤخر الكعبة ـ وهو بحذاء المستجار دون الركن اليماني بقليل ـ فابسط يديك على البيت، وألصق بطنك وخدك بالبيت وقل: أللهم البيت بيتك، والعبد عبدك، وهذا مكان العائذ بك من النار، ثم أقر لربك بما عملت، فإنه ليس من عبد مؤمن يقر لربه بذنوبه في هذا المكان إلا غفر الله له إن شاء الله؛ و تقول: أللهم من قبلك الروح والفرج والعافية، أللهم إنّ عملي ضعيف فضاعفه لي، و اغفر لي ما اطلعت عليه مني، وخفي على خلقك، ثم تستجير بالله من النار، وتخير لنفسك من الدعاء، ثم استلم الركن اليماني، ثم ائت الحجر الأسود». [1]

٦. الكافي: عن الحسين بن محمد، عن سعدان بن مسلم، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال: «من طاف بهذا البيت طوافاً واحداً كتب الله عزّوجلّ له ستة آلاف حسنة، ومحا عنه ستة آلاف سيئة، ورفع له ستة آلاف درجة، حتى إذا كان عند الملتزم، فتح الله له سبعة أبواب من أبواب الجنة، قلت: جعلت فداك هذا الفضل كله في الطواف؟ قال: نعم وأخبرك بأفضل من ذلك؛ قضاء حاجة المسلم أفضل من طواف وطواف حتى بلغ عشراً». [2]

قال العلامة المجلسي:

بيان: الملتزم المستجار مقابل باب الكعبة، سمي به؛ لأنه يستحب التزامه وإلصاق البطن به، والدعاء عنده، وقيل: المراد به الحجر الأسود أو ما بينه وبين الباب، أو عتبة الباب، وكأنه أخذ بعضه من قول صاحب المصباح، حيث قال: التزمته اعتنقته، فهو ملتزم، ومنه يقال لما بين الباب والحجر الأسود الملتزم، لأنّ الناس يعتنقونه، أي يضمونه إلى صدورهم؛ انتهى. وهو إنما فسره بذلك،

١. المصدر السابق.

٢. بحار الأنوار ٧١: ٣٢٦ ـ ٣٢٧.

لأنهم لا يعدون الوقوف عند المستجار مستحباً وهو من خواص الشيعة، وما فسره به هو الحطيم عندنا، وبالجملة هذه التفاسير نشأت من عدم الأنس بالأخبار، ولا يبعد أن يكون المراد بالكون عند الملتزم بلوغه في الشوط السابع، فإنّ الالتزام فيه آكد، فيكون فتح سبعة أبواب لتلك المناسبة، وما سيأتي نقلاً عن ثواب الأعمال بسند آخر عن إسحاق هكذا: «حتى إذا صار إلى الملتزم فتح الله له ثمانية أبواب الجنة يقال له: ادخل من أيها شئت»، هو أظهر.. .[1]

٧. علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار وجميل بن صالح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لما طاف آدم بالبيت وانتهى إلى الملتزم، قال له جبرئيل عليه السلام: يا آدم أقر لربك بذنوبك في هذا المكان، قال: فوقف آدم عليه السلام فقال: يا رب إنّ لكل عامل أجراً وقد عملت، فما أجري؟ فأوحى الله عزّوجلّ إليه، يا آدم قد غفرت ذنبك، قال: يا رب [أ] ولولدي ولذريتي؟ فأوحى الله عزّوجلّ إليه، يا آدم من جاء من ذريتك إلى هذا المكان، وأقر بذنوبه وتاب كما تبت ثم استغفر، غفرت له». [2]

٨ . وإذا خرجتم حجاجاً إلى بيت الله عزّوجلّ، فأكثروا النظر إلى بيت الله، فإنّ لله عزّوجلّ مائة وعشرين رحمة عند بيته الحرام، منها ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين. أقروا عند الملتزم بما حفظتم من ذنوبكم، وما لم تحفظوا، فقولوا: «وما حفظَتْهُ علينا حفظَتُكَ ونسيناه، فاغفره لنا»؛ فإنه من أقر بذنبه في ذلك الموضع، وعده وذكره و استغفر الله منه، كان حقاً على الله عزّوجلّ أن يغفره له.[3]

---

١ . المصدر السابق.

٢ . الكافي، الشيخ الكليني ٤ : ١٩٤.

٣ . الخصال، الشيخ الصدوق : ٤١٧ ـ ٤١٨.

٩. حدثني محمد بن موسى بن المتوكل، قال: حدثني محمد بن جعفر، قال: حدثني سهل بن زياد، عن محمد بن إسماعيل، عن سعدان بن مسلم، عن إسحاق بن عمار، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «يا إسحاق! من طاف بهذا البيت طوافاً واحداً، كتب الله له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، وغرس له ألف شجرة في الجنة، وكتب له ثواب عتق ألف نسمة؛ حتى إذا وصل إلى الملتزم، فتح الله له ثمانية أبواب الجنة، يقال له: أدخل من أيها شئت. قال: فقلت جعلت فداك هذا كله لمن طاف؟ قال: نعم، أفلا أخبرك بما هو أفضل من هذا؟ قلت: بلى، قال: من قضى لأخيه المؤمن حاجة، كتب الله له طوافاً حتى بلغ عشراً».[1]

١٠. حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدثنا الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن ابن فضال، عن يونس، عمن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الملتزم، لأي شيء يلتزم، وأي شيء يذكر فيه؟ فقال: «عنده نهر من الجنة، يلقى فيه أعمال العباد كل خميس».[2]

١١. عبدالله بن جعفر الحميري في (قرب الإسناد) عن محمد بن عيسى وأحمد بن إسحاق جميعاً، عن سعدان بن مسلم، قال: «رأيت أبا الحسن موسى عليه السلام استلم الحجر، ثم طاف حتى إذا كان أسبوع، التزم وسط البيت، وترك الملتزم الذي يلتزم أصحابنا، وبسط يده على الكعبة، ثم يمكث ما شاء الله، ثم مضى إلى الحجر، فاستلمه وصلى ركعتين خلف مقام إبراهيم، ثم استلم الحجر، فطاف حتى إذا كان في آخر السبوع استلم وسط البيت، ثم استلم الحجر، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم، ثم عاد إلى الحجر فاستلمه، ثم

١. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: ٤٩.
٢. علل الشرائع، الشيخ الصدوق ٢: ٤٢٤.

مضى حتى إذا بلغ الملتزم في آخر السبوع، التزم وسط البيت وبسط يده، ثم استلم الحجر ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم، ثم عاد إلى الحجر، فاستلم ما بين الحجر إلى الباب، ثم مكث ما شاء الله، ثم خرج من باب الحناطين، حتى أتى ذا طوى، فكان وجهه إلى المدينة».[1]

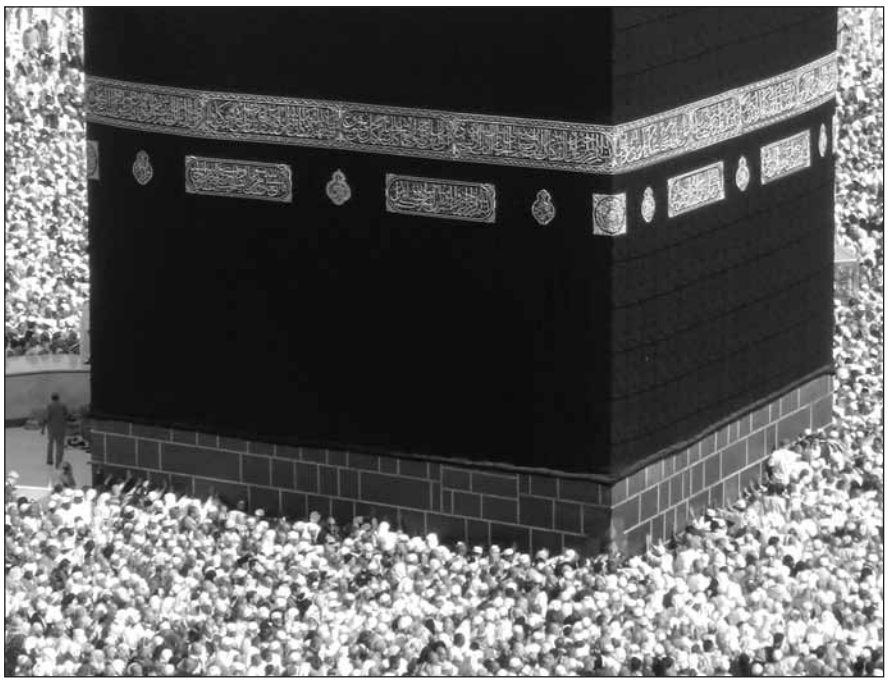

١٢ . وداع أبي جعفر الجواد عليه السلام

وعن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، وعن أبي علي الأشعري، عن الحسن بن علي الكوفي قال: رأيت أبا جعفر الثاني عليه السلام في سنة خمس عشرة ومائتين ودع البيت بعد ارتفاع الشمس، وطاف بالبيت، يستلم الركن اليماني في كل شوط، فلما كان الشوط السابع استلمه واستلم الحجر ومسح بيده، ثم مسح وجهه بيده، ثم أتى المقام فصلى خلفه ركعتين، ثم خرج إلى دبر الكعبة

١ . وسائل الشيعة، الحر العاملي ١٣ : ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

إلى الملتزم، فالتزم البيت وكشف الثوب عن بطنه، ثم وقف عليه طويلاً يدعو، ثم خرج من باب الحناطين وتوجه، قال: فرأيته في سنة تسع عشرة ومأتين ودع البيت ليلاً، يستلم الركن اليماني والحجر الأسود في كل شوط، فلما كان في الشوط السابع التزم البيت في دبر الكعبة قريباً من الركن اليماني، وفوق الحجر المستطيل، وكشف الثوب عن بطنه، ثم أتى الحجر فقبّله ومسحه، وخرج إلى المقام فصلّى خلفه، ثم مضى ولم يعد إلى البيت، وكان وقوفه على الملتزم بقدر ما طاف بعض أصحابنا سبعة أشواط وبعضهم ثمانية.[1]

١٣. الصحيفة السجادية:

دعاؤه عليه السلام عند الملتزم:

قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ علي بن الحسين عليهما السلام إذا أتى الملتزم قال: أللهم إنّ عندي أفواجاً من ذنوب، وأفواجاً من خطايا، وعندك أفواج من رحمة، وأفواج من مغفرة، يا من استجاب لأبغض خلقه إليه، إذ قال: ﴿**أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ استجب لي، وافعل بي كذا وكذا».[2]

١٤. و روينا عن أهل البيت عليهم السلام في الدعاء عند الملتزم وجوهاً يطول ذكرها، ليس منها شيء موقت؛ والملتزم: ظهر البيت حيال الباب، يلتزمه الطائف في الطواف السابع، ويدعو بما قدر عليه، ويبوء بذنوبه إلى الله، ويسأله المغفرة.[3]

١٥. فقه الرضا عليه السلام: «فإذا كنت في الشوط السابع، فقف عند المستجار، وتعلق بأستار الكعبة، وادع الله كثيراً وألح عليه، وسل حوائج الدنيا والآخرة، فإنه قريب مجيب».

---

١. وسائل الشيعة ١٤: ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

٢. الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين عليه السلام: ٣٥٤.

٣. دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي ١: ٣١٤.

وفي بعض نسخه: «فإذا كنت في السابع من طوافك، فأت المستجار عند الركن اليماني إلى مؤخر الكعبة بمقدار ذراعين أو ثلاثة، وإن شئت إلى الملتزم، ألصق بطنك بالبيت، وتعلق بأستار الكعبة، ووجهك ألصق به، وجسدك كلها بالكعبة، وقمت وقلت: الحمد لله الذي كرمك وعظمك وشرفك، وجعلك مثابة للناس وأمناً، أللهم إنّ البيت بيتك، والعبد عبدك، والأمن أمنك، والحرم حرمك، هذا مقام العائذ بك من النار، أستجير بالله من النار، واجتهد في الدعاء، وأكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، وادع لنفسك وللمؤمنين والمؤمنات، وادع بما أحببت من الدعاء».[1]

بركات الملتزم:

١٦. ومنها: ما قال الحسن بن علي بن فضال: إنّ عبدالله بن المغيرة قال: كنت واقفياً،[2] وحججت على تلك الحالة؛ فخلج في صدري بمكة شيء، فتعلقت بالملتزم ثم قلت: أللهم قد علمت طلبتي وإرادتي، فأرشدني إلى خير الأديان. فوقع في نفسي أن آتي الرضا عليه السلام، فأتيت المدينة، فوقفت ببابه، فقلت للغلام: قل لمولاك: رجل من أهل العراق بالباب. فسمعت نداءه وهو يقول: «أدخل يا عبدالله بن المغيرة: فدخلت فلما نظر إليّ قال: قد أجاب الله دعوتك وهداك لدينه. فقلت: أشهد أنك حجة الله على خلقه».[3]

١٧. مناقب ابن شهرآشوب: حبّابة الوالبيّة قالت: رأيت رجلاً بمكة أصيلاً؛[4] في الملتزم، أو بين الباب والحجر، على صعدة من الأرض، وقد حزم

١. مستدرك الوسائل، الميرزا النوري ٩ :٣٩٣ ـ ٣٩٤.

٢. أي واقفاً على إمامة الكاظم عليه السلام، مما يلزم عدم انتقال الإمامة إلى ولده الإمام الرضا عليه السلام.

٣. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي١ :٣٦٠ ـ ٣٦١.

٤. الأصِيل ـ كأمير ـ : ما بين العصر إلى المغرب، وجمعه أُصُل بضمّتين، ثمّ آصال بالمدّ؛ (مجمع البحرين).

وسطه على المئرز بعمامة خز، والغزالة تخال على قلل الجبال كالعمائم على قمم الرجال، وقد صاعد كفه وطرفه نحو السماء ويدعو، فلما انثال الناس عليه يستفتونه عن المعضلات، ويستفتحون أبواب المشكلات، فلم يرم حتى أفتاهم في ألف مسألة، ثم نهض يريد رحله، ومناد ينادي بصوت صهل: ألا إنّ هذا النور الأبلج المسرج، والنسيم الأرج، والحق المرج، وآخرون يقولون من هذا؟ فقيل: محمد بن علي الباقر، عَلَم العلم، والناطق عن الفهم، محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وفي رواية أبي بصير: ألا إنّ هذا باقر علم الرسل، وهذا مبين السبل، هذا خير من رسخ في أصلاب أصحاب السفينة، هذا ابن فاطمة الغراء العذراء الزهراء، هذا بقية الله في أرضه، هذا ناموس الدهر، هذا ابن محمد وخديجة وعلي وفاطمة، هذا منار الدين القائمة.

بيان: الأصيل وقت العصر وبعده، والغزالة الشمس، والقمم بكسر القاف وفتح الميم، جمع قمة بالكسر، وهي أعلى الرأس، أي كانت الشمس في رؤوس الجبال تتخيل كأنها عمامة على رأس رجل، لاتصالها برؤوسها وقرب أفولها، والغرض كون الوقت آخر اليوم، ومع ذلك أفتى في ألف مسألة، ويقال: ما رمت المكان بالكسر أي ما برحت، والصهل محركة حدة الصوت مع بحح، والأبلج الواضح والمضيء، والتسريح الارسال والاطلاق أي المرسل لهداية العباد، أو بالجيم من الإسراج بمعنى إيقاد السراج وهو أنسب، والأرج بكسر الراء من الأرج بالتحريك، وهو توهج ريح الطيب، والمرج إما بضم الميم وكسر الراء وتشديد الجيم، من الرج وهو التحرك والاهتزاز؛ لتحركه بين الناس، أو لاضطرابه من خوف الأعداء؛ أو بفتح الميم وكسر الراء وتخفيف الجيم من قولهم مرج الدين إذا فسد، أي الذي ضاع بين الناس قدره، وقوله: علم العلم،

بتحريك المضاف، والناموس صاحب سر الملك أي مخزن أسرار الله في الدهر.[1]

الملتزم عند أهل السنة:

الملتزم: ويقال له المدعى والمتعوذ، سمي بذلك لالتزامه الدعاء والتعوذ، وهو ما بين الحجر الأسود والباب.[2]

٥ ـ مقام إبراهيم عليه السلام:[3]

١. حدثني أبي، عن سعد بن عبدالله بن أبي خلف القمي الأشعري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن موسى بن القاسم البجلي، عمن حدثه، عن مرازم، سألت أباعبدالله عليه السلام . . . ثم قال [الإمام الصادق عليه السلام]: «إنّ الله فضل مكة وجعل بعضها أفضل من بعض، فقال: ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾...».[4]

٢. عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن ابن سنان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿**إنّ أوّل بيت وضع للنّاس للّذي ببكّة مباركاً و هدىً للعالمين فيه آياتٌ بيّناتٌ**﴾ ما هذه الآيات البيّنات؟ قال: «مقام إبراهيم حيث قام على الحجر، فأثّرت فيه قدماه، والحجر الأسود، ومنزل إسماعيل عليه السلام».[5]

---

١ . بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٤٦ : ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

٢ . معجم البلدان ٥ : ١٩٠.

٣ . قال الطبرسي قدس الله روحه في قوله سبحانه: ﴿**وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾ : في المقام دلالة ظاهرة على نبوة إبراهيم عليه السلام فإن الله سبحانه جعل الحجر تحت قدمه كالطين حتى دخلت قدمه فيه، فكان ذلك معجزة له.«بحارالأنوار١٢: ٨٤».

٤ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه : ٥٩.

٥ . الكافي ٤ : ٢٢٣.

٣. وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام إنه قال: «نزلت ثلثة أحجار من الجنة: **مقام إبراهيم و...**».[١]

٤. تفسير علي بن إبراهيم: ﴿**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق**﴾ يقول: الإبل المهزولة، قال: «ولما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت، أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج، فقال: يا رب وما يبلغ صوتي؟ فقال الله: عليك الأذان وعليّ البلاغ، وارتفع إلى المقام، وهو يومئذ يلصق بالبيت، فارتفع به المقام حتى كان أطول من الجبال، فنادى وأدخل أصبعه في أذنيه وأقبل بوجهه شرقاً وغرباً يقول: أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم، فأجابوه من تحت البحور السبع، ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أطرافها ـ أي الأرض ـ كلها ومن أصلاب الرجال وأرحام النساء بالتلبية «لبيك اللهم لبيك» أوَ لا ترونهم يأتون يلبون؟! فمن حج من يومئذ إلى يوم القيامة فهم ممن استجاب لله، وذلك قوله: ﴿**فيه آيات بينات مقام إبراهيم**﴾ يعني نداء إبراهيم على المقام بالحج».[٢]

٥. محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل نسي أن يصلي الركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام في طواف الحج والعمرة، فقال: «إن كان بالبلد صلى ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام فإنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ وإن كان قد ارتحل فلا آمره أن يرجع».[٣]

٦. الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن أبان بن

---

١. تفسير نورالثقلين١: ٩٢.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٩٦: ١٨٢.

٣. الكافي ٤: ٤٢٥.

عثمان، عن زرارة، عن أحدهما عليهما السلام قال: «لا ينبغي أن تصلي ركعتي طواف الفريضة إلا عند مقام إبراهيم عليه السلام فأما التطوع فحيث شئت من المسجد».[1]

٧. محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قد أدركت الحسين عليه السلام؟ قال عليه السلام: «نعم، أذكر وأنا معه في المسجد الحرام وقد دخل فيه السيل، والناس يقومون على المقام يخرج الخارج. يقول: قد ذهب به السيل و يخرج منه الخارج فيقول: هو مكانه. قال: فقال لي: يا فلان ما صنع هؤلاء؟ فقلت: أصلحك الله يخافون أن يكون السيل قد ذهب بالمقام، فقال: ناد أنّ الله تعالى قد جعله عَلَماً لم يكن ليذهب به، فاستقروا؛ وكان موضع المقام الذي وضعه إبراهيم عليه السلام عند جدار البيت، فلم يزل هناك حتى حوله أهل الجاهلية إلى المكان الذي هو فيه اليوم، فلما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة رده إلى الموضع الذي وضعه إبراهيم عليه السلام فلم يزل هناك إلى أن ولّى عمر بن الخطاب، فسأل الناس من منكم يعرف المكان الذي كان فيه المقام؟ فقال رجل: أنا قد كنت مقداره بنسع فهو عندي؛ فقال: ائتني به، فأتاه به، فقاسه ثم رده إلى ذلك المكان».[2]

٨ . الإمام الصادق عليه السلام: «لما أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام أن أَذِّنْ في الناس بالحج، أخذ الحجر الذي فيه أثر قدميه ـ وهو المقام ـ فوضعه بحذاء البيت، لاصقاً بالبيت، بحيال الموضع الذي هو فيه اليوم، ثم قام عليه فنادى بأعلى صوته بما أمره الله تعالى به، فلما تكلم بالكلام لم يحتمله الحجر، فغرقت رجلاه فيه، فقلع إبراهيم عليه السلام رجليه من الحجر قلعاً. فلما كثر الناس وصاروا إلى الشر والبلاء، ازدحموا عليه فرأوا أن يضعوه في هذا الموضع الذي هو فيه اليوم،

١ . المصدر السابق ٤ : ٤٢٤.
٢ . المصدر السابق ٤ : ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

ليخلو المطاف لمن يطوف بالبيت؛ فلما بعث الله تعالى محمداًﷺ رده إلى الموضع الذي وضعه فيه إبراهيمعليه السلام، فما زال فيه حتى قبض رسول اللهﷺ وفي زمن أبي بكر وأول ولاية عمر، ثم قال عمر: قد ازدحم الناس على هذا المقام، فأيكم يعرف موضعه في الجاهلية؟ فقال له رجل: أنا أخذت قدره بقدر. قال: والقدر عندك؟ قال: نعم، قال: فائت به، فجاء به فأمر بالمقام فحمل، و ردّ إلى الموضع الذي هو فيه الساعة».[1]

٩. وعنه عن أبيه، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: سأله رجلٌ في المسجد الحرام، من أعظم النّاس وزراً؟ فقالعليه السلام: «من يقف بهذين الموقفين، عرفة والمزدلفة، وسعى بين هذين الجبلين، ثمّ طاف بهذا البيت، و صلّى خلف مقام إبراهيمعليه السلام، ثمّ قال في نفسه، و ظنّ أنّ اللّه لم يغفر له، فهو من أعظم النّاس وزراً».[2]

١٠. موسى بن القاسم، عن صفوان بن يحيى، عمّن حدّثه، عن أبي عبداللهعليه السلام قال: «ليس لأحد أن يصلّي ركعتي طواف الفريضة إلاّ خلف المقام، لقول اللّه عزّوجلّ: ﴿**واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلًّى**﴾، فإن صلّيتهما في غيره فعليك إعادة الصّلاة».[3]

١١. الفضائل: روي عن الإمام جعفر الصادقعليه السلام أنه كان جالساً في الحرم في مقام إبراهيمعليه السلام، فجاء رجل شيخ كبير قد فنى عمره في المعصية، فنظر إلى الصادقعليه السلام فقال: نعم الشفيع إلى الله للمذنبين، فأخذ بأستار الكعبة، وأنشأ يقول:

---

١. الحج والعمرة في الكتاب والسنة، محمدي الري شهري: ٩٩ ـ ١٠٠.
٢. وسائل الشيعة ١١: ٩٦.
٣. تهذيب الأحكام ٥: ١٣٧.

بحقّ جدّ هذا يا وليّ بحقّ الهاشميّ الأبطحي
بحقّ الذّكر إذ يوحى إليه بحقّ وصيّه البطل الكمي
بحقّ الطّاهرين ابني عليّ و أمّهما ابنة البرّ الزكي
بحقّ أئمّة سلفوا جميعاً على منهاج جدّهم النّبي
بحقّ القائم المهديّ إلاّ غفرت خطيئة العبد المسيء

قال: فسمع هاتفاً يقول: يا شيخ كان ذنبك عظيماً، ولكن غفرنا لك جميع ذنوبك بحرمة شفعائك، فلو سألتنا ذنوب أهل الأرض لغفرنا لهم، غير عاقر الناقة، وقتلة الأنبياء والأئمة الطاهرين.[1]

١٢. تفسير العياشي: عن علي بن عبد العزيز، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك قول الله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إبْراهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً﴾ وقد يدخله المرجيء، والقدري، والحروري، والزنديق الذي لا يؤمن بالله، قال:

١ . بحار الأنوار ٩١ : ٢٠ ؛ كتاب الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمّي : ٦٦.

«لا ولا كرامة، قلت: فمه جعلت فداك؟ قال: من دخله وهو عارف بحقنا كما هو عارف له خرج من ذنوبه، وكفي همّ الدنيا والآخرة».[1]

١٣. موسى بن القاسم، عن إبراهيم بن أبي سمال، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «... ثم تأتي مقام إبراهيم عليه السلام فتصلي فيه ركعتين، واجعله إماماً، واقرأ فيهما سورة التوحيد ـ قل هو الله أحد ـ وفي الركعة الثانية قل يا أيها الكافرون، ثم تشهد، واحمد الله واثن عليه».[2]

١٤. عنه أحمد بن محمد، عن البرقي، عن النوفلي، عن السكوني، عن جعفر عن أبيه عن علي عليهما السلام إنه أتاه رجل، فقال: إني نذرت أن أنحر ولدي عند مقام إبراهيم عليه السلام إن فعلت كذا وكذا ففعلته؛ فقال: قال علي عليه السلام: «اِذبح كبشاً سميناً تتصدق بلحمه على المساكين».[3]

أمير المؤمنين عليه السلام يتعجب من ميل الناس إلى البدع

١٥. ...ثم أقبل علي عليه السلام على القوم فقال: «العجب لقوم يرون سنة نبيهم تتبدل وتتغير شيئاً شيئاً وباباً باباً، ثم يرضون ولا ينكرون، بل يغضبون له، ويعتبون على من عاب عليه وأنكره، ثم يجيء قوم بعدنا، فيتبعون بدعته وجوره وأحداثه، ويتخذون أحداثه سنة وديناً يتقربون بها إلى الله في مثل: نقل مقام إبراهيم عليه السلام إلى موضعه في الجاهلية، تحويله مقام إبراهيم عليه السلام من الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الموضع الذي كان فيه في الجاهلية الذي حوله منه رسول الله صلى الله عليه وآله».[4]

---

١. بحار الأنوار ٩٦: ٣٦٩ـ ٣٧٠.

٢. تهذيب الأحكام ٥: ١٣٦.

٣. المصدر السابق ٨: ٣١٧.

٤. كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد باقر الأنصاري: ٢٢٥.

١٦. محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن يونس بن يعقوب، عن خاله عبدالله بن عبد الرحمن، عن سعيد السمان، قال: كنت أحج في كل سنة، فلما كان في سنة شديدة أصاب الناس فيها جهد، فقال لي أصحابي: لو نظرت إلى ما تريد أن تحج العام به فتصدقت به كان أفضل؛ قال: فقلت لهم: وترون ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فتصدقت تلك السنة بما أريد أن أحج به وأقمت؛ قال: فرأيت رؤيا ليلة عرفة وقلت: والله لا أعود ولا أدع الحج؛ قال: فلما كان من قابل حججت فلما أتيت منى، رأيت أبا عبدالله عليه السلام وعنده الناس مجتمعون، فأتيته فقلت له: أخبرني عن الرجل، وقصصت عليه قصتي وقلت: أيهما أفضل الحج أو الصدقة؟ فقال: «ما أحسن الصدقة ثلاث مرات؛ قال: قلت: أجل فأيهما أفضل؟ قال: ما يمنع أحدكم من أن يحج ويتصدق؟ قال: قلت : ما يبلغ ماله ذلك ولا يتسع؛ قال: إذا أراد أن ينفق عشرة دراهم في شيء من سبب الحج أنفق خمسة وتصدق بخمسة، أو قصر في شيء من نفقته في الحج، فيجعل ما يحبس في الصدقة، فإنّ له في ذلك أجراً قال: قلت: هذا لو فعلناه استقام، قال: ثم قال: وأنى له مثل الحج، فقالها ثلث مرات؛ إنّ العبد ليخرج من بيته، فيعطي قسماً حتى إذا أتى المسجد الحرام، طاف طواف الفريضة، ثم عدل إلى مقام إبراهيم عليه السلام فصلى ركعتين، فيأتيه ملك فيقوم عن يساره، فإذا انصرف ضرب بيده على كتفيه فيقول: يا هذا أما ما مضى فقد غفر لك، وأما ما يستقبل فجد».[1]

١٧. (الطبرسي طاب ثراه) روي عن الباقر عليه السلام أنه قال: «نزلت ثلاثة أحجار من الجنة، حجر مقام إبراهيم عليه السلام؛ وحجر بني إسرائيل؛ والحجر الأسود؛ واستودعه الله إبراهيم عليه السلام حجر الأبيض، وكان أشد بياضاً من القراطيس،

١. الكافي ٤ : ٢٥٧.

فاسودّ من خطايا بني آدم».

أقول: الحجر الأسود، تقدم أنّ آدمعليه السلام حمله من الجنة. وحدثني بعض الشيوخ من العلماء، أنّ الكعبة لما هدمها السيل، أنهم شاهدوا الحجر من الطرف الذي يلي البيت، وكان أبيض.[1]

مقام إبراهيمعليه السلام:

هو الحجر الذي أحضره إسماعيلعليه السلام لأبيه إبراهيمعليه السلام عندما ارتفع بناء الكعبة فوق قامته، فوقفعليه السلام على هذا الحجر ليكمل البناء. وهذا يصحح المفهوم الخاطىء لبعض العامة من أنّ هذا الحجر فوق مقام إبراهيم، أي مدفنه.[2]

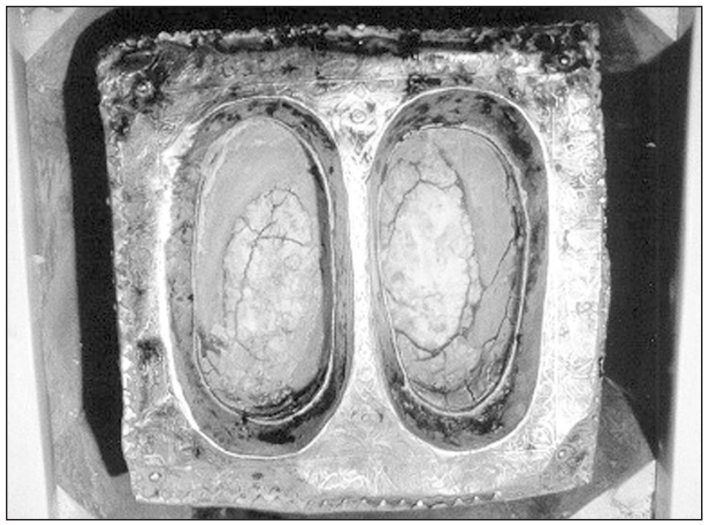

١ . قصص الأنبياء، الجزائري : ١٣٨ ـ ١٣٩.

٢ . الموسوعة العربية العالمية:١١.

شخصيات من الحرمين الشريفين (٣٢)

محمد بن أبي بكر ـ ربيب الإمامة وحبيبها

محسن الأسدي

شاءت له السماء أن يحتلّ منزلةً رفيعةً في الإسلام، وخصوصاً في دائرة الإمامة ومدرستها، حيث حظي بأن يكون تلميذاً نشطاً فيها، فركناً من أركانها، وعضواً واعياً فاعلاً في متابعتها، ملتزماً بتعاليمها، مدركاً لحقيقتها

وأبعادها، بعد أن تركت آثارها عليه تربيةً وتوجيهاً وتهذيباً، واستيعاباً لقيمها ومبادئها، التي هي مبادئ الإسلام وقيمه الحقة الخالصة من الشوائب، فكان مؤمناً بحق، وكان مخلصاً بحق، وكان متفانياً بحق، عارفاً بحقّانية مواقفه ضد الظالمين والمفسدين وأعوانهم، ومن تبعهم من قرناء السوء الذين أضلوا الأمة، وأفسدوا أحوالها، وأساؤوا لها أيما إساءة...

نسبه:

محمد بن أبي بكر من قبيلة تيم، التي هي واحدة من قبائل قريش في مكة، فأبوه هو الخليفة الأول أبوبكر عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، القرشي.[1]

أمّه:

المرأة الصحابية الجليلة، أسمـــاء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث، أو معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قُحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن سعد بن مالك بن نسر، أو بشير بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن حَلف، أو خلف بن أفتل وهو خثعم. وهي من المسلمات اللواتي سبقن غيرهن إلى الدين الحنيف، وكذا هي من المهاجرات الأوائل إلى الحبشة... وقد عرفت بمحبتها لمعرفة معالم دينها من رسول اللهﷺ فكانت تكثر من أسئلتها لهﷺ وغدت من شيعة الإمام علي عليه السلام...[2]

ولادته:

كانت ولادة محمد في كنف أبيه بذي الحليفة أو بالشجرة، وهي موضع

١. تاريخ الطبري٢ : ٣٥٠، أحداث سنة ١٣.

٢ . أنظر ترجمة حياتها في العدد ٢٥ من هذه المجلة.

بين مكة والمدينة، جنوب المدينة المنورة، حين توجه رسول اللهﷺ إلى حجته، التي سميت بحجة الوداع من شهر ذي القعدة أو لخمس بقين من ذي القعدة سنة ١٠ هجرية.

ويعدُّ محمد الولد الوحيد لأبي‌بكر من زوجته أسماء، التي تزوجها في الإسلام، أي لم تلد له غيره. وله ذرية من نساء آخر تزوج بهن في الجاهلية وفي الإسلام. وقد توفي لثمان بقين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣، وكان عمر محمد يوم ذاك عشرين شهراً..

اسمه وكنيته:

في خبر يحمل رؤيا لأمّه أسماء يأتينا تفصيله، أنّ النبيﷺ جاء عنه في تعبير تلك الرؤيا: «.. ولكن يرجع أبوبكر صالحاً، فيلقي أسماء، فتحمل منه أسماء بغلام تسميه محمداً ..».

وفي رواية أنّ عائشة سمت محمد بن أبي بكر وكنته أبا القاسم، فكان محمد بن أبي بكر يكنّى أبا القاسم، وغدا اسماً لابنه فيما بعد، وفي خبر آخر: كان محمد بن أبي بكر قد سمى ابنه القاسم، فكان يكنى بأبي القاسم، وأنّ عائشة كانت تكنيه بها، وذلك في زمان الصحابة، فلا يرون بذلك بأساً...

مناقبه:

كان محمد من عُبّاد المسلمين ونسّاكهم، يُثنى عليه لفضله، وعبادته، وجهاده، وولائه لأهل البيتعليهم السلام.. ويكفيه فخراً أنّ الإمام عليعليه السلام كما قال ابن عبد البر: كان يثني عليه ويفضله، وكانت له عبادة واجتهاد، أو لأنه كانت له عبادة واجتهاد...[1]

١ . أنظر في ذلك: تاريخ الطبري٢ : ٣٤٨ ؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر٢ :

محمد في بيت الإمامة:

شاءت السماء لهذا العبد الصالح أن يتدرج في طفولته ونشئته في أصدق بيت من بيوت العالمين وأطهرها، فقد ضمّت أسماءُ ابنها محمداً، وكان عمره ثلاث سنوات إلى أولادها عبدالله ومحمد وعون من الشهيد جعفر بن أبي طالب المعروف بالطيار، وهو أخ للإمام علي عليه السلام، حين تزوجها الإمام عليه السلام بعد انتهاء عدتها لوفاة زوجها أبي بكر، وانتقلت إلى بيته عليه السلام؛ وعاشت معه، وقد أولدها يحيى وعوناً، فكانت صورة رائعة للمرأة المسلمة المربية، حيث تعهدت تربية أبنائها الستة في بيت ارتضاه الله تعالى أن يكون من بيوته بيت إيمان وطهر، بيت إمامة وصدق..؛ فراحوا يتذوقون مفاهيم وآدابه، ويتعلمون أحكامه، وقيم النبوة والإمامة من أصدق منابعها، وهي تدعو الله أن يصلح بالهم، وأن يجعلهم على صراطه المستقيم..

لقد كانت مثالاً حيّاً للزوجة الصالحة، والأم المربية، فجعلت الإمام عليه السلام معجباً برجاحة عقلها، وهو ما تنطق به سيرتها، وما نجده واضحاً في مثال نسوقه على ذلك؛ حينما اختلف كل من ولديها:

«محمد بن جعفر و محمد بن أبي بكر» وراح كل منهما يتفاخر بأبيه، فقال كل منهما للآخر: «أنا أكرم منك، وأبي خير من أبيك».

وأحال الإمام علي عليه السلام هذا الأمر إليها رضوان الله تعالى عليها لتقضي بينهما. اذن كيف استطاعت أن ترضيهما؟!

وقفت أسماء بينهما، و قالت غير مترددة ولا منتظرة طويلاً: ـ «ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر، ولا رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر». فسكت

حرف الميم، محمد بن أبي بكر؛ أسد الغابة٢ : ٤٨٨ ؛ الإصابة في معرفة الصحابة ٣ : ١٣١؛ والأعلام، للزركلي ٦:٢١٩؛ والغارات ٢ : ٧٥٨.

الولدان، وتصالحا.

فقال علي عليه السلام مداعباً: ـ «فما أبقيت لنا، أو ما تركت لنا شيئاً، ولو قلت غير الذي قلت لمقتك!

قالت: إنّ ثلاثة أنت أحسنهم خياراً!

أنظر هذا فيما رواه زكريا بن أبي زائدة: سمعت عامراً يقول: الخبر أعلاه.

وانظر ابن عيينة، عن إسماعيل، عن قيس، قال: قال علي رضي الله عنه: «كذبتكم من النساء الخارقة، فما ثبتت منهن امرأة إلا أسماء بنت عميس».[1]

لقد كبرت في عين علي عليه السلام حتى أصبح يردد ذلك!

مكانته:

قدرت السماء لهذا الشاب أن يحتلّ مكانة رفيعة في الإسلام، حتى عدّه بعضهم بأنه من صغار الصحابة، فيما عدّه آخرون من كبار التابعين، وبعد كل هذا وذاك، فقد حظي بمنزلة رائعة في قلوب أهل بيت النبوة، والعلم، والطهارة عليهم السلام، لا فقط عند الإمام علي عليه السلام، بل عند الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، اللذين راح يقتبس من نوريهما ويتأثر بهما، كما أنّ منزلته ظلّت محفوظةً عند بقية أهل البيت عليهم السلام، وعند الصالحين من أتباعهم كما يأتينا.

لقد كان بحق ربيباً صادقاً، ومطيعاً، ووفياً لنهج مربيه؛ لهذا غدت كلمات الإمام علي عليه السلام تلاحقه مدحاً وثناءً عليه، ورثاءً له بعد استشهاده، ومن تلك:

«محمد ابني من صلب أبي بكر» «ولقد كان لي حبيباً، كان لي ربيباً».[2]

وهو تقييم، يبين المنزلة التي حظي بها منذ نعومة أظفاره، حينما اصطحبته

---

١ . أنظر سير أعلام النبلاء، للذهبي؛ الصحابة رضوان الله عليهم: أسماء بنت عميس، الجزء الثاني؛ وغيره من السنن، الفضائل.

٢ . نهج البلاغة ٩٨، رقم ٦٨.

أمّه إلى بيت عرف بالطهر والطهارة، ومدرسة عرفت بالعلم والمعرفة، ومبادئ الخلق والاستقامة.. فلازمه، وراح ينهل من علمه وخبرته، وكان له بمثابة التابع الأمين؛ لهذا راحت تلك الكلمات تحمل إطراءً واضحاً عليه حيّاً وميّتاً؛ بعد أن حظي بالشهادة على يد أخسِّ الخلق، قتلة أولياء الله تعالى، ثمَّ يبدعون في تزييف الحقائق، وتضليل الناس، عبر إعلام يعبر عن حقدهم، وبغضهم لكل من ينتمي لمدرسة أهل البيت سلام الله عليهم!

فكانت أقوال الإمام تشكل إعلاماً مضاداً لإعلامهم ذاك، يبين حقيقة هذا الشهيد، ومنزلته، وصدقه، وأنّ من هو ربيب لعليعليه السلام وحبيب له، لا يمكن أن ينحرف عن نهجه، وهو نهج الدين الحنيف، ولا يمكن إلا أن يكون مؤمناً مخلصاً، وتابعاً واعياً لخطِّ أمير المؤمنين عليعليه السلام، وجريئاً في قول كلمة الحق.

زواجه:

ذكرت بعض مصادر أن الصحابة لما جاؤوا بسبي فارس في خلافة الخليفة الثاني، كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد، فباعوا السبايا، وأمر الخليفة ببيع بنات يزدجرد، فقال الإمام عليعليه السلام: «إنّ بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن».

فقال الخليفة: كيف الطريق إلى العمل معهن؟

فقال: «يقومن؛ ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن»؛ فقومن، فأخذهن علي، فدفع واحدة لعبدالله بن عمر، وأخرى لولده الحسين، وأخرى لمحمد بن أبي بكر، فأولد عبدُ الله بن عمر ولدَه سالماً، وأولد الحسينُ زينَ العابدين، وأولد محمدٌ ولدَه القاسم، فهؤلاء أولاد خالة وأمهاتهم بنات يزدجرد.

وفي رواية: ثم جاء فتح فارس في معركة القادسية، فأسر ليزدجرد أربع بنات، كانت إحداهن من نصيب الإمام الحسينعليه السلام، فأنجبت له الإمام زين

العابدين عليه السلام، وهي شاه زنان.

والثانية شهربانويه، تزوجها محمد بن أبي بكر، فولدت له القاسم، وتوفيت شاه زنان أمّ الإمام زين العابدين، فقامت بتربيته خالته شهربانويه زوجة محمد، فأنزلها الإمام زين العابدين عليه السلام بمنزلة أمّه.

أما البنتان الأخريان، فتزوج إحداهما الإمام الحسن عليه السلام والثانية عبدالله بن عمر.

فعلى هذا يكون القاسم بن محمد والإمام زين العابدين عليه السلام أبناء خالة؛ وكان للقاسم ابنة اسمها «أم فروة» تزوجها إمامنا الباقر عليه السلام، فولدت له الإمام الصادق عليه السلام، فيكون محمد بن أبي بكر جدَّ الإمام الصادق عليه السلام لأمّه، مع العلم أنّ أمّها هي ابنة عبدالرحمن بن أبي بكر شقيق محمد.

ومن ألطاف الله على محمد بن أبي بكر أن جعل ذريته موصولة الرحم بذرية الرسول صلى الله عليه وآله، فابنه القاسم هو جدُّ الإمام الصادق من أمّه..

وقفة قصيرة:

وبما أنَّ محمد بن أبي بكر، ولد في شهر ذي القعدة في حجة الوداع سنة ١٠ هجرية، ومجيء هؤلاء الأسرى في الأكثر كان سنة ١٨ هجرية في فتح المدائن، فيكون عمره حين زواجه لا يتجاوز ٨ سنوات! هذا في حالة عدم قبول الرواية الأخرى، التي تبين أنّ قصة هذا الزواج تمّت في خلافة الإمام علي عليه السلام، فقد روي أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان ولى حريث بن جابر الجعفي جانباً من المشرق، فبعث إليه ببنتي يزدجرد بن شهريار، فنحل ابنه الحسين عليه السلام إحداهما، فأولدها زين العابدين عليه السلام يوم النصف من جمادى الأولى سنة: ٣٦ هجري، يوم فتح البصرة، ونزول النصر على أميرالمؤمنين عليه السلام، وغلبته على أصحاب

الجمل، وقيل: في الخامس من شعبان سنة ثمان وثلاثين...

ونحل الأخرى محمد بن أبي بكر، فولدت له القاسم بن محمد.. الذي كان من بناته أم فروة (فاطمة) زوجة الإمام الباقر عليه السلام وأمّ الإمام الصادق عليه السلام، هي المرأة النجيبة الجليلة المكرمة، واسمها قريبة أو فاطمة المعروفة بـ «أم فروة» بنت القاسم بن الشهيد محمد بن أبي بكر، وأمّها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وهذا معنى القول المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، على فرض صحته: «إنّ أبا بكر ولدني مرتين» وفي هذا يقول الشريف الرضي:

وحزناً عتيقاً وهو غاية فخركم
بمـولـد بنـت القاسـم بن محمد

وكان أبوها القاسم من ثقات أصحاب الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، ومن قبله كان أبوه محمد بن أبي بكر من خلص الأصحاب الأوفياء الموالين لأمير المؤمنين علي عليه السلام...

المهم أنّ الروايات في تاريخ أسرهن من قبل المسلمين مختلفة، مما أدى إلى كلام في قصة هذا الزواج كلّه.[1]

الثورة ضد عثمان:

اضطربت الأخبار والأقوال في دوره في هذه الثورة، فبعضها أشارت إلى مشاركته بها، ولكنها اختلفت في كونه هو الذي باشر بنفسه قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، أو أنه شارك غيره في قتل الخليفة؛ فيما بعض آخر منها، بيّنت عدم مشاركته في الثورة، ولا في قتل الخليفة، بل حاجز دونه، فلم يفد؛ وأخبار

١ . أنظر سيرة الأئمة الاثني عشر، لهاشم معروف الحسني٢: ١١١ـ ١١٣؛ وربيع الأبرار، للزمخشري؛ وفي رحاب أئمة أهل البيت، للسيد محسن الأمين٢: ٢٩ ؛ والأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، للشيخ عباس القمي:٩٢؛ وغيرها.

غيرها بيّنت اشتراكه في الثورة قبل أن يتخلّى عن حصار دار الخلافة، وإعتزال الثوار.. وهذه أمثلة منها:

ـ قال ابن حجر: قال الطبراني: له صحبة، وهو آخر من جاء من مصر في أثر عثمان.

ـ «وكان ممّن حضر دار عثمان بن عفّان، ودخل عليه ليقتله، فقال له عثمان: لو رآك أبوك لساءه فعلك، فتركه وخرج».

ـ «نزل عليه ـ عثمان ـ جماعة فيهم محمد بن أبي بكر فقتلوه».

ـ «في حديث لعائشة تصرح فيه باشتراك أخيها محمد في الثورة مباشرة، فعن أبي الأسود قال: سمعت طلق بن خشاف يقول: وفدنا إلى المدينة لننظر فيما قتل عثمان... فانطلقت حتى أتيت عائشة فسلمت عليها... فقلت لها: يا أمّ المؤمنين فيما قتل عثمان أمير المؤمنين؟ قالت: قتل والله مظلوماً، لعن الله من قتله، أقاد الله من ابن أبي بكر به، وساق الله إلى أعين بني تميم هواناً في بيته،...».

أقول:

وهذا لا يتناسب مع ما ورد فيما يأتي؛ من أن عائشة لما بلغها مقتل أخيها محمد جزعت جزعاً شديداً، وقنتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية وعمرو.. ومع ما جاء من أنّ أم المؤمنين أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان واجهت أمَّ المؤمنين عائشة، بموقف غليظ قاس عند مقتل محمد بن أبي بكر، كما ينقل ابن الجوزي في نفس الصفحة عن يزيد بن أبي حبيب قال: «بعث معاوية بن حديج بمولى له يقال له سليم إلى المدينة بشيراً بقتل محمد بن أبي بكر، ومعه قميص محمد بن أبي بكر، ودخل به دار عثمان، فاجتمع إليه آل عثمان من رجال ونساء، وأظهروا السرور بمقتله، وأمرت أم حبيبة بنت أبي سفيان بكبش يشوى، وبعثت بذلك

إلى عائشة وقالت: هكذا شوي أخوك، فلم تأكل عائشة شواءً حتى لحقت بالله عزّوجلّ».

ـ ... «ثم دخل عليه ـ يعني عثمان ـ محمد بن أبي بكر، فقال: أنت قاتلي، فقال: وما يدريك يا نعثل؟ قال: لأنه أتى بك النبي... فوثب على صدره، وقبض على لحيته، فقال: إن تفعل كان يعز على أبيك أن تسوؤه، قال: فوجأه في نحره بمشاقص كانت في يده».

ـ وقد عدّد أبوبكر بن العربي المالكي من يعتقد بمشاركتهم في قتل الخليفة، ولم يذكر محمداً من بينهم...

ـ وكان علي بن أبي طالب يثني على محمد بن أبي بكر ويفضله، لأنه كانت له عبادة واجتهاد، وكان ممن حضر قتل عثمان.

وقيل: إنه شارك في دمه، وقد نفى جماعة من أهل العلم والخبر، أنه شارك في دمه، وأنه لما قال له عثمان: لو رآك أبوك لم يرض هذا المقام منك، خرج عنه وتركه، ثم دخل عليه من قتله.

وقيل: إنه أشار على من كان معه فقتلوه.

ـ وروى أسد بن موسى، قال: حدثنا محمد بن طلحة قال: حدثنا كنانة مولى صفية بنت حيي، وكان شهد يوم الدار إنه لم ينل محمد بن أبي بكر من دم عثمان بشيء؛ قال محمد بن طلحة: فقلت لكنانة: فلم قيل: إنه قتله؟ قال: معاذ الله أن يكون قتله، إنما دخل عليه فقال له عثمان: يابن أخي لست بصاحبي وكلمه بكلام، فخرج ولم ينل من دمه بشيء؛ فقلت لكنانة: فمن قتله؟ قال: رجل من أهل مصر يقال له جبلة بن الأيهم.

ـ وقال ابن عبد البر: «كان علي يثني عليه ويفضله، وكانت له عبادة واجتهاد، ولما بلغ عائشة قتله حزنت عليه جداً، وتولت تربية ولده القاسم،

فنشأ في حجرها، فكان من أفضل أهل زمانه». انتهى

ـ «وكان محمد بن أبي بكر أخذ على عثمان وخرج عليه، والصحيح أنه لم يقتله ولم يشترك في قتله، بل إنه لما دخل على عثمان في الدار ذكره بمكانته من أبيه، فخرج عنه نادماً على فعله».

ـ قال ابن كثير في البداية والنهاية: فقال: أي عثمان مهلاً يا ابن أخي، فوالله لقد أخذت مأخذاً ما كان أبوك ليأخذ به، فتركه وانصرف مستحيياً نادماً، فاستقبله القوم على باب الصفة، فردهم طويلاً فدخلوا، وخرج محمد راجعاً.

ثم قال ابن كثير: «ويروى أنّ محمد بن أبي بكر طعنه بمشاقص في أذنه حتى دخلت في حلقه، والصحيح أنّ الذي فعل ذلك غيره، وأنه استحى ورجع حين قال له عثمان: لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها، فتذمم من ذلك، وغطى وجهه ورجع، وحاجز دونه فلم يفد أو فلم يقدر، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً».[1]

والذي أراه وباختصار:

أنَّ محمد بن أبي بكر قد يكون من المشاركين في الثورة إما فعلاً، وإما على مستوى التفاعل مع الثوار، وقبول مطاليبهم، انطلاقاً من كونه رافضاً للفساد، الذي استشرى في خلافة عثمان، وعند من يحيطونه خصوصاً من بني أمية.. ولكن ما روي من أنه شارك في قتل عثمان، أو تفرّد بقتله لا يستقيم مع كونه

---

١ . أنظر في هذا البداية والنهاية٧: ٢٠٦ ؛ المنتظم ٣ : ٣٩٢ ، ٣٩٣ ؛ الإصابة ٤ :٢٨٦؛ الاستيعاب ٢: حرف الميم، ترجمة محمد بن أبي بكر؛ مجمع الزوائد ٩ :٩٤ ، ٩٧ ؛ المعجم الكبير١: ٨٨ ؛ وكتاب العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد رسول الله ﷺ لأبي بكر بن العربي المالكي، وعليه تحقيقات محب الدين الخطيب؛ وغيرها من مصادر التاريخ، فقد ذكرت هذه الفتنة...

ربيب الإمام علي عليه السلام، ولم يكن طيلة سيرته إلاّ ممتثلاً للإمام، ولم يعرف بمخالفته له أبداً، ولا بأن يقف على الجانب الآخر من الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام..، ولا يتفق مع ما جاء عن الإمام علي عليه السلام: «والله، لقد دفعت عنه، حتى خشيت أن أكون آثماً».

وقد بلغ في دفاعه عنه حتى لا يكون مصيره بهذا الشكل، حتى راح مروان يعترف بذلك ويقول: «ما كان أحدٌ أدفع عن عثمان من علي». ولا ينسجم مع ما ورد من أنّ الإمام علياً عليه السلام هو الرسول بين الثائرين وعثمان؛ وكان عثمان يعد المسلمين في كل مرة بتغيير سيرته، وجعلها أكثر انصافاً وعدلاً؛ لكنه في كل مرة لم يف بما قطعه على نفسه للإمام عليه السلام، وللمسلمين الثائرين عليه، وواحدة من مخالفاته، حينما أرسل كتاباً إلى واليه في مصر، وأخيه في الرضاعة، عبدالله بن سعد بن أبي سرح، بمعاقبة وفد مصر الذين اشتكوه عنده، وفيها بلغت الأحداث ذروتها.. أَيصحُّ أنّ الإمام عليه السلام يتوسط في هذا الحدث، وربيبه يباشر قتل الخليفة أو يشارك فيه؟!

ولا يتفق أيضاً مع ما ذكرته الأخبار من مواقف للإمام علي عليه السلام في هذه الفتنة، ومنها محاولة علي عليه السلام إيصال الماء؛ لما حوصر الخليفة ومنع الماء عنه، وهو ما ذكره طه حسين: واحتال عليٌّ حتى أدخل له شيئاً من ماء، وأقبل على الثائرين فزجرهم، وقال: «إنّ الذي تصنعون ليس صنيع المؤمنين، ولا صنيع الكافرين، وأنّ الفرس والروم ليأسرون فيطعمون ويسقون..».

ولا ينسجم مع ما ورد من أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أعانه بأولاده وأفلاذ كبده، وهذا مما اتفق عليه الرواة، كذا ذكر ابن روزبهان. وأنّ الحسن قاتل قتالاً شديداً، حتى كان يستكفه، وهو يقاتل عنه، ويبذل نفسه دونه... وأنّ الحسن بن علي

قال له: مرني بما شئت، فإني طوع يديك...، وأنّ الإمام الحسن عليه السلام قد جرح وخضب بالدماء على باب عثمان من جراء رمي الناس عثمان بالسهام، قبل أن يتسوّر الثائرون الدار عليه ويقتلوه ـ وإن كنت لا أبرئ مروان بن الحكم وحتى طلحة أو اتباعهما من دم الخليفة، واتهام الثوار بذلك لتشويه ثورتهم...، ـ ولا مع ما روي من أنّ أمير المؤمنين عليه السلام جاء كالواله الحزين، فلطم الحسن، وضرب صدر الحسين عليهما السلام، وشتم آخرين منكراً عليهم أن يقتل عثمان، وهم على الباب.. وأنّ الخبر لما بلغ علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة، خرجوا وقد ذهبت عقلوهم، فدخلوا عليه واسترجعوا، وأكبوا عليه يبكون ويُعوِلون حتى غشي على عليّ ثم أفاق، فقال لابنيه: «كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب»؟ فرفع يده فضرب الحسن والحسين، وشتم محمد بن طلحة، ولعن عبدالله بن الزبير، اللذين جاءا أيضاً لحماية الخليفة، وخرج علي وقد سلب عقله، ولا يدري ما يستقبل من أمره، فقال طلحة: مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين..؟... إلى غير ذلك.[1]

وبالتالي أيصحّ من محمد أن يعارض كل هذه المواقف لأمير المؤمنين عليه السلام وولديه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وقد كان محمد متأثراً بهما أيما تأثّر، يأتيان بأمر من الإمام عليه السلام ليمنعا قتل الخليفة، فيما محمد يأتي فيتسوّر عليه الجدار ويقتله، ويفشل ما جاء الأئمة الثلاثة عليهم السلام من أجله، وهو من تربّى على مبادئهم، وتمثّل سلوكهم، واستعذب أخلاقهم، وتحلّى بمواقفهم، وسار بسيرتهم.. وكان لهم نعم الأخ المطيع؛ بعد أن عرف أنهم على الحق المبين، إن

١ . أنظر الفتنة الكبرى، للدكتور طه حسين: عثمان: ٢١٣ ؛ وإبطال نهج الباطل، لابن روزبهان٣ : ق١: ١٨٨؛ مروج الذهب ٢ :٣٤٤ و٣٤٥؛ الإمامة والسياسة ١ : ٦٣؛ الآداب السلطانية: ٩٨ ؛ العقد الفريد ٤ : ٢٩٠ و٢٩١؛ الفتوح، لابن أعثم٢ : ٢٣١،٢٢٨...

قاموا وإن قعدوا، وهذا الكلام وما يماثله يجري حتى على بقية الأصحاب المقربين للإمام علي عليه السلام، والذين هم الحواريّون بحق للإمام ومريدوه؟!

هذا إضافةً إلى ما وقعت فيه الروايات من علل في سند العديد منها، ومن تعارض واضح في متونها، فمع ما ذكرناه، نجد بعضها ينصّ على قتله للخليفة، وبعضها الآخر أنه أراد قتله، لكنه ولِما سمعه منه ترك قتله، أو أنه حاجز عنه،...

نعم، هذه الفترة الحرجة من تاريخ المسلمين. أثرت تأثيراً في نفسيته، وساهمت في صياغة شخصيته، وأضافت معرفة بدقائق الأمور إلى معلوماته؛ كيف لا تكون كذلك، وقد غربلت هذه الأحداث الشخصيات المهمة على الساحة، وميزت بصورة دقيقة ولاءاتهم...؟!

لقد رأى محمد بأم عينيه ظلم بني أمية لعليّ عليه السلام، وبغضهم له، فقد طالبوه بدم الخليفة؛ على الرغم من دفاع علي عليه السلام عن عثمان وقومه، ومنعه للثائرين من الإساءة إليه؛ لقد عرّفت هذه الأحداث محمدبن أبي بكر الحق بصورة لا تشوبها شائبة ليقف معه، ويتبع أثره مهما كانت الشدائد والصعوبات؛ فاندفع بحماسة الشباب، وروح الإيمان المترسخ عنده، لممارسة التغيير، والقيام بدوره، وفي إرجاع الحق إلى نصابه؛ فاتّهم ظلماً في جملة من اتّهم بقتل الخليفة عثمان..

من مواقفه:

إنّ حياته اتسمت بسيرة جهادية تدل على صدق إيمانه، وعظمة ولائه الواعي لأميرالمؤمنين علي عليه السلام، وقوته وشجاعته، وصبره وتحمله لما عانت منه الساحة المؤمنة يومذاك، وبغضه ونقمته على الظالمين والفاسدين وأعوانهم.. فقد شارك في العديد من المعارك، وذكرت له العديد من المواقف:

معركة ذات الصواري:

في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، اشترك محمد بن أبي بكر في معركة الصواري البحرية سنة٣١هـ ضد الروم، حيث اقتتل الطرفان قتالاً شديداً، وسالت الدماء حتى احمرت صفحة مياه البحر، وترامت فيه الجثث، ولم ينج من جند الروم إلاّ الشريد، كان هذا قبل أن ينصر الله المؤمنين في هذه المعركة، التي سميت بالصواري؛ جمع صار وهي الخشبة المعترضة وسط السفينة، أو سميت المعركة كذلك؛ لكثرة صواري المراكب، أو لكثرة ساريات السفن، التي التحمت في القتال، حيث قدر عدد سفن الفريقين المتقاتلين، وهم المسلمون والروم بألف ومئتي سفينة...[1]

مبادرته لبيعة الإمام عليه السلام:

كان محمد واحداً من أولئك الذين وصفهم الشيخ المفيد أعلى الله مقامه بأنهم من جملة مبايعي أمير المؤمنين عليه السلام الراضين بإمامته، الباذلين أنفسهم في طاعته... وراح يذكر المهاجرين فالأنصار فبني هاشم، ثم يعقب عليهم بقوله: ومن يلحق بهم في الذكر من أوليائهم وعِلية شيعتهم وأهل الفضل في الدين والإيمان والعلم والفقه والقرآن، المنقطعين إلى الله تعالى بالعبادة والجهاد والتمسك بحقائق الإيمان ، هكذا يصفهم الشيخ، وما أن ينتهي من وصفه لهم بهذه الصفات حتى يبدأ بتعداد أسمائهم، ويبدأهم بمحمد بن أبي بكر، ويعرّفه بأنه ربيب أمير المؤمنين عليه السلام وحبيبه.

وكان محمد ومعه الأشتر وعمار في مقدمة المبايعين للإمام عليه السلام، كما جاء ذلك فيما ذكره الشيخ المفيد: فلما قتل عثمان مال الناس إلى علي بن أبي طالب عليه السلام،

١ . أنظر مصادر التاريخ، منها تاريخ الطبري، أحداث سنة ٣١ ؛ و شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥:٥٣.

ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره؛ وخرجوا في طلب عليّ يقدمهم الأشتر ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر حتى أتوا علياً عليه السلام وهو في بيت سكن فيه، فقالوا له: بايعنا على الطاعة لك، فتلكأ ساعة، فقال الأشتر: «يا علي، إنّ الناس لا يعدلون بك غيرك، فبايع قبل أن تختلف الناس...».[1]

وهذا يدل على أن هؤلاء الثلاثة، الذين تقدموا الناس، كانوا الأوائل في بيعتهم، لم يسبقهم أحد فيها.

دوره في معركة الجمل:

فإضافة إلى أنه قد اشترك هو وعماربن ياسر في عقر الجمل، ولم يكن هذا حدثاً يسيراً في معركة عنيفة طاحنة، راح يدافع عن هذا الجمل وأمِّ المؤمنين فيه ـ التي يقول عنها الإمام علي عليه السلام حين بلغه خروجها: «وقد ـ والله ـ علمتُ أنّها الراكبة الجمل، لا تحلّ عقدةً، ولا تسير عقبةً، ولا تنزل منزلاً إلاّ إلى معصية؛

١ . كتاب الجمل، للشيخ المفيد: ١٦٢،١٠٨.

حتى تُورد نفسها ومن معها مورداً يُقتل ثلثهم، ويهرب ثلثهم، ويرجع ثلثهم»ـ.

أربعة آلاف مُقاتل من بني ضَبَّةَ، والأزد، وتميم، وغيرهم، تسمّروا حول الجمل، وغيرهم يهجمون عليه يريدون عقره؛ حتى قُتل خمسة آلاف من جيش الإمام عليّ عليه السلام، فيما قُتل من أصحاب الجمل: عشرون ألفاً، ثلاثة عشر ألفاً، عشرة آلاف، خمسة آلاف، فيما قال غيرهم: بما أنّ عدد أصحاب الجمل كان ثلاثين ألفاً، فيكون عدد قتلاهم عشرة آلاف، بناءً على النبوءة المذكورة للإمام...[1]

وسجل محمد بن أبي بكر دوراً آخر واضحاً في معركة الجمل، وبالذات مع أخته أمِّ المؤمنين عائشة، التي كانت الأبرز في حركة الناكثين لبيعة الإمام علي عليه السلام مع الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله؛ اللذين بايعا الإمام عليه السلام ثم نكثا بيعتهما له، وراح الثلاثة يعدون عدتهم، ويُهيؤون أتباعهم، وانطلقوا في حركتهم هذه حتى وقعت معركة الجمل في البصرة..

لقد كان محمد واحداً ممن دعاهم أمير المؤمنين عليه السلام وهم عبدالله بن عباس، ومحمد بن أبي بكر، وعمار بن ياسر، وسهل بن حنيف، وأخبرهم بمسير طلحة والزبير إلى البصرة، فقال محمد بن أبي بكر: ما يريدون يا أمير المؤمنين؟

فتبسم عليه السلام وقال: «يطلبون بدم عثمان!».

فقال محمد: والله، ما قتل عثمان غيرهم.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أشيروا عليَّ بما أسمع منكم القول فيه».[2]

---

١ . العقد الفريد٣: ٣٢٤؛ تاريخ الطبري٤: ٥٣٩؛ الكامل في التاريخ٢: ٣٤٦، البداية والنهاية٧: ٢٤٥؛ مروج الذهب٢: ٣٦٠؛ الإرشاد: ١: ٢٤٦.

٢ . كتاب الجمل، للشيخ المفيد: ٢٤٢.

السفارة:

وأُرسل محمدٌ في سفارة إلى أبي موسى الأشعري بالكوفة في عهد أمير المؤمنين عليه السلام، **فقد** ذكر أن علياً أنفذ إلى أهل الكوفة رسلاً، وكتب إليهم كتاباً عند خروجه من المدينة وقبل نزوله بذي قار... يستنفرهم للجهاد معه، والاستعانة بهم على أعدائه الناكثين لعهده، الخارجين لحربه، فكان مما رواه الواقدي أن قال: حدثني عبيد الله بن الحرث بن الفضل عن أبيه قال: لما عزم علي عليه السلام على المسير من المدينة، لرد طلحة والزبير، بعث محمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر إلى الكوفة، وكان عليها أبو موسى الأشعري، فلما قدما عليه، أساء القول لهما وأغلظ، وقال: إنّ بيعة عثمان لفي رقبة صاحبكم وفي رقبتي ما خرجنا منها.

ثم قام على المنبر وقال:

أيها الناس إنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن أعلم منكم بهذه الفتنة فاحذروها، إنّ عائشة كتبت إليّ أن أكفني من قبلك، وهذا علي بن أبي طالب قادم إليكم، يريد أن يسفك بكم دماء المسلمين، فكسروا نبلكم، واقطعوا أوتاركم، واضربوا الحجارة بسيوفكم.

فقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه لمحمد بن أبي بكر: يا أخي ما عند هذا خير. ارجع بنا إلى أمير المؤمنين نخبره الخبر، فلما رجعا إليه وأخبراه الحال، وقد كان كتب معهما كتاباً إلى أبي موسى الأشعري أن يبايع من قبله على السمع والطاعة، وقال عليه السلام له في كتابه: «أخرج الناس عن حجزتك، وارفع عنهم سوطك، واجلس بالعراق، فإن خففت فاقبل، وإن ثقلت فاقعد»؛ فلما قرأ الكتاب قال: أثقل ثم أثقل...[1]

١ . أنظر أعيان الشيعة، محسن الأمين١: ٤٥٤ ؛ وكتاب الجمل: ١٣٩ـ١٤٠.

لقد شهد محمد بن أبي بكر مع الإمام علي عليه السلام معركة الجمل، وكان فيها قائد جميع الرجّالة، وناداه أمير المؤمنين عليه السلام: «يا محمد بن أبي بكر! إن صُرعت عائشةُ فوارها (أو فدارها) وتولَّ أمرها».

فتضعضع القومُ حين سمعوا ذلك واضطربوا... ولما أحدقوا بالجمل، وصار القتال حوله... صاح الإمام عليه السلام: «يا ابن أبي بكر اقطع البِطانَ!».

البطان: حزام الرحل والقَتَب، وقيل: هو للبعير كالحزام للدابة.[1]

فأسرع محمد ابن أبي بكر رحمه الله، فقطعه، واطَّلع على الهودج، فقالت عائشة: من أنت؟ فقال: أبغض أهلكِ إليكِ. قالت: ابن الخثعمية؟ قال: نعم، ولم تكن دون أمهاتكِ. قالت : لعمري بل هي شريفة، دع عنك هذا، الحمد لله الذي سلّمك. قال: قد كان ذلك ما تكرهين. قالت: يا أخي لو كرهتُهُ ما قلتُ ما قلتُ. قال: كنتِ تحبين الظفر وأني قُتلتُ. قالت: قد كنتُ أحب ذلك، لكن لما صرنا إلى ما صرنا إليه، أحببتُ سلامتك؛ لقرابتي منك، فاكفف ولا تعقِّب الأمور، وخذ الظاهر، ولا تكن لومةً ولا عذلةً، فإن أباك لم يكن لومةً ولا عذلةً...

وفي خبر عن عائشة: ... فإذا ابن أبي طالب أنظر إليه يباشر القتال بنفسه وأسمعه يصيح: «الجمل! الجمل!». فقلت: أراد والله قتلي، فإذا هو قد دنا منه ومعه محمد بن أبي بكر أخي، ومعاذ بن عبيد الله التميمي، وعمار بن ياسر، فقطعوا البطان، واحتمل الهودج فهو على أيدي الرجال يرفلون به، إذ تفرق من كان معنا فلم أحس لهم خبراً...

وفي خبر آخر: وجاء الإمام عليه السلام وقرع الهودج برمحه وقال: «يا حميراء! بهذا أوصاكِ رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

١ . لسان العرب، لابن منظور١٣: ٥٦، بطن.

فقالت: يا ابن أبي طالب ملكت فاصفح، وظفرت فاسجع.

فقال الإمام عليه السلام: «والله ما أدري متى أشفي غيظي؟ أحين أقدر على الانتقام يقال لي لو غفرت؟ أم حين أعجز من الانتقام فيقال لي: لو صبرت؛ بلى أصبر، فإنّ لكلّ شيء زكاة، وزكاة القدرة والمكنة العفو والصفح، ثمّ التفت عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر وقال: شأنك بأختك فلا يدن منها أحدٌ سواك، وأمر الإمام فاحتملت عائشة بهودجها إلى دار عبدالله بن خلف في البصرة، وأمر الجمل أن يحرق، ثمّ يذر رماده في الريح، وأشار إلى الجمل وقال: «لعنه الله من دابّة، فما أشبهه بعجل بني إسرائيل».[1]

فهو الذي حمل الهودج من بين القتلى، فأمر الإمام علي عليه السلام أن يضرب عليه قبة، ثم قال لمحمد: «أنظر هل وصل إلى أختك عائشة شيء من جروح؟».

وفي خبر: ونادى أمير المؤمنين عليه السلام محمداً، فقال: «سلها هل وصل إليها شيء من الرماح والسهام؟» فسألها فقالت: نعم، وصل إليَّ سهم خدش رأسي وسلمتُ منه، يحكم الله بيني وبينكم.

فقال محمد: والله ليحكمنَّ الله عليكِ يوم القيامة، ما كان بينكِ وبين أمير المؤمنين عليه السلام حتى تخرجي عليه، وتؤلبي الناس على قتاله، وتنبذي كتاب الله وراء ظهرك؟!

فقالت: دعنا يا محمد، وقل لصاحبك يحرسني.

قال: والهودج كالقنفذ من النّبل؛ فرجعتُ إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرتُه بما جرى بيني وبينها، وما قلتُ وما قالت.

فقال عليه السلام: «هي امرأة، والنساء ضعاف العقول، تولَّ أمرها واحملها إلى دار

---

١ . أنظر كتاب الجمل، للشيخ المفيد ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٢ ؛ أمالي الشيخ المفيد، المجلس: ٣١ حديث:٣...

بني خلف، حتى ننظر في أمرها».

فحملتُها إلى الموضع، وإنّ لسانها لا يفترُ عن السبِّ لي ولعليعليه السلام، والترحم على أصحاب الجمل.

وفي خبر: تقدم محمد بن أبي بكر، فقطع بطان الجمل، وحمل الخدر ومعه أصحابه، وفيه عائشة حتى أنزلوها بعض دور البصرة.

وذكر القرطبي:... ولكن جرت مطاعنات وجراحات حتى كاد يفنى الفريقان، فعمد بعضهم إلى الجمل فعرقبه، فلما سقط الجمل لجنبه، أدرك محمد بن أبي بكر عائشة رضي الله تعالى عنها، فاحتملها إلى البصرة، وخرجت في ثلاثين امرأة، قَرَنَهُنَّ عليٌّ بها حتى أوصلوها إلى المدينة..

وفي قول: عندما أقبل الليل أدخلها البصرة وأنزلها دار عبدالله بن خلف الخزاعي، ضيفة عند صفية بنت الحرث بن أبي طلحة، ثم أعادها الإمام عليعليه السلام إلى المدينة المنورة برفقة أخيها محمد، مع أربعين امرأة متنكرات بزيّ ثياب الرجال حرساً لها...[1]

معركة صفين:

وشهد مع الإمام هذه المعركة ضد جيش الشام، بقيادة معاوية بن أبي سفيان...

ومما كان يتغنى به غلام على قعود له:

حُكيم وعمار الشجا ومحمدٌ وأشترُ والمكشوحُ جروا الدواهيا

---

١ . أنظر في هذا، المصادر في هامش الصفحة:٣٧١ من كتاب الجمل، للشيخ المفيد ؛ وصفحة: ٣٧٦ عن الواقدي ؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي١٤: ١٨٢ في تفسير قوله تعالى: ﴿**وقرن في بيوتكن...**﴾: ٣٣ من سورة الأحزاب ؛ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني٣:٣٢٨ ؛ والكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣:١٣٢.

حكيم بهيئة التصغير هو ابن جبلة بن حصن العبدي، وعمار هو عمار بن ياسر الصحابي، ومحمد هو ابن أبي بكر، والأشتر، هو لقب مالك بن الحارث الشاعر التابعي، والمكشوح، هو المرادي، وقد اختلف في اسمه..[1]

وقد ذكر صاحب كتاب وقعة صفين ما دار بين محمد بن أبي بكر ومعاوية، عبر ما كتبه الأول:

وكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي بن صخر.

سلام على أهل طاعة الله، ممن هو مسلم لأهل ولاية الله.

أما بعد، فإن الله بجلاله، وعظمته، وسلطانه، وقدرته، خلق خلقاً بلا عنت، ولا ضعف في قوته، ولا حاجة به إلى خلقهم، ولكنه خلقهم عبيداً، وجعل منهم شقياً وسعيداً، وغوياً ورشيداً، ثم اختارهم على علمه، فأصطفى وانتخب منهم محمداً صلى الله عليه وآله، فاختصه برسالته، واختاره لوحيه، وائتمنه على أمره، وبعثه رسولاً مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، ودليلاً على الشرائع، فدعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأناب، وصدق ووافق، وأسلم وسلم؛ أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام، فصدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كل حميم، فوقاه كل هول، وواساه بنفسه في كل خوف، فحارب حربه، وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الأزل، ومقامات الروع، حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله.

١ . أنظر وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ٥٤ وهامش الصفحة ومصادره.

وقد رأيتك تســـاميه وأنت أنت. وهو هو؛ المبرز الســـابق في كل خير، أول الناس إسلاماً، وأصدق الناس نيةً، وأطيب الناس ذريةً، وأفضل الناس زوجةً، وخير الناس ابن عم، وأنت اللعين ابن اللعين.

ثـــم لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لديـــن الله، وتجهدان على إطفاء نـــور الله، وتجمعان علـــى ذلك الجموع، وتبذلان فيه المـــال، وتخالفان فيه القبائـــل، على ذلك مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشـــاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب، ورؤوس النفاق والشـــقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله، والشاهد لعلي مع فضله المبين، وسبقه القديم، أنصاره الذين ذكروا بفضلهم في القرآن، فأثنى الله عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه عصائب وكتائب حوله، يجالدون بأســـيافهم، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتباعه، والشقاء في خلافه.

فكيف ـ يا لك الويل ـ تعدل نفسك بعليّ، وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآلـــه، ووصيه، وأبو ولده، وأول الناس له اتباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسره، ويشركه في أمره؛ وأنت عدوه وابن عدوه؟!

فتمتع ما اســـتطعت بباطلك، وليمدد لك ابـــن العاص في غوايتك، فكأن أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهي، وسوف يستبين لمن تكون العاقبة العليا.

واعلم أنـــك [إنما] تكايد ربك الذي قد أمنت كيده، وأيســـت من روحه، وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور، وبالله وأهل رســـوله عنك الغناء، والسلام على من اتبع الهدى.

فكتب إليه معاوية:

بسم الله الرحمن الرحيم

من معاوية بن أبي سـفيان، إلى الزاري علـى أبيه محمد بن أبي بكر. سـلام على أهل طاعة الله. أما بعد فقد أتاني كتابـك، تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسـلطانه، وما أصفى به نبيـه، مع كلام ألفته ووضعته، لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف. ذكرت حق ابن أبي طالب، وقديم سوابقه وقرابتـه من نبي الله صلـى الله عليه، ونصرته له، ومواسـاته إياه في كل خوف وهول، واحتجاجك عليَّ بفضل غيرك لا بفضلك. فأحمد إلهاً صرف الفضل عنك وجعله لغيرك. وقد كنا وأبوك معنا في حياة من نبينا صلى الله عليه، نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا.

فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته، وأفلج حجتـه، قبضه الله إليه، فكان أبـوك وفاروقه أولَ من ابتزه وخالفه، على ذلك اتفقا واتسـقا، ثم دعواه إلى أنفسهم، فأبطأ عنهما، وتلكأ عليهما، فهما به الهموم، وأرادا به العظيم، فبايع وسلم لهما، لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما، حتى قبضا وانقضى أمرهما.

ثم قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان، يهتدي بهديهما، ويسير بسيرتهما، فعبتـه أنت وصاحبك، حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي، وبطنتما له وأظهرتما، [وكشفتما] عداوتكما وغلكما، حتى بلغتما منه مناكما.

فخذ حذرك يا ابن أبي بكر، فسـترى وبال أمرك، وقس شبرك بفترك، تقصر عن أن تسـاوي أو توازي من يزن الجبـال حلمه، [و] لا تلين على قسـر قناته، ولا يدرك ذو مدى أناته، أبوك مهد مهاده، وبني ملكه وشاده،

فــإن يكن ما نحن فيه صواباً، فأبوك أوله، وإن يك جوراً فأبوك أســسـه، ونحن شركاؤه، وبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا.

ولولا ما ســبقنا إليه أبوك، ما خالفنا ابن أبي طالب وأســلمنا له، ولكنا رأينــا أباك فعل ذلك فاحتذينا بمثاله، واقتدينا بفعاله، فعب أباك ما بدا لك، أو دع، والسلام على من أناب ورجع عن غوايته وتاب.[1]

ولاية مصر:

وصار محمد أميراً لمصر، بعد أن كانت لمحمد بن أبي بكر محبةٌ في القلوب عند كثير من أهلها؛ لما سمعوا عنه من عدائه الشديد للظلم والظالمين، ووجدوا فيه بغضاً للفساد والفاسدين، وحباً للعدل والبرِّ والمعروف، وبالذات عند الثائرين على الفساد، الذي استشرى يومذاك حتى أنّ واحداً من أهم مطالبهم من الخليفة عثمان أن يعزل أخاه من الرضاعة عبدالله بن أبي سرح عن ولاية مصر، وتعيين محمد بن أبي بكر مكانه..

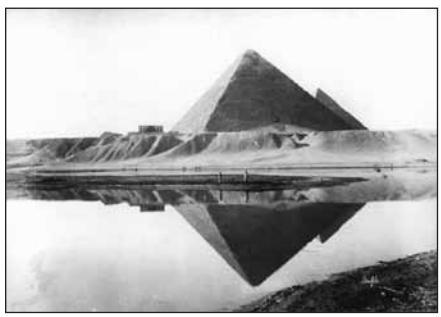

ومما يذكره الدكتور طه حسين عن طمع أقرباء الخليفة في مصر التالي: «ولكن العام الأول من ولاية عثمان لم يكد

١ . أنظر وقعة صفين: ١١٨ـ١٢١ ؛ الاحتجاج ١ : ٢٦٩ ؛ مروج الذهب، للمسعودي، تحقيق محمد محي الدين ٣ : ٢٠.

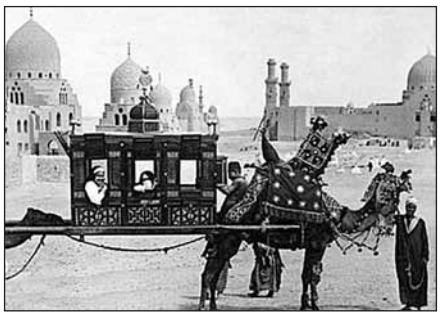

ينقضي حتى جعلت قرابة عثمان تنظر إلى مصر نظرةً لا تخلو من طمع فيها، وطموح إليها.. والشيء البين من أحاديث الرواة هو أنّ عثمان كان يرشح عبدالله بن سعد بن أبي سرح أخاه من الرضاعة لأمر عظيم... وأرسل إلى إفريقية جيشاً.. أمّر عثمان على هذا الجيش عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وقال له: إن فتحت عليك إفريقية، فلك خمس الخمس من الغنيمة.. وقد أتيح لابن أبي سرح فتح إفريقية.. وأخذ لنفسه خمس الخمس، وقيل: إنّ مروان بن الحكم اشترى خمس الخمس بمائة ألف دينارأو مائتي ألف... ثم يقول: ولم يكن عبدالله بن سعد بن أبي سرح رجل صدق، ولم يكن المسلمون يرضون عنه، فقد كان من الذين اشتدوا على النبي وأسرفوا في السخرية منه، وقد نزل القرآن بكفره وذمه، فقد كان عبدالله يقول ساخراً من القرآن: سأنزل مثل ما أنزل الله، وقد أهدر النبيﷺ دم

عبدالله بن سعد بن أبي سرح يوم الفتح...[1]

ومن هذا يتبين أنّ الخليفة كان يرشح أخاه لأمر عظيم، وهو ولاية مصر، وقد انتزعها من عمرو بن العاص، ووضعها في عهدة أخيه المذكور...

فهكذا بلد هو مطمع لبني أمية وخاصة لمعاوية بن أبي سفيان، العدو اللدود للإمام عليعليه السلام ومبادئه، ودولته، ورجاله، وأتباعه، يحتاج إلى قائد ووالٍ ذي حنكة ووعي وجدير بتحمل المسؤولية فيه، فجاء اختيار محمد بن أبي بكر خلفاً لقيس بن سعد الأنصاري.[2]

فقد عيّن الإمامعليه السلام محمد بن أبي بكر والياً على مصر، التي دخلها في الخامس عشر من شهر رمضان سنة٣٧ هجرية، ومصر يومذاك هي أكبر حاضرة من حواضر الإسلام أرضاً وسعةً وسكاناً..، وقد اختلف فيمن ولاه الإمامعليه السلام، فهناك من يقول: كان مالك الأشتر هو من كلفه الإمام بولاية مصر أولاً، لكنه وقبل أن يصلها استشهد، ثم جاء أمره الثاني بتولية محمد بن أبي بكر، فقد ذكر صاحب الاستيعاب أنّ علي بن أبي طالب ولى في هذه السنة (٣٨ هجرية) مالك بن الحارث الأشتر النخعي مصر، فمات بالقلزم قبل أن يصل إليها، سم في زبد وعسل، قدم بين يديه فأكل منه فمات، فولى عليعليه السلام محمد بن أبي بكر...[3]

وفي النجوم الزاهرة جاء التالي: وفي ولاية الأشتر هذا على مصر قبل محمد بن أبي بكر الصديق اختلاف كثير؛ حكى جماعة كثيرة من المؤرخين، وذكروا ما يدل على أنّ ولاية محمد بن أبي بكر كانت هي السابقة بعد عزل قيس بن سعد بن عبادة، وجماعة قدموا ولاية الأشتر هذا، ولكل منهما استدلال قوي؛ والذين قدموا

---

١ . الفتنة الكبرى، للدكتور طه حسين: ١٢٢، ١٢٤ ـ عثمان.

٢ . أنظر ترجمة قيس بن سعد الأنصاري في العدد:٣٢ من مجلة ميقات الحج.

٣ . الاستيعاب، لابن عبد البر١ : ٤٢٥، محمد بن أبي بكر...

الأشترهم الأكثر، وقد رأيت في عدة كتب ولاية الأشتر هي المقدمة فقدمته لذلك. والأشتر اسمه مالك بن الحارث؛ قال أبو المظفر في مرآة الزمان: قال علماء السيرة كابن إسحاق وهشام والواقدي قالوا: لما اختل أمر مصر على محمد ابن أبي بكر الصديق، وبلغ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: ما لمصر إلا أحد الرجلين، صاحبنا الذي عزلناه عنها ـ يعني قيس بن سعد بن عبادة ـ أو مالك بن الحارث يعني الأشتر هذا.

قلت: وهذا مما يدل على أنّ ولاية محمد بن أبي بكر الصديق كانت هي السابقة؛ أللهم إلاّ إن كان لما اختل أمر مصر على محمد عزله علي ـ رضي الله عنه ـ بالأشتر، ثم استمر محمد ثانياً بعد موت الأشتر على عمله حتى وقع من أمره ما سنذكره؛ وهذا هو أقرب للجمع بين الأقوال، لأن الأشتر توفي قبل دخوله إلى مصر، والله أعلم.[1]

هذا، وقد تألم محمد بن أبي بكر، وتكدر مما سمعه من إبداله بالأشتر، حتى ذكر في نهج البلاغة أنّ الإمام عليه السلام وجه كتاباً إليه حين بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر، الذي توفي قبل وصوله إليها.

«أما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك، وإني لم أفعل ذلك استبطاءً لك في الجهد، ولا ازدياداً في الجد، ولو نزعتُ ما تحت يدك من سلطانك، لوليتك ما هو أيسر عليك مؤونةً، وأعجب إليك ولايةً.

إنّ الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان لنا رجلاً ناصحاً، وعلى عدونا شديداً ناقماً. فرحمه الله! فلقد استكمل أيامه، ولاقى حمامه، ونحن عنه راضون. أولاه الله رضوانه، وضاعف الثواب له، فأصحر لعدوك، وامض على بصيرتك، وشمّر لحرب من حاربك، وادع إلى سبيل ربك، وأكثر الاستعانة

١ . أنظر كتاب النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي:٤١.

بالله يكفك ما أهمّك، ويُعنك على ما نزل بك، إن شاء الله».[1]

هذا، ومما جاء في عهده عليه السلام لمحمد حين ولاه بلاد مصر قوله:

«فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، فإنّ الله تعالى يُسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإن يُعذب فأنتم أظلم، وإن يعفُ فهو أكرم...».

وبعد أن ذكر أهل مصر بل عباد الله جميعاً بمقطع من عهده المذكور، والذي بدأه بقوله:

«واعلموا عباد الله أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة...» واصل عليه السلام عهده لمحمد قائلاً: «واعلم يا محمد بن أبي بكر، أنّي قد وليتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر، فأنت محقوق أن تُخالف على نفسك، وأن تُنافح عن دينك، ولو لم يكن لك إلا ساعة من الدهر، ولا تسخط الله برضى أحد من خلقه، فإنّ في الله خلفاً من غيره، وليس من الله خلفٌ في غيره».

كما راح عليه السلام يوصيه بالصلاة قائلاً:

«صلِّ الصلاة لوقتها المؤقت لها، ولا تُعجل وقتها لفراغ، ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال. واعلم أنّ كل شيء من عملك تَبعٌ لصلاتك...».[2]

هذا، وأن محمداً حين قدم لاستلام ولاية مصر، قرأ على أهلها عهد الإمام علي عليه السلام إليه، وقد كتبه عبيد الله بن أبي رافع، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله لغرة شهر رمضان، سنة ست وثلاثين، فقد جاء في كتاب تحف العقول:

---

١ . نهج البلاغة، صبحي الصالح: ٤٠٧ ، رقم ٣٤.

٢ . نهج البلاغة، صبحي الصالح:٣٨٣ ، رقم ٢٧ من عهده عليه السلام حين قلّده مصر.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد عبدالله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر، أمره بتقوى الله في السر والعلانية، وخوف الله في المغيب والمشهد، وباللين للمسلم، وبالغلظة على الفاجر، وبالعدل على أهل الذمة، وبالإنصاف للمظلوم، وبالشدة على الظالم، وبالعفو عن الناس، وبالإحسان ما استطاع، والله يجزي المحسنين. وأمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة والجماعة، فإنّ لهم في ذلك من العاقبة، وعظيم المثوبة، ما لايقدرون قدره، ولايعرفون كنهه.

وأمره أن يجبي خراج الأرض على ماكانت تجبى عليه من قبل، ولا ينتقص منه، ولا يبتدع فيه، ثم يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل. وأمره أن يلين لهم جناحه، وأن يساوي بينهم في مجلسه ووجهه، وليكن القريب والبعيد عنده في الحق سواء.

وأمره أن يحكم بين الناس بالحق، وأن يقوم بالقسط، ولا يتبع الهوى، ولا يخاف في الله لومة لائم، فإنّ الله مع من اتقاه وآثر طاعته على ما سواه، والسلام.

ثم إنّ محمد بن أبي بكر قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فالحمد لله الذي هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق، وبصرنا وإياكم كثيراً مما عميَ عنه الجاهلون.

ألا إنّ أمير المؤمنين ولاني أموركم، وعهد إليّ بما سمعتم، وأوصاني بكثير منه مشافهة، ولن آلوكم خيراً ما استطعت، وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. فإن يكن ما ترون من آثاري و أعمالي لله طاعة وتقوى، فاحمدوا الله على ما كان من ذلك، فإنه هو الهادي له، وإن رأيتم من ذلك عملاً بغير حق، فادفعوه إليَّ وعاتبوني عليه، فإني بذلك أسعد، وأنتم بذلك جديرون، وفقنا الله

وإياكم لصالح العمل برحمته؛ ثم نزل.[1]

أسئلته:

ذكروا أنَّ محمد بن أبي بكر وهو إذ ذاك بمصر، كان يكثر من إرسال أسئلته للإمام علي عليه السلام، فقد كان يسأله جوامع من الحرام والحلال والسنن والمواعظ.. ومنها:

«لعبدالله أمير المؤمنين، من محمد بن أبي بكر: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن رأى أمير المؤمنين أرانا الله وجماعة المسلمين فيه أفضل سرورنا وأملنا فيه، أن يكتب لنا كتاباً فيه فرائض وأشياء مما يبتلى به مثلي من القضاء بين الناس، فإنّ الله يعظم لأمير المؤمنين الأجر، ويحسن له الذخر.

فكتب إليه علي عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر

سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فقد وصل إليّ كتابك فقرأته وفهمت ما سألتني عنه، وأعجبني اهتمامك بما لا بد لك منه، وما لايصلح المسلمين غيره، وظننت أنّ الذي دلك عليه نية صالحة، ورأي غير مدخول ولا خسيس. وقد بعثت إليك أبواب الأقضية جامعاً لك فيها، ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وكتب إليه عما سأله من القضاء، وذكر الموت والحساب، وصفة الجنة

١ . أنظر نهج البلاغة٣ : ٢٧ ؛ ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للخوئي١٩ : ٧٣، عن أبي إسحاق الهمداني.

والنـــار، وكتب في الإمامة، وكتـــب في الوضوء، وكتب إليـــه في مواقيت الصلاة، وكتب إليه في الركوع والسجود، وكتب إليه في الأدب، وكتب إليه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتب إليه في الصوم والاعتكاف، وكتب إليه في الزنادقة، وكتب إليه في نصراني فجر بامرأة مسلمة، وكتب إليه في أشياء كثيرة لم يحفظ منها غير هذه الخصال،...

قـــال إبراهيم: فحدثنا يحيى بن صالح... عن عباية، أنّ علياً عليه السلام كتب إلى محمد بن أبي بكر، وأهل مصر:

«أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته، وعلى أي حال كنـــت عليها، واعلم أنّ الدنيا دار بـــلاء وفناء، والآخرة دار بقاء وجزاء، فإن استطعت أن تؤثر ما يبقى على ما يفنى فافعل، فإنّ الآخرة تبقى، وإنّ الدنيا تفنى، رزقنا الله وإياك بصراً لما بصرنا، وفهماً لما فهمنا، حتى لا نقصر عما أمرَنـــا به، ولا نتعدى إلى ما نهانا عنه، فإنه لا بدّ لك من نصيبك من الدنيا، وأنـــت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن عرض لك أمران أحدهما للآخرة والآخر للدنيا، فابدأ بأمر الآخرة.

ولتعظم رغبتك في الخير، ولتحســـن فيه نيتـــك، فإنّ الله عزّوجلّ يعطي العبد على قدر نيته، وإذا أحب الخير وأهله ولم يعمله، كان إن شاء الله كمن عمله، فإنّ رســـول الله صلى الله عليه وآله قال حين رجع من تبوك: لقد كان بالمدينة أقوام ما ســـرتم من مســـير، ولا هبطتم من واد، إلا كانوا معكم. ما حبســـهم إلا المرض ـ يقول: كانت لهم نية ـ ثم اعلم يا محمد، أني وليتك أعظم أجنادي في نفسي: أهل مصر، وإذ وليتك ما وليتك من أمر الناس، فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك، وتحذر فيه على دينك، ولو كان ساعة من نهار، فإن

استطعت أن لا تسـخط فيها ربك لرضى أحد من خلقه فافعل، فإنّ في الله خلفاً من غيره، وليس في شـئ غيره خلف منه، فاشـتد على الظالم، ولِنْ لأهل الخير، وقربهم إليك، واجعلهم بطانتك، وإخوانك. والسلام».

وكتب إلى علي عليه السلام يسـأله عن رجل مسلم فجر بامرأة نصرانية، وعن زنادقة فيهم من يعبد الشـمس والقمر، وفيهم مـن يعبد غير ذلك، وفيهم مرتد عن الإسلام، وكتب يسأله من مُكاتب مات، وترك مالاً وولداً..

فكتب إليه علي عليه السلام: «أن أقم الحدَّ فيهم على المسلم الذي فجر بالنصرانية، وادفع النصرانية إلى النصارى يقضون فيها ما شاؤوا».

وأمره في الزنادقة أن يقتل من كان يدعي الإسـلام، ويترك سـائرهم يعبدون ما شـاؤوا، وأمـره في المكاتب إن كان ترك وفـاء لمكاتبته فهو غريـم بيد مواليه، يسـتوفون ما بقي من مكاتبته، ومـا بقي فلولده. إذن، فأسـئلة محمد كانت عديدة أو كثيرة، وأجوبة الإمـام عليه السلام وكتبه إليه هي الأخرى كثيرة، ولهذا فقد شكلت ثروة علمية وفقهية..

وإذا بكتبه هذه في يد معاوية:

فقد ذكروا أنّ فيما استولى عليه عمرو بن العاص بعد استشهاد محمد بن أبي بكر، كان الكتب التي كتبها علي عليه السلام إليه، ثمّ أرسلها عمرو إلى معاوية.

قال إبراهيم: حدثني عبدالله بن محمد بن عثمان، عن علي بن محمد بن أبي سيف، عن أصحابه، أنّ علياً عليه السلام لما أجاب محمد بن أبي بكر بهذا الجواب، كان ينظر فيه ويتعلمه ويقضي به، فلما ظهر عليه وقتل، أخذ عمرو بن العاص كتبه أجمع، فبعث بها إلى معاوية بن أبي سفيان.

يعجب معاوية من علم علي وقضائه:

إذن فهي كتب ورسائل عديدة تقع بين يدي معاوية، عثر عليها أعداء محمد بن أبي بكر بعد استشهاده، كان يوجهها الإمام عليه السلام إليه، وهي مما استولى عليه عمرو بن العاص، وأرسلها الى معاوية. فقد جاء في الخبر ذكر: « فلما ظهر عليه وقتل، أخذ عمرو بن العاص كتبه أجمع، فبعث بها إلى معاوية بن أبي سفيان، وكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويعجبه».

فقال الوليد بن عقبة ـ وهو عند معاوية، لما رأى إعجاب معاوية به ـ : مُرْ بهذه الأحاديث أن تحرق. فقال له معاوية: مه يا ابن أبي معيط، إنه لا رأي لك!

فقال له الوليد: إنه لا رأي لك، أفمن الرأي أن يعلم الناس أنّ أحاديث أبي تراب عندك، تتعلم منها وتقضي بقضائه، فعلام تقاتله؟!

فقال معاوية: ويحك، أتأمرني أن أحرق علماً مثل هذا! والله ما سمعت بعلم أجمع منه، ولا أحكم، ولا أوضح.

فقال الوليد: إن كنت تعجب من علمه وقضائه، فعلامَ تقاتله؟

فقال معاوية: ويحك، أتأمرني أن أحرق علماً مثل هذا! والله ما سمعت بعلم أجمع منه، ولا أحكم، ولا أوضح!

فقال الوليد: إن كنت تعجب من علمه وقضائه، فعلامَ تقاتله؟

فقال معاوية: لولا أنّ أبا تراب قتل عثمان، ثم أفتانا لأخذنا عنه!

ثم سكت هنيئة، ثم نظر إلى جلسائه، فقال: إنا لا نقول: إنّ هذه من كتب علي بن أبي طالب، ولكنا نقول: إنّ هذه من كتب أبي بكر الصديق كانت عند ابنه محمد، فنحن نقضي بها ونفتي.

فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني أمية، حتى وليَ عمر بن عبد العزيز، فهو الذي أظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب عليه السلام.

عن عبدالله بن سلمة قال: صلى بنا عليعليه السلام فلما انصرف قال:

لقد عثرتُ عثرةً لا أعتذرْ

سوف أَكِيسُ بعدها وأستمرْ

وأجمع الأمر الشَّتيتَ المنتشر

قلنا: ما بالك يا أمير المؤمنين سمعنا منك كذا؟!

قال: «إني استعملت محمد بن أبي بكر على مصر، فزعم أنه لا علم له بالسنة، فكتبت إليه كتاباً فيه السنة، فقتل وأخذ الكتاب».[1]

اضطراب الأمر عليه:

في البداية نذكر ما قاله صاحب كتاب الغارات عن مالك بن الجون الحضرمي، أنّ عليعليه السلام قال: «رحم الله محمداً، كان غلاماً حدثاً، أما والله لقد كنت أردت أن أولِّي المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مصر، والله لو أنه وليها لما خلى لعمرو بن العاص وأعوانه العرصة، ولما قتل إلا وسيفه في يده، بلا ذم لمحمد، فلقد أجهد نفسه، وقضى ما عليه».[2]

وهذا يعني أنّ محمداً كما يصفه الإمام بأنه: «كان غلاماً حدثاً» ومع هذا: «فلقد أجهد نفسه وقضى ما عليه».

وهذا يعني أنّ الأحداث، التي ابتلى بها هذا الشاب كانت كبيرةً عليه، ومن هنا قال الإمام: «بلا ذم لمحمد». فرغم خطورة تلك المؤامرة التي فوجئ بها، وبالحرب التي أعدها معاوية وعمرو بن العاص، وعظيم عدتها وشدتها..، إلاّ أنه بذل كل ما توفر عليه من قوة وخبرة، حتى استشهد.. ولعلّ غيره من

---

١ . الغارات١ : ٢٥٢. أنظر هذا العهد مفصلاً في الغارات، لأبي هلال الثقفي١ : ١٤٤ـ١٦٣، وضمنها هذا العنوان: إعجاب معاوية بهذا العهد لمّا وصل إليه.

٢ . كتاب الغارات، للعلامة إبراهيم بن محمد الثقفي١ : ١٩٩.

القادة كالمرقال ومالك، أكثر منه خبرة بأمور الحرب، وبالتالي يكون مثل هؤلاء القادة أعظم شدةً على أعدائهم، وقد تتغيّر نتيجة المعركة.. وهي أمنية تحدّث عنها الإمام عليه السلام بعد أن تكاملت عنده أخبار تلك المعركة، وما أعدّه الآخرون لها.. ولا ندري ما الذي حال دون تنفيذ إرادته عليه السلام في توليته المرقال هاشم بن عتبة لمصر؟!

هذا، وقد جاء في كتاب وجهه الإمام لمالك: «وكنت قد وليت محمد بن أبي بكر مصر، فخرجت عليه خوارج، وهو غلام حدث السن، ليس بذي تجربة للحروب، ولامجرباً للأشياء».

وما يظهر هو أنّ الإمام عليه السلام فعلاً قد عيّن مالك الأشتر لولاية مصر في خضمِّ هذه الأحداث أو قبيلها بقليل، بعد ورود الأخبار عما يكيده معاوية وعمرو بن العاص لمصر، وما حصل له في داخل مصر «فخرجت عليه خوارج»، ولتغيّر الحال لولا استشهاده بمكيدة من معاوية، الذي أسرع فيها؛ لمعرفته بمالك الأشتر وقدراته، إذا ما استلم ولاية مصر وقيادة الجند فيها.. وهو ما يستفاد من كتابه في النهج والمعنون:

إلى محمد بن أبي بكر، لما بلغه توجّده من عزله بالأشتر عن مصر، ثم توفي الأشتر في توجهه إلى مصر قبل وصوله إليها، وقد ذكرنا ذلك أعلاه.

وأيضاً بما بذله الإمام عليه السلام بدعوة أتباعه للالتحاق به؛ لتلافي ما قد يحصل في مصر، إلا أنهم تخاذلوا، وهو ما سيأتي ذكره من تاريخ الطبري...

وكل هذا يبيّن أن ما يواجهه محمد كان أحداثاً كبيرة، واضطرابات جسيمة، ومثيري الفتن والمتآمرين لحساب معاوية، وبمجموعها قد تكون قدرته عليها ليست كافية، وهو ما أدركه الإمام عليه السلام، فراح يعدّ العدة لإعانته مرةً باختيار مالك بقدراته وخبراته لمواجهتها، وأخرى بدعوته لإمداده بالعدة والعدد،

وهذا كلامه عليه السلام لابن عباس:

«... وقد كنت حثثت الناس على لحاقه، وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة، ودعوتهم سراً وجهراً وعوداً وبدءاً، فمنهم الآتي كارهاً، ومنهم المعتل كاذباً، ومنهم القاعد خاذلاً، أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً، فوالله لولا طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة، وتوطيني نفسي على المنية؛ لأحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً، ولا ألتقي بهم أبداً».[1]

وهو ما يدل لا فقط على قلّة خبرة محمد الحربية لصغر سنّه، بل على ضعف عدّة جنده وعددهم، وعلى ضخامة قدرة عدوه عدداً وعدّةً من داخل مصر ومن خارجها..

فقد جاء في بعض المصادر التاريخية أن محمداً لبث شهراً كاملاً مدبّراً أمور الولاية، حتى بعث إلى قوم من أهالي « خربْتا » البلدة المعارضة لخلافة الإمام علي عليه السلام، فقال لهم محمد بن أبي بكر: «إما أن تدخلوا في طاعتنا، وإمّا أن تخرجوا من بلادنا»، فأجابوه: إنا لا نفعل، فدعنا حتّى ننظر إلى ما يصير إليه أمرنا، فلا تعجل لحربنا. فأبى عليهم، فامتنعوا منه، وأخذوا حذرهم. وكانت وقعة صفين، وهم لمحمد هائبون، فلما رجع علي عليه السلام عن معاوية، وصار الأمر إلى التحكيم، طمعوا به وأظهروا له المبارزة، فأرسل لهم محمد بن الحرث بن جهمان الجعفي ليؤدبهم، فوصل إلى «خربْتا » وكان فيها يزيد بن الحرث مع بني كنانة، ومن معه من قبائل أخرى مختلفة، فقاتلهم الحرث فقتلوه، فأرسل محمد إليهم ابنَ مضاهم الكلبي فقتلوه كذلك. وكان محمد قد أصاب منهم غليةً من قبل حين أرسل إليهم عمرو بن بديل بن الورقاء الخزاعي. ولكن

١ . من كتابه٧ لعبدالله بن عباس، بعد مقتل محمد بن أبي بكر. نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٠٨ رقم ٣٥.

الذي غيّر الأمور هو إرسال معاوية عمرو بن العاص في جيش كثيف إلى مصر بعد توجه الإمام عليّ عليه السلام إلى العراق.

ولما بلغ الإمام عليّاً عليه السلام اضطرابُ الأمر في ولاية مصر، وتوقع استغلال ذلك من قبل معاوية، عمد عليه السلام إلى إرسال مالك؛ لتسلم زمام القيادة من محمد بن أبي بكر، ولحسم الصراع الدائر هناك، وقبل أن تستشري الفتنة، ولكن معاوية استطاع بحيلة منه أن يدسّ السم للوالي الجديد، وهو في طريقه إلى تسلم ولايته، مستعيناً بأحد رجال الخراج في مكان يقال له القلزم وهو السويس حالياً، فشرب الأشتر وهو لا يشك في مضيّفه، شربة ماء ممزوجة بالسم والعسل فاستُشهِد، وبذلك أضحى محمد بن أبي بكر وجهاً لوجه مع اثنين من الدهاة، معاوية وعمرو بن العاص، الذي أقبل قاصداً مصر باتجاه محمد بن أبي بكر..

صريخُ محمد بن أبي بكر:

و ذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه:

قال هشام، عن أبي مخنف قال: وحدّثني الحارث بن كعب بن فُقيم، عن جندب، عن عبدالله بن فُقيم عمّ الحارث بن كعب، قدم الكوفة يستصرخ من قبل محمد بن أبي بكر إلى علي عليه السلام، ومحمد يومئذ أميرهم «على مصر» فقام علي عليه السلام في الناس، وقد أمر فنودي: الصلاة جامعة!

فاجتمع الناس، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ قال:

«أمّا بعد، فإنّ هذا صريخُ محمد بن أبي بكر، وإخوانكم من أهل مصر، قد سار إليهم ابن النابغة (عمرو بن العاص) عدوّ الله، ووليّ من عادى الله، فلا

يكوننّ أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعاً منكم على حقّكم هذا، فإنّهم قد بدؤوكم وإخوانكم بالغزو، فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر؛ عباد الله، إنّ مصر أعظم من الشام، أكثر خيراً، وخيرٌ أهلاً، فلا تُغلبوا على مصر، فإنّ بقاء مصر في أيديكم عزّ لكم، وكبتٌ لعدوّكم، اخرجوا إلى الجرعة بين الحيرة والكوفة، فوافوني بها هناك غداً إن شاء الله».

قال: فلمّا كان من الغد خرج يمشي، فنزلها بكرةً، فأقام بها حتّى انتصف النهار في يومه ذلك، فلم يوافه منهم رجل واحد فرجع، فلمّا كان من العشيّ بعث إلى أشراف الناس، فدخلوا عليه وهو حزين كئيب، فقال:

«ألحمد لله على ما مضى من أمري، وقدّر من فِعلي، وابتلاني بكم أيّتها الفرقة ممّن لا يطيع إذا أمرتُ، ولا يُجيب إذا دعوتُ، لا أباً لغيركم! ماتنظرون بصبركم، والجهاد على حقّكم! الموت والذلّ لكم في هذه الدنيا على غير الحقّ! فوالله لئن جاء الموت ـ وليأتين ـ ليفرقنّ بيني وبينكم وأنا لصحبتكم قال، وبكم غير ضنين، للهِ أنتم! لا دين يجمعكم، ولا حميّة تحميكم، إذ أنتم سمعتم بعدوّكم يَرِدُ بلادكم، ويشنّ الغارة عليكم، أو ليس عجباً أنّ معاوية يدعو الجفاة الطغاة، فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة، ويجيبونه في السنة المرّتين والثلاث إلى أيّ وجه شاء، وأنا أدعوكم ـ وأنتم أُولُوا النهى وبقيّة الناس ـ على المعونة، وطائفة منكم على العطاء، فتقومون عنّي وتعصونني، وتختلفون عليَّ؟».

فقام إليه مالك بن كعب الهمداني، فقال: يا أميرالمؤمنين، اندب الناس فإنّه لا عطر بعد عروس، لمثل هذا اليوم كنت أدّخر نفسي، والأجر لا يأتي إلاّ بالكرّة، اتّقوا الله وأجيبوا إمامكم، وانصروا دعوته، وقاتلوا عدوّه، أنا أسير إليهم يا أمير المؤمنين.

قال: فأمر عليعليه السلام مناديه سعداً، فنادى في الناس: ألا انتدبوا إلى مصر مع مالك بن كعب.

ثمّ خرج عليعليه السلام ومالك بن كعب ومن معهما، فنظر فإذا جميعُ من خرج نحو ألفي رجل، فقال: «سر، فوالله ما أخالك تدرك القوم حتّى ينقضي أمرهم». قال: فخرج بهم مالك بن كعب فسار خمساً...[1]

قصة استشهاده رضوان الله عليه:

وفي رواية الطبري عن أبي مخنف: أقبل عمرو بن العاص حتّى قصد مصر على رأس جيش قوامهُ أربعة آلاف رجل.

فقام محمّد بن أبي بكر، فخطب في الناس، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله، ثمّ قال: أمّا بعد معاشر المسلمين والمؤمنين، فإنّ القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمة، وينعشون الضلال، ويشبّون نار الفتنة، ويتسلّطون بالجبريّة، قد نصبوا لكم العداوة، وساروا إليكم بالجنود، عباد الله! فمن أراد الجنّة والمغفرة، فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم في الله، انتدبوا إلى هؤلاء القوم رحمكم الله مع كنانة بن بشر، فانتُدب معه ألفا رجل، وخرج محمّد بن أبي بكر في ألف رجل، واستقبل عمرو بن العاص كنانة بن بشر وهو على مقدّمة جيش محمّد بن أبي بكر، فأقبل عمرو بن العاص بجيشه نحو كنانة بن بشر، فلمّا دنا منه وتقاربا، سرح الكتائب كتيبة بعد كتيبة، فجعل كنانة بن بشر لا تأتيه كتيبة من كتائب أهل الشام إلاّ شدّ عليها بمن معه، فيضربها حتّى يقربها لعمرو بن العاص، ففعل ذلك مراراً، فلمّا رأى ذلك عمرو بعث إلى معاوية بن خديج السكوني يستنجده، فأتاه بجيش في الدهم، فأحاط بكنانة بن بشر وجيشه،

١ . تاريخ الطبري، سنة ٣٨.

واجتمع أهل الشام عليهم من كلّ جانب، فلمّا رأى ذلك كنانة بن بشر، نزل من فرسه، ونزل أصحابه، فاشتدّ القتال، وحمي الوطيس، حتّى استشهد كنانة قائد الجيش، وتفرّق جيشه.

وأقبل عمرو بن العاص نحو محمّد بن أبي بكر وجيشه، وقد تفرّق عنه أصحابها لمّا بلغهما قتل كنانة بن بشر، حتّى بقي وحده في الميدان، وما معه أحد من أصحابه، فاضطرّ عند ذلك محمّد بن أبي بكر إلى الانسحاب حتّى انتهى إلى خربة في ناحية الطريق فآوى إليها، ودخل عمرو بن العاص الفسطاط فاتحاً، ومعه قائد جيش معاوية بن خديج السكوني. ثمّ خرج في طلب محمد بن أبي بكر، حتّى انتهى إلى الخربة فقبض عليه، وكاد يموت عطشاً، فاقبلوا به نحو فسطاط مصر، وادخل على عمرو بن العاص، وكان عبد الرحمن بن أبي بكر أخوه حاضراً، فوثب على عمرو بن العاص، وكان من جنده فقال: أكذاك قتلتم كنانة بن بشر (كان قائد جيش محمد بن أبي بكر، والظاهر أنّ كنانة بن بشر كان من قبيلة معاوية بن خديج). واُخلّي أنا عن محمّد بن أبي بكر، هيهات؟!

فقال لهم محمد: اسقوني من الماء، قال له معاوية بن خديج: لا سقاه الله قطرةً أبداً! إنّكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتّى قتلتموه صائماً محرماً، والله لأقتلنّك يابن أبي بكر فيسقيك الله الحميم والغسّاق.

فقال له محمد: يابن اليهوديّة النسّاجة، ليس ذلك إليك وإلى من ذكرت، إنّما إلى الله عزّوجلّ يسقي أولياءه، ويظمىء أعداءه، أنت والله وضرباؤك ومن تولاّه، أما والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم منّي هذا!

قال له معاوية: أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك جوف حمار، ثمّ أحرقه عليك بالنار.

فقال له محمد: إن فعلتم بي ذلك، فطالما فُعِل ذلك بأولياء الله! وإنّي لأرجو هذه النار التي تحرقني بها أن يجعلها الله عليَّ برداً وسلاماً كما جعلها على خليله إبراهيم، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كماجعلها على نمرود وأوليائه، إنّ الله يحرقك ومن ذكرته من قبل وإمامك معاوية وهذا، وأشار إلى عمرو بن العاص، بنار تلظى عليكم، كلّما خبت زادها الله سعيراً.

قال له معاوية: إنّما اقتلك بعثمان.

قال له محمد: وما أنت وعثمان؟! إنّ عثمان عمل بالجور، ونبذ حكم القرآن، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَلْيَحْكُم أهلُ الإنْجيلِ بِما أنزلَ اللّهُ فيهِ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِما أنزلَ اللّه فَاولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ**﴾[1] وحسَّنت أنت له ذلك ونضراؤك فقد برأنا الله من ذنبه، وأنت شريكه في إثمه وعظم ذنبه، وجاعلك على مثاله.

قال: فغضب معاوية بن خديج، فقدمه فضرب عنقه وقتله صبراً، ثمّ ألقاه في جوف حمار ميّت، ثمّ أحرقه بالنار.

فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان بعد قتل محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر، « أما بعد، فإنا لقينا محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر في جموع من أهل مصر، فدعوناهم إلى الكتاب والسنّة، فعصوا الحق، فتهوّلوا في الضلال، فجاهدناهم، واستنصرنا الله جلّ وعز عليهم، فضرب الله وجوههم وأدبارهم، ومنحنا أكتافهم! فقُتل محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر، والحمد لله رب العالمين.[2]

وقال صاحب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي:

١ . المائدة : ٤٧.

٢ . أنظر في هذا كلاً من: تاريخ الطبري٣: ٦٧ـ ٦٨، ٤: ١٣١ـ ١٣٣؛ وابن الأثير، في تاريخه٣ : ١٤٠؛ الكامل في التاريخ٣: ١٣٨ ـ ١٣٩ ؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة٥ : ١٠٢ ؛ والولاة والقضاة: ٢٦ ـ ٣١.

أعدم محمد بن أبي بكر حرقاً في جيفة حمار ميت بعد أن وقع في أسر جند معاوية عام ٣٧ هجرية؛ وقيل: إنه قطعت رأسه وأرسلت إلى معاوية بدمشق، وطيف به، وهو أول رأس طيف به في الإسلام.[١]

وأخيراً وصل الإمامَ خبرُاستشهاده:

فقد ختمت حياته رضوان الله تعالى عليه بالشهادة، وكانت قصتها مروعة، كما ذكرت المصادر أعلاه، تدل على حقارة قاتليه وحقدهم، وتدل أيضاً على أنه كان آية في الصمود والتفاني والتضحية، وهو ما تجلّى فيما دار بينه وبين آسريه وقاتليه من حوار، يظهر فيه أنه لم يهن، ولم يضعف، ولم ينكل، ولم يحزن، بل ظلّ ثابتاً شامخاً أبياً، حتى رمقه الأخير.

كان هذا في الخامس عشر من صفر، سنة ٣٨ هجرية، و له من العمر ثمان وعشرون سنة، بعد ولاية دامت خمسة أشهر.

و إتماماً لما ذكره أبو جعفر الطبري في تاريخه، ودوّناه سابقاً حول استصراخ محمد بن أبي بكر، قال: ثمّ إنّ الحجّاج بن غزية الأنصاري والنجاري قدما على عليّ عليه السلام من مصر، فكانا مع محمد بن أبي بكر، وقدِم عبد الرحمن بن شبيب الفزاري من الشام وكان عينه عليها.

فحدّث الأنصاري الإمام عليه السلام بما رأى وعاين هلاك محمد بن أبي بكر، وحدّثه الفزاري أنّه لم يخرج من الشام حتّى قدمت البشراء من قبل عمرو بن العاص تترى، يتبع بعضها بعضاً بفتح مصر، وقتل محمد بن أبي بكر، حتّى أذن وأعلن بقتله على المنبر، وقال: يا أمير المؤمنين، قلّما رأيت قوماً قطّ أسرّ، ولاسروراً قطّ أظهر من سرور رأيته بالشام، حين أتاهم هلاك محمد بن أبي بكر.

---

١ . كتاب النجوم الزاهرة: ٤٥.

ما تركه استشهاده رضوان الله عليه:

لقد ترك قتل محمد بن أبي بكر هذا الشاب المؤمن المجاهد الواعي آثاراً مؤلمة على الإمام علي عليه السلام، ووَجَدَ (حزن) عليه وجْداً عظيماً... نجد هذا فيما ذكره الطبري:

قال الإمام علي عليه السلام: «أما أنّ حُزننا عليه على قدر سرورهم به، لا بل يزيد أضعافاً». قال: وسرّح علي عليه السلام عبد الرحمن بن شريح الشبامي إلى مالك بن كعب، فردّه من الطريق.

قال: وحزن عليٌّ عليه السلام على محمد بن أبي بكر، حتّى رؤي ذلك في وجهه، وتبيّن فيه، وقام في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسوله صلى الله عليه وآله وقال:

«ألا أنّ مصر قد افتتحها الفجرة أولوا الجور والظلم، والذين صدّوا عن سبيل الله، وبغوا الإسلام عِوجاً، ألا وإنّ محمّد بن أبي بكر قد استشهد (رحمه الله)، فعند الله نحتسبُه، أما والله إن كان ما علمت لمن ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء، ويبغض شكل الفاجر، ويحبّ هدى المؤمن، إنّي والله ما ألوم نفسي على التقصير، وإنّي لمقاساة الحرب لجدّ خبير، وإنّي لأقدم على الأمر وأعرف وجه الحزم، وأقوم فيكم بالرأي المصيب، فاستصرخكم معلناً، وأناديكم نداء المستغيث مُعرِباً، فلاتسمعون لي قولاً ولاتطيعون لي أمراً، حتّى تصير بي الأمور إلى عواقب المساءة، فأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر، ولا تنقضي بكم الأوتار؛ دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلةً، فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نيّة في جهاد العدوّ، ولا اكتساب الأجر، ثمّ خرج إليَّ منكم جُنيد متذانب، كأنّما يساقون إلى الموت وهم ينظرون، فأُفٍّ لكم»!

ثمّ نزل من المنبر.

قال أبو مخنف: حدّثني فُضيل بن خديج، عن مالك بن الحور، إنّ عليّاً عليه السلام قال: «رحم الله محمّداً! كان غلاماً حدثاً، أما والله لقد كنت على أن أُولّي المرقال هاشم بن عتبة مصر، أما والله لو أنّه ولّيها ما خلّى لعمرو بن العاص وأعوانه الفجرة الفرصة، ولما قتل إلاّ وسيفه في يده، فرحم الله محمّداً، فقد اجتهد نفسه، وقضى ما عليه».

هذا وقد كان للإمام علي عليه السلام كلام في رثائه، يتضح منه مكانة محمد وصفاته الرفيعة الجليلة:

قال عليه السلام: «كان لي ربيباً، وكنت أعده ولداً، ولبنيَّ أخاً».[1]

و قال عليه السلام : «إنّ حزننا عليه على قدر سرورهم به، إلا أنهم نقصوا بغيضاً، ونقصنا حبيباً».[2]

وقال أيضاً: «وإنك يا محمد لنجيب أهل بيتك». وقيل له عليه السلام: لقد جزعت على محمد بن أبي بكر جزعاً شديداً يا أميرالمؤمنين؟ فقال: «ما يمنعني إنه كان لي ربيباً وكان لبني أخاً وكنت له والداً أعده ولداً».

وجاء في كتاب له لعبدالله بن عباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر:

أما بعدُ، فإنّ مصر قد افتتحت، ومحمد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد. فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً...[3]

وفي خبر أن عبدالله بن عباس قدم على عليّ عليه السلام من البصرة، فعزاه على محمد بن أبي بكر رحمه الله.[4]

---

١ . الغارات١ : ١٩٠ ـ ١٩٤.

٢ . نهج البلاغة: ٥٣٢ ، رقم ٣٢٥.

٣ . من كتابه لعبدالله بن عباس، بعد مقتل محمد بن أبي بكر؛ نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٠٨ ، رقم ٣٥.

٤ . الغارات ١ : ١٩٨.

أما أمّه أسماء، فقد عانت من أحداث جسام تعاقبت عليها، كتمت آلامها، وتعالت على جراحها، حين جاءها مصرع ولدها محمد بن أبي بكر، فراحت تتلوي مما تركه نبأ استشهاده من أثر مؤلم على قلبها، فحبست دمعها، وكتمت حزنها، وعكفت في مصلاها حتى شخب ثديها ونزفت...

فعن أبي إسحاق: أن أسماء بنت عميس لما أتاها نعيُ محمد بن أبي بكر وما صنع به، كظمت حزنها، وقامت إلى مسجدها حتى تشخبت دماً. وفي رواية تشخب ثدياها دماً.

وتحت عنوان رؤيا أسماء بنت عميس، وتعبير النبيﷺ لرؤياها، ذكر صاحب كتاب الغارات عن أبي إسماعيل كثير النواء، أنّ أبا بكر خرج في غزاة، فرأت أسماء بنت عميس في منامها وهي تحته، كأنّ أبا بكر مخضب بالحناء رأسه ولحيته، وعليه ثياب بيض، فجاءت إلى عائشة فأخبرتها، فقالت: إن صدقت رؤياك فقد قتل أبو بكر إن خضابه الدم و إن ثيابه أكفانه، ثم بكت فدخل النبيﷺ وهي كذلك فقال: ما أبكاها؟!

فقالوا: يا رسول الله ما أبكاها أحد، ولكن أسماء ذكرت رؤيا رأتها لأبي بكر، فأخبر النبيﷺ فقال: ليس كما عبرت عائشة، ولكن يرجع أبو بكر صالحاً، فيلقي أسماء، فتحمل منه أسماء بغلام تسميه محمداً، يجعله الله غيظاً على الكافرين والمنافقين، فكان الغلام محمد بن أبي بكر رحمه الله قتل يومئذ، فكان كما أخبر.

وأما أخته عائشة:

فعن عبدالملك بن عمير عن عبدالله بن شداد قال: حلفت عائشة لا تأكل شواءً أبداً، فما أكلت شواءً بعد مقتل محمد حتى لحقت بالله! وما عثرت قط إلا

قالت: تعس معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن خديج.[1]

ولما بلغ عائشة ـ رضي الله عنها ـ قتل أخيها محمد بن أبي بكر هذا وجدت عليه وجداً عظيماً وأخذت أولاده وعياله وتولت تربيتهم.[2]

وأنها جزعت عليه جزعاً شديداً، وصارت تقنت في دبر كلّ صلاة، تدعو على معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن خديج، بسبب ما جرى لمحمد بن أبي بكر.

ثمّ قبضت عيال محمد إليها، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالها صغيراً.

فيما ترك في مقابل ذلك الحزن شماتة الشامتين، وسرور المبغضين له، ففي مقابل حزن أسماء بنت عميس على ابنها، وحزن عائشة على أخيها، كانت فرحة ضرتها أم حبيبة «أم المؤمنين» بنت أبي سفيان أخت معاوية، فقد ابتكرت بكيدها أسلوباً للشماتة بمقتل محمد.

ففي الغارات للثقفي: «لما قتل ووصل خبره إلى المدينة مع مولاه سالم ومعه قميصه، ودخل به داره اجتمع رجال ونساء! فأمرت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وآله بكبش فشُوِيَ، وبعثت به إلى عائشة وقالت: هكذا قد شُوِيَ أخوك! فلم تأكل عائشة بعد ذلك شواء حتى ماتت»! (وروى نحوه البلاذري ورواه الدميري في الحيوان).[3]

وهناك فريق ثالث لاذ بالسكوت، فقد سكت عبد الرحمن بن أبي بكر عن أخذ ثأر أخيه سكوتاً ذليلاً، فقد كان في جيش عمرو العاص، واعترض على

---

١ . أنظر كتاب الغارات١ : ١٨٩.

٢ . النجوم الزاهرة : ٤٥.

٣ . وانظر أنساب الأشراف٤ ؛ الحيوان، للدميري١ :٤٠٤.

قتل أخيه محمد، لكن ابن خديج أصرّ عليه، لأنهم قتلوا كنانة بن بشر، وهو كندي من قبيلته! فسكت عبد الرحمن ولم يقل شيئاً!

وكذلك سكت بنو تَيْم عن الأخذ بثأر محمد بن أبي بكر من بني أمية؛ مع أنّ القبائل لا تسكت عادة عن ثأر ابنها، وحتى عن ثأر حليفها وغلامها!

وأخيراً سكتت أخته عائشة أو أسكتت، فلم تُحرض على معاوية، كما فعلت مع الخليفة عثمان، بل صمتت حتى ماتت! «فإنّ معاوية لما حج قدم فدخل على عائشة، فلم يشهد كلامها إلا ذكوان مولى عائشة، فقالت لمعاوية: أأمنتَ أن أخبئ لك رجلاً يقتلك بأخي محمد؟ قال: صدقت، وفي خبر آخر قال معاوية: لا أخاف ذلك لأني في دار أمان، لكن كيف أنا في حوائجك؟! قالت: صالح. قال: فدعيني وإياهم حتى نلتقي عند الله»!

ويبدو من هذا أنه أسكتها بقضاء حاجاتها، وأرضاها بالمال...[1]

وخلّف ابنه القاسم:

وقد خلّف محمد بن أبي بكر ابناً له اسمه القاسم بن محمد بن أبي بكر، وقد عاش مع والديه في مصر فترة ولاية أبيه عليها. وبعد استشهاد أبيه عاد إلى المدينة، وهو في السنة السابعة من عمره؛ ليكمل حياته فيها حتى غدا من فقهائها ومحدثيها. وقد اختلف في تاريخ وفاته. ولعلَّ الأرجح أنها كانت في السنة الثامنة بعد المائة، عن عمر قدر بثلاث وسبعين سنة، أو سبعين، حسب اختلاف الروايات بين المؤرخين في تاريخ وفاته.

مشهد محمد بن أبي بكر:

قيل: إنّ له مرقداً أو مشهداً في القاهرة، يلقبه المصريون مرقد الإمام محمد

١ . سير الذهبي٢ : ١٨٦ ؛ والطبري ٤ : ٢٠٥ ؛ شرح الأخبار ٢ :١٧١.

الصغير، ويقال: إنه يقع قريباً من مرقد عمرو بن العاص الذي قاد جند معاوية ضد الإمام علي بن أبي طالب ..ويقال: إنّ هناك مسجداً وضريحاً له في قرية ميت دمسيس ـ مركز أجا التابعة للمنصورة بمحافظة الدقهلية ـ وهو ما يذهب إليه صالح الورداني حيث يذكر التالي:

ويقع مرقده في بلدة ميت دمسيس التابعة للمنصورة. وهناك قبر ناحية الفسطاط يقال: له محمد الصغير والعامة يعتقدون أنه محمد بن أبي بكر.. إلاّ أنّ الراجح أنّ مرقده ناحية المنصورة.[1]

وتقول الدكتورة سعاد ماهر: يقع هذا المسجد ـ مسجد محمد الصغير ـ في مصر القديمة، بشارع باب الوداع، قريباً من الباب عن يسرة السالك نحو الشرق إلى باب الوداع، وبجوار قبر منهدم يعرف بالكردي، ويعرف الجامع باسم (محمد الصغير) كما كان يعرف باسم (زمام)، وذلك أنّه بعد مضيّ مدّة من قتله، أتى زمام مولى محمد بن أبي بكر إلى الموضع الذي دُفن فيه، وحفر فلم يجد سوى الرأس، فأخذه ومضى به إلى المسجد المعروف اليوم بمسجد زمام، فدفنه فيه وبنى عليه المسجد. ويقال إنّ الرأس مدفون في القبلة، وبه سمِّي مسجد زمام.[2]

مع علماء الرجال:

فإضافة إلى ما حظي به هذا العبد الصالح من منزلة رفيعة عند الإمام علي عليه السلام، كما ذكرنا ذلك، فقد احتل مكانةً كريمةً عند علماء الرجال، الذين قالوا عنه: إنه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والمقربين منه، و من أصفيائه، وحواريه، وخواصه، وقالوا عنه أيضاً: إنه عظيم المنزلة جليل القدر...

١ . كتاب الشيعة في مصر، صالح الورداني:١٠٩.

٢ . كتاب «مصر وأولياؤها الصالحون».

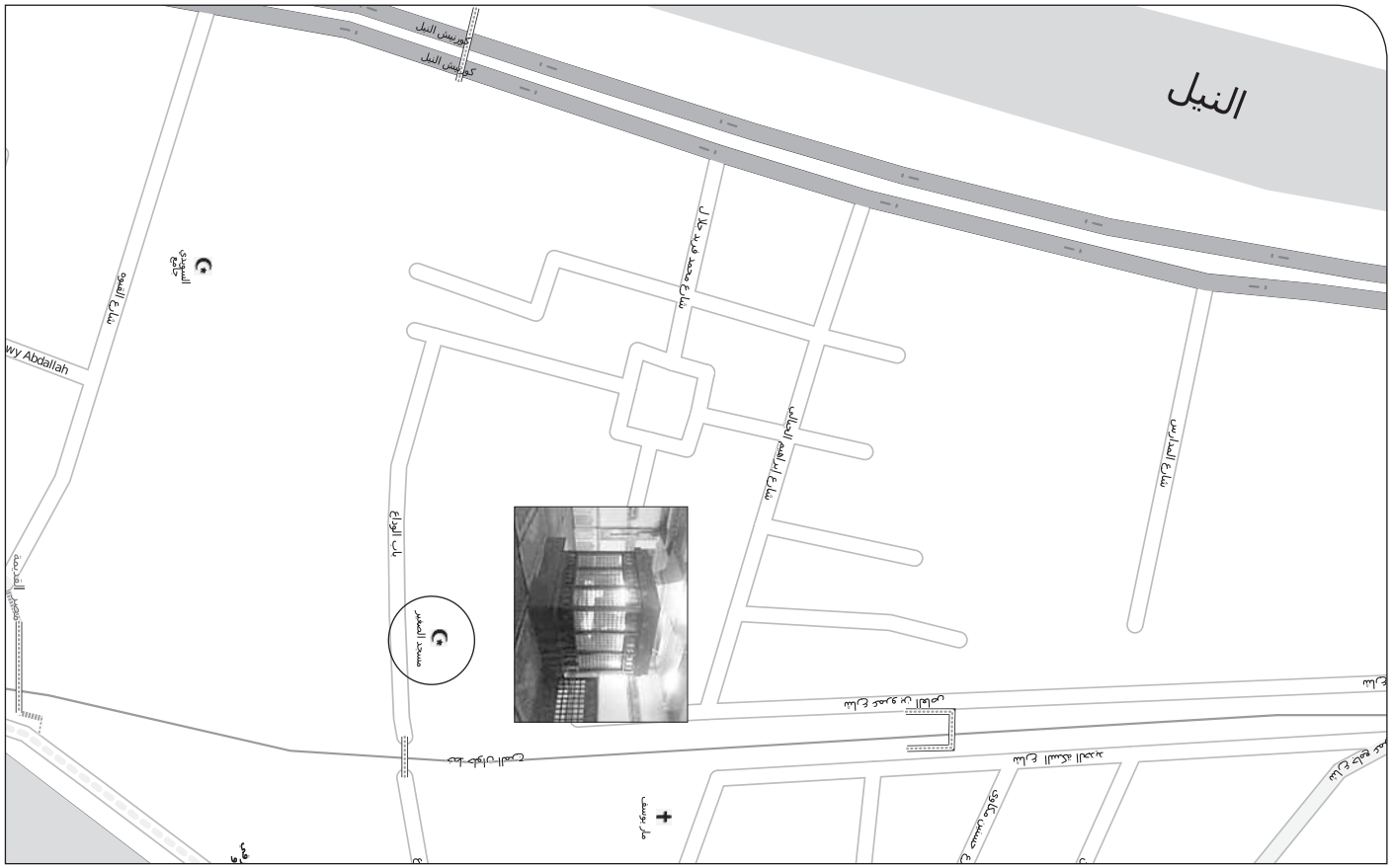
النيل
كورنيش النيل
شارع الهرم الرئيسي
شارع المعارض
باب الوداع
مسجد الصحابي
السيدي
جامع
الفرعية

ومع أنه ولد في حجة الوداع سنة ١٠ هـ، والنبي ﷺ مات سنة ١١ هـ، فربما رأى النبي ﷺ فهو من صغار الصحابة، فيما إذا كانت الرؤية في مثل سنه كافية في عدّه من الصحابة، ولكنه و بلا شك هو من كبار التابعين.

وقع كلام في أنه صحابيٌّ أم تابعيٌّ، فقد نسب إلى الدكتور محمد الدسوقي، أستاذ الشريعة بجامعة القاهرة وقطر قوله: إنّ محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهما هو من التابعين، وقد اختلف الفقهاء في محمد بن أبي بكر، فقيل: إنه صحابي، وقيل :إنه تابعي، والذين قالوا بصحبته اعتمدوا فقط على الحديث الذي رواه مرسلاً عن النبي ﷺ ليس إلا، فظنوا أنّ محمداً سمعه من النبي مباشرة، والأصح أنه رواه بصفة الإرسال أو الإخبار فقط، وهذا الحديث أخرجه البغوي في ترجمته من طريق عبد العزيز بن رفيع عن محمد بن أبي بكر قال: أظلمت ليلة وكان لها ريح ومطر، فأمر رسول الله ﷺ المؤذنين أن ينادوا: صلوا في رحالكم. ثم قال: لا أحسبه محمد بن الصديق. قلت: بل هو محمد بن أبي بكر الصدّيق، لكن رواه بطريقة الإرسال.

وإنما البغوي استنكر أن يكون محمد هذا هو ابن أبي بكر؛ لأنه تابعي، وظاهر الرواية كما رآها البغوي أنّ محمداً هذا الذي يرويها صحابي؛ لأنه قالها بصفة مباشرة عن النبي ﷺ كذا كذا، فلذلك اعتقد البغوي أنّ محمداً الذي يروي الحديث صحابي، لكنه آخر غير محمد بن أبي بكر التابعي وهذا خطأ، وإن أردنا الجمع بين الرواية و بين أنّ محمد بن أبي بكر تابعي و هو قائلها، فيكون الحل هنا هو أنّ محمداً رواه بالإرسال إلى زائد أنه لا يوجد صحابي باسم محمد بن أبي بكر غير ابن أبي بكر الصديق مطلقاً.

ومحمد بن أبي بكر الصدّيق تابعي، وليس صحابياً، فهذا الحديث مرفوع إلى النبي ﷺ «لأن محمد بن أبي بكر تابعي» فقد رواها عن النبي ﷺ وكأنها

بصيغة الرؤية والحضور، والأصح أنه لم يحضر النبي ولا سمع منه، و لكن الحديث رواه محمد بن أبي بكر عن رجل من الصحابة لم يذكر اسمه، أي أنه ذكر الحديث بصيغة المعرفة، مركزاً على المتن ولم يذكر السند، وحتى ولو لم يذكر من حدثه، فالحديث صحيح بناءً على عدالة و ثقة محمد بن أبي بكر؛ لأنه صدوق.[1]

فيما قال ابن حجر: قال الطبراني: له صحبة، وهو آخر من جاء من مصر في أثر عثمان.[2]

وعدّه الشيخ في رجاله (تارة) في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: «محمد بن أبي بكر، ولد في حجة الوداع، وقتل بمصر سنة (٣٨) من الهجرة في خلافة علي عليه السلام، وكان عاملاً عليها من قبله».

و (أخرى) في أصحاب علي عليه السلام، قائلاً: محمد بن أبي بكر ابن أبي قحافة.

وعدّه المفيد من أصفياء أصحاب علي عليه السلام (تارة)، ومن السابقين المقربين منه عليه السلام (أخرى)، ومن الحواريين (ثالثة).[3]

وعدّ البرقي محمّد بن أبي بكر من شرطة الخميس، ومن الحواريّين للإمام علي عليه السلام وأصفيائه ومن السابقين المقرّبين، وكان ذا فضل وعبادة.

عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «كان عمّار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر لا يرضون أن يعصى الله في الأرض».

ويروى أنّ محمد بن أبي بكر من المحامدة الأربعة، الذين يأبون أن يعصى الله

---

١ . عن وكالة أهل البيت عليهم السلام للأنباء ـ أبنا ـ التابعة للمجمع العالمي لأهل البيت: تحت رقم: ٢٢١٩٧٧ في ٢١/ ١/ ٢٠١١.

٢ . كتاب الإصابة في معرفة الصحابة ٤: ٢٨٦.

٣ . الاختصاص: عند بيان شرطة الخميس في أول الكتاب، وفي ذكر السابقين المقربين من أمير المؤمنين عليه السلام.

عزّوجلّ، وهم محمد بن أبي بكر، ومحمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الحنفيّة، ومحمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب الطيّار.

ولد محمد بن أبي بكر في حجّة الوداع، خرجت به أُمّهُ حاجّة مع زوجها أبي بكر فوضعته بـذي حُلَيفة، «مسجد الشجرة» لخمس بقين من ذي القعدة في حجّة الوداع، تربّى وترعرع في حجر الإمام عليعليه السلام بعد ما تزوّج أمّه أسماء بنت عميس، بعد وفاة أبي بكر.

شهد محمد بن أبي بكر مع الإمام عليعليه السلام وقعتي الجمل بالبصرة، وصفّين، وكان قائداً على الرجّالة، ثمّ بعثه الإمام إلى مصر والياً من قبله، فقتل فيها، وفي سنة ٣٨ هجريّة، زحفت على مصر جيوش الشام فقاتلهم محمد قتال الأبطال فقتل فيها، كان يسمّى أبا القاسم.

كان مع الإمام خمسة رجال بارزين من قريش، محمد بن أبي بكر أتته النجابة من قبل أُمّه أسماء بنت عميس الخثعميّة، هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص المرقال، جعدة بن هبيرة المخزومي أُمّه «فاختة» أخت الإمام عليعليه السلام، محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن الربيع، خالد بن سعيد بن العاص بن ربيعة من بني أُميّة...

ولد محمد بن أبي بكر في حجّة الوداع، خرجت به أُمّهُ حاجّة مع زوجها أبي بكر فوضعته بـذي حُلَيفة، «مسجد الشجرة» لخمس بقين من ذي القعدة في حجّة الوداع تربّى وترعرع في حجر الإمام عليعليه السلام بعد ما تزوّج أمّه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبي بكر.[1]

وبعد أن ذكر السيد الخوئي في ترجمة محمد بن أبي بكر روايات عديدة، قال عنها التالي: هذه الروايات وإن كان بعضها ضعيف السند، إلاّ أنّ في الصحيح منها كفاية في إثبات جلالة وعظمة محمد بن أبي بكر، وقربه من عليعليه السلام.

١ . أنظر معجم رجال الحديث، للسيّد الخوئي١٤: ٢٣٠؛ والمصادر.

وفي آخر كتاب عليعليه السلام إلى أهل مصر ومحمد بن أبي بكر:

«أحسنوا أهل مصر مؤازرة محمد أميركم واثبتوا على طاعته، تردوا حوض نبيكم صلى الله عليه وآله، أعاننا الله وإياكم على ما يرضيه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».[1]

وأما ما قالوه عن ابنه القاسم:

فقد عده الشيخ تارةً في أصحاب السجادعليه السلام، وأخرى في أصحاب الباقرعليه السلام، مقتصراً على قوله: القاسم بن محمد.

وكذلك ذكره البرقي في أصحاب الصادقعليه السلام، وهو جدّ الصادقعليه السلام لأمّه أم فروة، ذكره المفيد في الإرشاد: باب ذكر الإمام القائم بعد أبي جعفر محمد بن عليعليه السلام.

وذكره الكليني في أول باب مولد أبي عبدالله، من كتاب الحجة، والقاسم هذا ابن خالة السجادعليه السلام، وأمه أخت شاه زنان بنت يزدجر بن شهريار بن كسرى.[2]

وذكره المفيد في الإرشاد: باب ذكر الإمام بعد الحسين بن عليعليه السلام، فقد جاء عنهم أنّ أمّ الإمام الصادقعليه السلام هي أمُّ فروة بنت القاسم الفقيه ابن محمد بن أبي بكر، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان الصادقعليه السلام يقول: ولدني أبو بكر مرتين.

روى الكليني، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن عبدالله بن أحمد، عن إبراهيم بن الحسن، قال: حدثني وهب بن حفص، عن إسحاق بن جرير،

---

١ . معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي :١٥٢٤١ رقم ٩٩٩٠ ، ترجمة محمد بن أبي بكر؛ وفيه مصادر ذلك.

٢ . الكافي ١: ١١٩.

قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: كان سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبو خالد الكابلي من ثقات علي بن الحسين عليه السلام.

وروى عبدالله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، قال: وذكر عند الرضا عليه السلام القاسم بن محمد خال أبيه وسعيد بن المسيب، فقال عليه السلام: «كانا على هذا الأمر». وقال: «خطب أبي إلى القاسم بن محمد ـ يعني أبا جعفر عليه السلام ـ فقال القاسم لأبي جعفر عليه السلام: إنما كان ينبغي لك أن تذهب إلى أبيك حتى يزوجك».[1]

أقول: لم يظهر وجه كون القاسم بن محمد خالاً لأبي الإمام الرضا عليه السلام، فإنه جده لا خاله.[2]

القاسم هو جدُّ الإمام الصادق عليه السلام من أمّه، وبالتالي فهو ليس الجدّ المباشر للإمام الرضا عليه السلام بل هو الجدّ الثالث له.

١ . قرب الإسناد : ٣٥٨، كتاب قرب الإسناد إلى الرضا عليه السلام، الحديث ٢٥.

٢ . معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي ١٥ : ٤٨ رقم ٩٥٥٨، وفيه مصادر ذلك.

«قصيدة البردة» (٢)

مدح سيّدنا ونبيّنا محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله

* * *

ما إن مدحت محمَّداً بمقالتى لكن مدحت مقالتى بمحمَّد

قال الشيخ محمدرضا النحوي رحمه الله، مخمساً قصيدة «البردة» المشهورة للبوصيري، وكان تخميسها باقتراح بحرالعلوم الطباطبائي، وصدر تخميسها بهذه المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

ألحمد لله الممدوح بكل لسان، الغني بظاهر محامده عن الايضاح والبيان، بديع السماوات والأرض، باسط الفضل في الطول والعرض، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد المبعوث لحفظ النظام، المنعوت بما هو أهله من الإجلال والإعظام، وعلى غرّ آله القماقمة الأكبرين، وعلى أصحابه الخضارمة الأنجبين.

أما بعد، فيقول أفقر العباد إلى رحمة ربه الغني، محمد الملقب بالرضا ابن الشيخ أحمد النحوي، بصره الله بعيوب نفسه، وجعل يومه خيراً من أمسه:

إني لما وقفت على القصيدة البديعة الغراء، والفريدة اليتيمة العصماء، للشيخ العالم العامل، الأديب الكامل، شيخ الإسلام والمسلمين، إمام الملة والدين، الشيخ أبي عبدالله محمد بن سعيد الدلاصي المصري البوصيري، تغمده الله برحمته ورضوانه، وأفاض عليه شآبيب عفوه وغفرانه، وقد سارت بها على تقادم عهدها الركبان، وأذعن لها بالفضل كل قاص ودان، وقد تداولتها الرواة، وتغنت بها الحداة، وتلقتها جميع الفضلاء والأدباء بالقبول، وهبت عليها من قدس الجلال نسمات القبول، والناس بين شارح لغامض أسرارها، وكاشف لنقاب أستارها، وبين من انبرى لمباراتها، وجرى على النسق لمجاراتها، وبين متعرض لها بالتخميس، وآخر جانح إليها بالتسديس، وبين من سبّع وثمّن ونقّح ما اشتملت عليه من المحاسن، وكل أفرغ في ذلك جهده، وما قصّر من بذل جميع ما عنده، وما ذاك إلا لما انطوت عليه من المحاسن الفائقة، واحتوت عليه من المعاني الرائقة، مضافاً إلى شرف ممدوحها الذي جادت بما اشتملت عليه من ذكره تراكيبها، وحسنت بما تضمنته من وصفه أساليبها، فشرفت

لذلك معانيها، ولطفت لما هنالك مبانيها:

فسارت مسير الشمس في كل بلدة * وهبت هبوب الريح في البر والبحر

أحببت أن انتظم معهم في ذلك السلك، وأستوي معهم بحمد الله على ذلك الفلك، وإن لم أكن من فرسان هذا الميدان، ولا ممن ينبغي له أن يثني نحو هذه المضائق منه العنان، فقد تجمع الحلبة بين السكيت والمجلي، واللطيم والمصلّي، وقد يتزيّى بالهوى غير أهله، وتنزع نفس المرء به للسمو إلى غير محله، فجنحت في هذا إلى التسميط، راجياً من الله العصمة من الإفراط والتفريط.

ما إن مدحت محمداً بمقالتي * لكن مدحت مقالتي بمحمد

وأسأل الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يهديني بها الصراط المستقيم، وأرجو ممن وقف منها على ما زلت به القدم، أو طغى به حال جريانه القلم، أن يقابل ذلك بالعفو والصفح، ويتنكب جادة الاعتساف بالإزراء والقدح، فإنّ الإنسان محل الخطأ والنسيان، .. وإنّ أولَ ناس أولُ الناس.

وكان الفراغ من ذلك في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من رجب سنة ١٢٠١هـ قال:

* * *

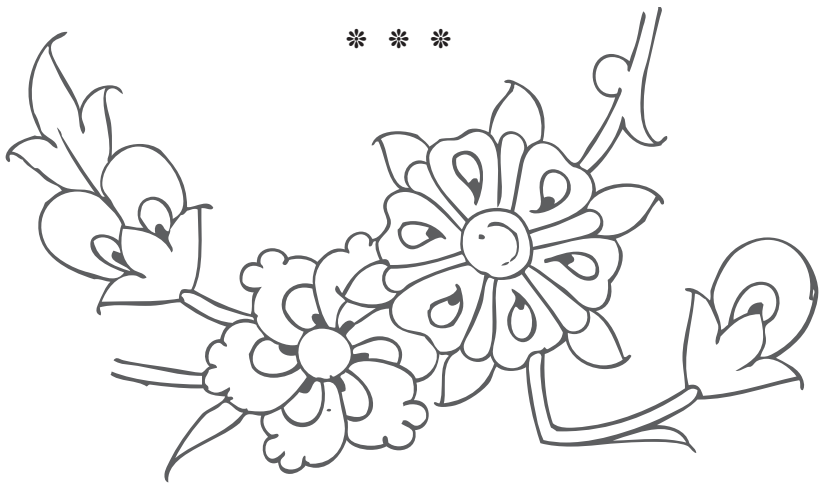

.... القسم الثاني:

كم قد تعمَّق في إدراكه نظرٌ * وأعمِلتْ من ذوي فِكرٍ به فِكَر
فما تجدَّدلاعلمٌ ولاخبر * فمبلغُ العلمِ فيه أنّهُ بشرٌ
وإنَّهُ خيرُ خلقِ اللهِ كلِّهمُ

كم جاءتِ الرُّسلُ الأُولَى لمطلبها * بحُجةٍ شعشعتْ أنوارَمذهبها
فكانَ منْ نورهِ إشراقُ كوكبِها * وكلُّ آيٍ أتَى الرُّسلُ الكرامُ بها
فإنما اتصلتْ من نوره بِهِم

هُمُ النُّجومُ بها تُجْلَى غَياهِبُها * ما حَجَّبَ الشمسَ عنْ عينٍ مَغاربُها
فَلا يُقاسُ بنورٍمنهُ ثَاقِبُها * فإنّهُ شمسُ فضلٍ هُمْ كَواكِبُها
يُظهِرْنَ أنوارَها للنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

كَمْ شَقَّ جَيْبَ الدُّجَى مِن نورِه فَلَقٌ * وَعَبَّقَ الْكَوْنَ مِن أخلاقه عَبَقٌ
فَالخلقُ والْخُلقُ كلٌّ فِيه متَّسِقٌ * أكرم بخلقِ نبيٍّ زانَهُ خُلُق
بالْحُسنِ مشتمل بالبُشْرِ مُتَّسِم

خُلْقٌ وخَلْقٌ وكلٌّ أيُّ مُؤْتَلَفٍ * جودٌ وبأسٌ وكلٌّ غَيرُ مُختَلِفٍ
فَيا لِمَوْلَى بكلِّ الفَضْلِ مُتَّصِفٍ * كَالزَّهرِ في تَرَفٍ والبدرِ في شَرَف
والبَحْرِ في كرمٍ والدَّهرِ في هِمَمِ

على أسارِيرِهِ سِيما بسَالتِهِ * تَلُوحُ كَالبَدْرِ يَزهُو وَسطَ هَالَته
لَمْ يَبدُ إلاَّ وَفَرُّوا مِنْ مَهابَتِهِ * كَأنهُ وَهوَ فَردٌ في جَلالَتِهِ
في عَسكرٍ حِينَ تَلقاهُ وفي حَشَمِ

كَمْ بالْمَقالِ جَلا لِلرَّيبِ منْ سُدَفٍ * وَبابْتِسامٍ مَحَا لِلَّيلِ مِن سُجُفِ
فَاللَّفْظُ وَالثَّغْرُ دُرٌّ اَيُّ مُرْتَصِفٍ * كَأنَّما اللُّؤْلُؤُ الْمَكنُونُ فِي صَدَفِ
مِن مَعدِنَي مَنطقٍ مِنهُ وَمُبتَسَمِ

فَلُذ بِقَبْرٍ بِهِ الرَّحمنُ أكْرَمَهُ * وَمِثلَ تَحرِيمِهِ لِلبَيْتِ حَرَّمَهُ
وَالثِم ثَرَى رَمْسِهِ إنْ نِلْتَ مَلثَمَهُ * لاَطِيبَ يَعْدِلُ تُراباً ضَمَّ أعْظَمَهُ
طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنهُ وَمُلتَثِمِ

قَد شَقَّ ميلادُه إصباحَ مَفخَرِهِ * عن واضِحِ الْمَجدِ سَابِي الْجَدِّ أزهَرِهِ
ومُذ أبانَ الْهُدىَ مِن حينَ مَظهرِهِ * أبانَ مَولدُهُ عنْ طيبِ عُنصُرِهِ
يَا طيبَ مُبتَدَإٍ مِنهُ وَمُخْتَتَمِ

يومٌ بِهِ نَالَ أهلُ الحقِّ أمنَهُمُ * مِنْ خُوفِهِمْ وَأحَقَّ اللهُ ظَنَّهُمُ
يومٌ تَبيَّنَ فيهِ الرُّومُ وَهْنَهُمُ * يومٌ تَفرَّسَ فيهِ الْفُرسُ إنَّهُمُ
قَد أُنْذِرُوا بِحُلُولِ الْبَأسِ وَالنِّقَمِ

كَم ضَاقَ فيهِمْ مِنَ الأَقْطارِ مُتَّسِعٌ * فَالكُلُّ منهُم شَجٍ مِمَّا عَرَى جَزِعٌ
فَظَلَّ كَسْرَى لَدَيهِمْ وَهُوَ مُنْقَطِعٌ * وبَاتَ إيوانُ كَسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ
كَشَمْلِ أصْحَابِ كَسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ

فَكَم هَوَتْ منهُ نَحوَ الأرضِ مِنْ شُرَفٍ * هَوَت بشَامِخِ مَا قَد كَانَ مِنْ شَرَفٍ
فَالجوُّ مُضطَربُ الأرْجَاءِ مِن دَنَفٍ * وَالنَّارُ خَامِدَةُ الأنْفَاسِ مِن أسَفٍ
عَليهِ والنَّهرُ سَاهِي الْعينِ مِنْ سَدَمِ

لَقد تَمادت عَلىَ الْكُفَّارِ حَيرتُهَا * إذْ لَم تُفدْ هَا لِغَورِ الْمَاءِ غَيْرتُهَا
قَد غَمَّهَا أنْ خَبَتْ عَنها نُويرَتُها * وَساءَ سَاوَةَ أنْ غاضَتْ بُحَيْرتُهَا
ورُدَّ وَارِدُها بالغَيظِ حِينَ ظَمِي

فَالنَّارُ والماءُ مِن خَوفٍ ومِن وَجَلٍ * قَد حَال عنْ طبعِهِ كُلٌّ إلَى بَدَلِ
فَالنَّارُ في بَرَدٍ والماءُ في غَلَلٍ * كأنَّ بالنَّارِ مَا بالماءِ مِنْ بَلَلِ
حُزناً وبالماءِ مَا بالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ

آياتُ حقٍّ لأهْلِ الزَّيغِ قَامِعةٌ * منهَا بُرُوقُ الْهُدَى في الْكَونِ لاَمِعَةٌ
فَالإنْسُ تَلهَجُ والأمْلاكُ صَادِعَةٌ * والجنُّ تَهتِفُ والأنْوارُ سَاطِعةٌ
والحقُّ يَظهَرُ مِن معنىً ومِن كَلِمِ

كَم بُشِّروُا لَو يُلَقُّونَ الْهُدَى بِنِعَم * وَأُنذِرُوا لَو يُوَقُّونَ الرَّدَى بنِقَم
لَكنَّهُم مِن عَمًى لَجُّوا بِهِ وَصَمَم * عَمُوا وَصَمُّوا فَإعْلاَنُ الْبَشَائِرِ لَم
يُسْمَع وبَارِقَةُ الإنذَارِ لَم تُشَمِ

أبدَى لَهُم نَبأ الأَصْنَامِ سادِنُهُم * لِمَا هَوتْ فَخَوتْ مِنها مدائنُهُم
ضَاقتْ عَلى الْقَومِ في رَحبٍ مَعَاطِنُهُم * مِن بعدِ مَا أخْبَرَ الأقوامَ كَاهِنُهُم
بأنَّ دِينَهُمُ الْمُعْوجَّ لَم يَقُم

كَم كَذَّبُوا مَا لَدَيْهِمْ فيهِ مِن كُتبٍ * تَعَلُّلاً بِأبَاطيلٍ لَهُم كَذِبِ
مِنْ بَعدِ مَا رأوُا الآيَاتِ مِن كَثَبٍ * وَبعدَ مَا عَايَنوُا في الأُفقِ مِنْ شُهُبِ
مُنْقَضَّةٍ وفْقَ مَا في الأرضِ مِن صَنَمِ

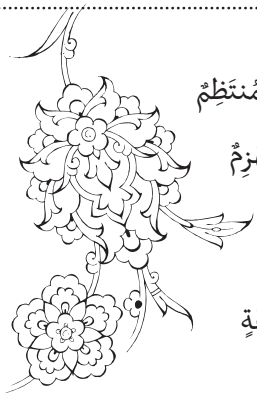

هَوَتْ رُجُوماً فَوجهُ الوحيِ مُبتَسِمٌ * عَن أبْلَجٍ منهُ شَمْلُ الدينِ مُنتَظِمٌ
فَكُلُّ مُستَرِقٍ لِلسَّمْعِ مُنقَصِمٌ * حَتَّى غَدا عنْ طريقِ الحقِّ مُنهَزِمٌ
مِنَ الشَّياطينِ يَقفُو إثْرَ مُنْهَزِمِ

رَمُوا مِنَ النَّجْمِ مُنْقَضّاً بتُرَهَةٍ * قَد أبطَلتْ إذْ أطَلَّتْ كُلَّ تُرَهَةٍ
فَأجْفَلُوا هَرَباً فِي كُلِّ مَهمَهةٍ * كأنَّهُم هَرَباً أبطالُ إبْرَهَةٍ
أو عَسكرٌ بالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي

بِهِ ابْنُ مَتَّى نَجَا مِن بعدِ مَا الْتُقِمَا * وَفِي يَدَيْهِ الْحَصَى تَسْبيحُهُ عُلِمَا
لَمْ يَرمِ لكِنَّمَا اللهُ العَظيمُ رَمَى * نَبذاً بِهِ بعدَ تَسْبيحٍ بِبَطْنِهِمَا
نَبْذَ الْمُسَبِّحِ مِنْ أحْشَاءِ مُلْتَقِمِ

كَم قَد هَدى أمَّةً ظَلَّتْ مُعانِدَةً * وَكُلَّمَا قُرِّبتْ ولَّتْ مُبَاعِدَةً
ومُذ بَغَتْ آيةً بالصِّدقِ شَاهِدَةً * جَاءتْ لِدعْوَتِهِ الأشْجَارُ سَاجِدَةً
تَمْشِي إليهِ عَلى سَاقٍ بلاقَدَمِ

جَاءَتْ وَرَدَّتْ بأمْرٍ منهُ وانْسَرَبَتْ * فَقَالَ عُودي فَعَادَتْ مِثلَمَا ذَهَبتْ
جَاءتْ إليهِ تَخُطُّ الأرْضَ واقْتَرَبَتْ * كَأنَّمَا سَطَرتْ سَطراً لِمَا كَتَبتْ
فُروعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخطِّ فِي اللَّقَمِ

لَقدْ دَعَاهَا فَلَبَّتْهُ مُبَادِرةً * فَرَدَّهَا مِثْلَمَا جَاءتْهُ صَادِرَةً
لَو شَاءَ كَانتْ لِعُلْيَاهُ مُسَايِرَةً * مِثلَ الْغَمَامَةِ أنَّى سَارَ سَائِرَةً
تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَلِي

قَد شَقَّ عَن قَلبِهِ الْبَارِي فَجَلَّلَهُ * نُوراً وَبالقَمَرِ الْمُنْشَقِّ بَجَّلَهُ
فَلْيَهْنَأِ الْبدرُمَا الرَّحمنُ خَوَّلَهُ * أقْسَمْتُ بالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ أنَّ لَهُ
مِنْ قَلبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ القَسَمِ

ومَا حَوَى اللهُ مِن فَضلٍ لَهُ عَمَمٍ * لَمْ يُحْ ِ عَدّاً بِقِرطاسٍ وَلا قَلَمِ
وَمَا رَوىَ الْحَبرُ مِن خِيمٍ وَمِن شِيَمٍ * وَمَا حَوىَ الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
وكُلُّ طَرفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنهُ عَ ِي...

حَامَ الْحَمامُ بِبَابِ الْغَارِ إذْ دَخَلا * وَالعَنْكَبوتُ كَسَتْهُ نَسْجَها حُلَلاَ
فَالقَوْمُ مِن حِيرَةٍ ضَلُّوا بِهَا السُّبُلا * ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكبُوت عَلَى
خَيرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسِجْ ولَمْ تَحُمِ

نَسْجُ الْعَنَاكِبِ أقْوَى كُلِّ صَارِفَةٍ * لِلسُّوءِ عَن فِئَةٍ باللهِ عَارِفَةٍ
فَاسْتَغْنِ باللهِ فِي صَمّاءَ قَاصِفَةٍ * وِقَايَةُ اللهِ أغْنَتْ عَن مُضَاعَفَةٍ
مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُمِ

شَكَوْتُ دَهْرِي إلَيْهِ فِي تَقَلُّبِهِ * فَكُنْتُ غَلاَّبَ دَهْرِي فِي تَغَلُّبِهِ
فَدَعْ زَمَانِيَ يَصوَى فِي تَعَتُّبِهِ * مَا سامَنِي الدَّهْرُ ضَيماً واستَجَرْتُ بِهِ
إلاَّ وَنِلْتُ جِواراً مِنْهُ لَمْ يُضَمِ

فَما شَكَوْتُ عَدُوّاً فِي تَرَدُّدِهِ * بالْكَيْدِ فِي يَوْمِهِ نَحْوِي وَفِي غَدِهِ
إلاَّ ثَنَى الْكَيْدَ مِنْهُ فِي مُقَلَّدِهِ * ولاَ الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَينِ مِنْ يَدِهِ
إلاَّ اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيرِ مُسْتَلَمِ

يَنامُ مُنْتَبهاً لِلوَحْيِ مُجْمَلَهُ * وَلَّى كَمَا قَد وَلَّى مِنْهُ مُفَصَّلَهُ
إنْ تَعْرِفُوا مَا بِهِ ذُو الْوَحْيِ خَوَّلَهُ * لاَ تُنكِرُوا الْوَحْيَ مِن رُؤيَاهُ إنَّ لَهُ
قَلباً إذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ

كَم فِي الْمَنَامِ رَأَى مِنْ قَبْلِ دَعْوَتِهِ * وَحْياً أَتَاهُ وَحِيناً حَالَ غَفْوَتِهِ
قَد كَانَ بَادِئَ بَدءٍ مِنْ فُتُوَّتِهِ * فَذَا حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ
فَكَيْفَ يُنْكَرُ مِنهُ حَالَ مُحْتَلِمِ!

أعظِمْ بِمَوْلَىَ لِوَلِّي الْوَحْيِ مُنْتَخَبٍ * عَلَى الْغُيُوبِ أَمِينٍ غَيْرَ ذِي رِيَبِ
سُبْحَانَ مَوْلَىَ لَهُ لِلْوَحْيِ مُنْتَجِبٍ * تَبَارَكَ اللهُ مَا وَحيٌ بِمُكْتَسَبٍ
وَلا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ

مَولَىَ مَحَلُّ الْهُدَى وَالرُّشْدِ سَاحَتُهُ * وَبَاحَةُ الْوَحْيِ وَالأَمْلاَكِ بَاحَتُهُ
كَمْ أَنْعَشَتْ مَيتَ إمْلاقٍ سَمَاحَتُهُ * كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِباً بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ
وَأَطْلَقَتْ أَرِباً مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ

مَوْلَىَ لَهُ مِنْ لُبَابِ الْمَجْدِ صَفْوَتُهُ * وَمِن مَنِيعِ رَفِيعِ الْقَدْرِ صَهْوَتُهُ
أَمَاتَتِ الْكُفْرَ وَالتَّضْلِيلَ دَعْوَتُهُ * وَأَحْيَتِ السّنةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ
حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ

دَعَا فَجَلَّلَتِ الدُّنيَا بِغَيْهَبِهَا * سَحَائِبٌ قَدْ تَدَلَّىَ صَوْبَ صَيِّبِهَا
تَرَّتْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ مُنهَلِّ هَيْدَبِهَا * بِعَارِضٍ جَادَ أَو خِلْتَ الْبِطَاحَ بِهَا
سَيْباً مِنَ الْيَمِّ أَو سَيْلاً مِنَ الْعَرِمِ

كَم آيةٍ لِذَوي الإلْحَادِ قَدْ قَهَرَتْ * قَد حَاوَلوْا سَتْرَهَا جَهلاً فَمَا اسْتَتَرَتْ

يَا لائِمِي فِي مَزايَا مِنهُ قَد بَهَرَتْ * دَعْنِي وَوَصْفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ

ظُهُورُنَا رِالْقِرىَ لَيْلاً عَلَى عَلَمِ

دَعْنِي أُنَظِّمُ دُرّاً سَمْطُهُ كَلِمُ * قَدْ أُحْكِمَتْ فِي مَبَانِي لَفْظِهِ حِكَمُ

وإنْ تَسَاوَتْ بِحَالَيْهِ لَهُ قِيَمُ * فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً وَهُوَ مُنْتَظِمُ

وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيرَ مُنْتَظِمِ

كَم طَارَدُوا مِقْوَلٍ فِيهِ فَمَا وَصَلاَ * وَإنْ تَجَاوَزَ فِي زَعْمٍ لَهُ وَغَلاَ

فَلْيَحْتَقِرْ مَدْحَهُ وَلْيَقْصُرِ الأَمَلاَ * فَمَا تَطَاوَلُ آمَالِ الْمَدِيحِ إلَى

مَافِيهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلاَقِ وَالشِّيَمِ

عَنْ فَضْلِهِ السُّوَرُ الْعُظْمَى مُحَدِّثَةٌ * وَلِلْمَزَايَا لَهُ وَالْفَضْلِ مُورِثَةٌ

قَدِيمُ فَضْلٍ لَهُ الآيَاتُ مُحْدِثَةٌ * آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحمَنِ مُحْدَثَةٌ

قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقِدَمِ

جَاءَتْ تُبَشِّرُنَا طَوراً وَتُنْذِرُنَا * حِرْصاً عَلَيْنَا وبِالْعُقْبَى تُبَصِّرُنَا

وَمِنْ مَصَارِعِ عَادٍ كَمْ تُحَذِّرُنَا * لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا

عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إرَمِ

أعظِمْ بِمُعْجِزَةٍ لِلْوَعْدِ مُنْجِزَةٍ * وَفِيَّةٍ بِالْمَعَانِي الْغُرِّ مُوجَزَةٍ

لِمِلَّةِ الْحَقِّ مَادَامَتْ مُعَزِّزَةٍ * دَامَتْ لَدَيْنَا كُلَّ مُعْجِزَةٍ

مِنَ النَّبِيِّينَ إذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ

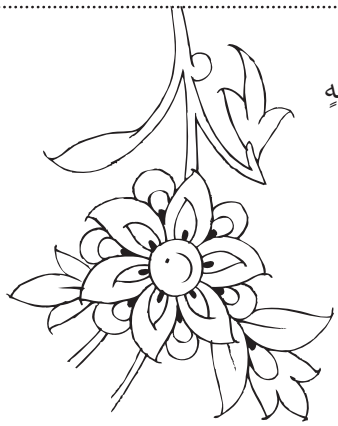

آيَاتُ صِدْقٍ سَمَتْ فِي الصِّدْقِ عَنْ شُبَهٍ * كَم نَبَّهَتْ مِنْ غَوِيٍّ غَيرِ مُنْتَبِهِ
مُبَيِّنَاتٌ فَمَا حَقٌّ بِمُشْتَبِهٍ * مُحَكَّمَاتٌ فَمَا يُبْقِينَ مِنْ شُبَهِ
لِذِي شِقَاقٍ وَلاَ يَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ

كَمْ قَد تَجَلَّتْ بِهَا لِلرَّيبِ مِنْ رِيَبٍ * وَكَم بِصِدقٍ بِهَا رَدَّتْ أَخَا كَذِبٍ
مَا غُولِبَتْ قَطُّ إلاَّ وَهِيَ فِي غَلَبٍ * مَا حُورِبَتْ قَطُّ إلاّ عَادَ مِنْ حَرَبٍ
أَعْدَى الأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلَمِ

كَم رَامَ ذُو فِطْنَةٍ دَرْكاً لِغَامِضِهَا * فَخَاضَ فِي لُجَّةٍ أَوْدَتْ بِخَائِضِهَا
وَكُلَّمَا عَارَضُوهَا فِي مُنَاقِضِهَا * رَدَّتْ بَلاَغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا
رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ

فَكَمْ يَنَابِيعَ مِنْ هَدْيٍ وَمِنْ رَشَدٍ * رَوَتْ بِرِيقِهَا الْمُخْضَلِّ قَلْبَ صَدِ
أَلْفَا دُرٍّ كَعِقْدِ النَّجْمِ مُطَّرِدٍ * لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ
وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيَمِ

جَاءَتْ وَقَدْ طَمَّتِ الدُّنيَا غَيَاهِبُهَا * جَهْلاً فَجَلَّى ظَلاَمَ الْجَهْلِ ثَاقِبُهَا
عَجَائِبٌ ضَلَّ عَنْهَا الدَّهْرَ حَاسِبُهَا * فَمَا تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى عَجَائِبُهَا
وَلاَ تُسَامُ عَلَى الإِكْثَارِ بِالسَّأَمِ

نُورٌ مِنَ اللهِ لِلتِّبْيَانِ أَنْزَلَهُ * عَلَى نَبِي هُدًى بِالْحَقِّ أَرْسَلَهُ
وَمُذْ تَلاَ مَا تَلاَ مِنْهَا وَرَتَّلَهُ * قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ
لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فَاعْتَصِمِ

إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
لهم مغفرة وأجر عظيم

كَم أيْقَظَتْ لَو دَعَتْ لَمَّا دَعَتْ يَقِظا * وَاسْتَحْفَظَتْ لَو أصَابَتْ مَنْ لَهَا حَفِظا
فَكُنْ بوَعْظٍ لَهَا إنْ تَتْلُ مُتَّعِظا * إنْ تَتلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّنَارِلَظَى
أطْفَأتَ حَرَّ لَظًى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ

كَمْ فَازَذُو مَطْلَبٍ مِنْهَا بمَطْلَبِهِ * وَأطْلَعَتْ بَدْرَهُ مِنْ بَعدِ مَغْرِبِهِ
كَمْ أزْهَرَتْ وَجْهَ عَاصٍ بَعْدَ غَيْهَبِهِ * كَأنَّهَا الْحَوضُ تَبْيَضُّ الْوُجُوهُ بِهِ
مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُوهُ كَالْحُمَمِ

جَاءَتْ نُجُوماً لِتَالِيهَا مُنَزَّلَةً * مُبَيِّنَاتٍ لِوَاعِيهَا مُفَصَّلَةً
كَالشَّمْسِ نُوراً وَكَالْعَيُّوقِ مَنْزِلَةً * وَكَالصِّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدِلَةً
فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

تَطَلَّعَتْ وَالْحَسُودَ الْغَمْرُ يَسْتُرُهَا * بَغْياً وَقَدْ شَعْشَعَ الأكْوَانَ نَيِّرُهَا
فَمَا عَلَيْهَا إذَا مَا ضَلَّ مُنْكِرُهَا * لاَ تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا
تَجَاهُلاً وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الْفَهِمِ

إنْ أنْكَرَ الصُّبْحَ ذُو حَيفٍ وَذُو أوَدٍ * فَالصُّبْحُ لَمْ يَخْفَ فِي حَالٍ عَلَى أحَدِ
قَد يُنْكِرُ الْفَضْلَ أهْلُ الْجَهْلِ مِنْ حَسَدٍ * قَد تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ

يَا خَيْرَ مَنْ أمَّلَ الرَّاجِي سَمَاحَتَهُ * وَمَنْ لِجَدْوَاهُ مَدَّ الْغَيْثُ رَاحَتَهُ
يَا مَنْ بِهِ يَجِدُ الْمَكْرُوبُ رَاحَتَهُ * يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ
سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ الأيْنُقِ الرُّسُمِ

يَامَنْ هُوَالنَّصْرُفِي الدُّنيَالِمُنْتَصِرٍ * وَمَنْ هُوَالذُّخْرُفِي الأُخْرَى لِمُدَّخِرِ
يَامَنْ هُوَالْحُجَّةُ الْعُلْيَالِمُزدَجِرٍ * وَمَنْ هُوَالآيَةُ الْكُبْرَىٰ لِمُعْتَبِرِ
وَمَنْ هُوَالنِّعْمَةُ الْعُظْمَىٰ لِمُغْتَنِمِ

مَلأْتَ مِن سَيْبِ ما أَوْعَيْتَ مِن كَرَمٍ * شِعابَ مَكَّةَ مِن فَرْعٍ إلى قَدَمِ
وَمُذْ دُعِيتَ لِمَرْقَىً أَيِّ مُحْتَرَمٍ * سَرَيْتَ مِن حَرَمٍ لَيْلاً إلى حَرَمِ
كَما سَرَى البَدْرُ في داجٍ مِن الظُّلَمِ

هَوَتْ لِإِسْرائِهِ الآمالُ مُنْزَلَةً * واسْتَقْبَلَتْهُ رِياحُ اللُّطْفِ مُقْبِلَةً
ولَمْ تَزَلْ نَحْوَ القُدْسِ مُوصِلَةً * وَبِتَّ تَرْقَى إلى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً
مِن قابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

في لَيْلَةٍ بِهُ جَلَّتْ جُنْحَ غَيْهَبِها * إذ نُبْتَ عَن بَدْرِها فيها وَكَوْكَبِها
خَرَّتْ لِعَلْيا هُ مِن عُلْوِيِّ مَرْقَبِها * وَقَدَّ مَتْهُ جَمِيعُ الأَنْبِياءِ بِها
والرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلى خَدَمِ

تَقَرَّبُوا بِهُ زُلْفَى في تَقَرُّبِهِمْ * بِخِدْمَةٍ لَهُ أَدْنَتْهُمْ لِمَطْلَبِهِمْ
قَدكُنْتَ إذ أَوْكَبُوا بَدْراً لِمَوْكِبِهِمْ * وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّباقَ بِهِمْ
في مَوكِبٍ كُنْتَ فيهِ صاحِبَ العَلَمِ

مازِلْتَ مِن أُفُقٍ تَرْقَى إلى أُفُقٍ * مُجاوِزاً طَبَقاً لِلْقُرْبِ عَن طَبَقِ
شَأَوْتَ كُلَّ أَخِي سَبْقٍ بِمُسْتَبَقٍ * حَتّى إذا لَمْ تَدَعْ شَأْواً لِمُسْتَبِقِ
مِن الدُّنُوِّ ولا مَرْقىً لِمُسْتَنِمِ

تُبِّهْتَ لِلقُرْبِ والغَمْرُ الحَسُودُ وُقِذْ * وَقَد وَفَيْتَ بِمِيثاقٍ عَلَيهِ أُخِذْ
وَمُذْ رُفِعْتَ وَمَن لَمْ يَدْنُ مِنْهُ نُبِذْ * خَفَضْتَ كُلَّ مَقامٍ بِالإِضَافَةِ إِذْ
نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ

أَدْرَكْتَ مِن خَطَرٍ لَوْلاَ ذِي خَطَرٍ * ما لَيْسَ يُدْرَكُ في سَمْعٍ ولا بَصَرِ
خُصِصْتَ بالقُرْبِ مِن بادٍ وَمُحْتَضِرٍ * كَيْما تَفُوزَ بوَصْلٍ أيِّ مُسْتَتِرِ
عَنِ العُيونِ وَسِرٍّ أيِّ مُكْتَتَمِ

كَم جُزْتَ في صَهَواتِ المَجْدِ مِن حُبُكٍ * وَكَم سَمَوْتَ لِنَيْلِ القُرْبِ مِن فَلَكِ
وَكَم تَجاوَزْتَ دُونَ الرُّسْلِ مِن مَلَكٍ * فَحُزْتَ كُلَّ فَخارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكِ
وَجُزْتَ كُلَّ مَقامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ

كَم قَد خَرَقْتَ لِما وُلِّيْتَ مِن حُجُبٍ * وكَم رَأَيْتَ لِما أُوْلِيتَ مِن عَجَبِ
فَجَلَّ نَعْتٌ عَن نَظْمٍ وَعَن خُطَبٍ * وَجَلَّ مِقدارُ مَا وُلِّيتَ مِن رُتَبِ
وَعَزَّ إِدْرا كُ مَا أُولِيتَ مِن نِعَمِ

مَوْلىً بِهِ اللهُ رَبُّ الفَضْلِ فَضَّلَنا * وَبِالعِنايَةِ دَونَ النَّاسِ خَوَّلَنَا
فَلْيَهْنِنا ما مِنَ البُشْرَى تَجَلَّلَنا * بُشْرَى لَنا. مَعْشَرَ الإِسْلامِ. إِنَّ لَنا
مِن العِنايةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ

فَدَعْ لِسانِيَ يَجْرِي في بَراعَتِهِ * بِنَعْتِ مَن كُلُّ عاصٍ في شَفاعَتِهِ
أكرِمْ بِدَاعٍ كَرِمْنَا في إِطاعَتِهِ * لَمّا دَعا اللهُ داعِينا لِطاعَتِهِ
بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنّا أَكْرَمَ الأُمَمِ

لا إله إلا الله محمد رسول الله

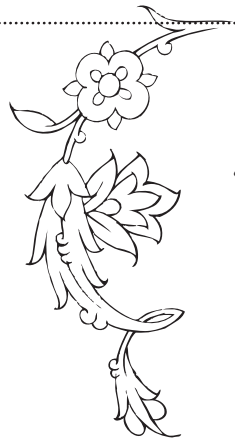

مَوْلىً بِهِ اللهُ أَضْفَانَا بِنِعْمَتِهِ * وَاخْتَصَّنا وَاصْطَفانا أَهْلَ مِلَّتِهِ
دَعا فَمُذْ بَلَغَتْ أَنْباءُ دَعْوَتِهِ * راعَتْ قُلُوبَ العِدَى أَنْباءُ بِعْثَتِهِ
كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الغَنَمِ

كَم قَد سَطا بِهِمُ فِي كُلِّ مُشْتَبَكٍ * لِلسُّمْرِ مُضْطَرِبِ الأَرْجاءِ مُرْتَبِكِ
أَنَّى يَفِرُّونَ خَوْفاً مِن سُطَامَلِكٍ * ما زالَ يَلْقاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكِ
حَتَّى حَكَوا بِالقَنا لَحْماً عَلى وَضَمِ

أَبادَهُمْ فَقَضى بَعْضٌ بِمَضْرِبِهِ * رُعْباً وشالَتْ بِهِ عَنْقاءُ مُغْرِبِهِ
والبَعْضُ ضاقَ عَلَيهِ وَجْهُ مَهْرَبِهِ * وَدُّوا الْفِرارَ فَكادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ
أَشْلاءَ شالَتْ مَعَ العِقْبانِ وَالرَّخَمِ

تَفْنَى الدُّهُورُ وَيُبْلِي اللهُ جِدَّتَها * وَتَسْتَمِرُّ ولا يَدْرُونَ مُدَّتَها
وَمِن حُرُوبٍ أُذِيقَ القَوْمُ شِدَّتَها * تَمْضِي اللَّيالي ولا يَدْرُونَ عِدَّتَها
ما لَم تَكُنْ مِن لَيالي الأَشْهُرِ الحُرُمِ

أَباحَهُ الدِّينُ إذ حادُوا اسْتِباحَتَهُمْ * بِكُلِّ غَرْثانَ يَسْتَقْرِي إِجاحَتَهُمْ
ظَمْآنَ أَوْسَعَ يَرْوَى جِراحَتَهُمْ * كَأَنَّما الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ ساحَتَهُمْ
بِكُلِّ قَرْمٍ إِلى لَحْمِ العِدَى قَرِمِ

كَم قادَ أَرْعَنَ مَوّاراً بِجائِحَةٍ * بِعُوَّمٍ فِي عُبابِ الآلِ طافِحَةٍ
يَسْطُو بِشُوسٍ مَصالِيتٍ جَحاجِحَةٍ * يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوقَ سابِحَةٍ
يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطالِ مُلْتَطِمِ

كَم جَرَّ نَحْوَ العِدَى مِن فَيْلَقٍ لَجِبٍ * رَبِيطِ جَأْشٍ كَمَوْجِ البَحْرِ مُضْطَرِبِ

يَرْمِي بِشُهْبٍ كَما تَنْقَضُّ مِنْ شُهُبٍ * مِن كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلهِ مُحْتَسِبِ

يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ

كَم أَنْهَجُوا مِن سَبِيلٍ نَحْوَ مَذْهَبِهِمْ * بِحَدِّ خَطِّيهِمِ طَوْراً وَمِقْضَبِهِمْ

وكَمْ وكَمْ شَعَبُوا صَدْعاً لِمِشْعَبِهِمْ * حَتّى غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلامِ وَهْيَ بِهِمْ

مِن بَعْدِ غُرْبَتِها مَوْصُولَةَ الرَحِمِ

صِينَتْ بِكُلِّ أَبِيِّ الضَّيْمِ مُنْتَدِبٍ * لِلْعِزِّ لَيْسَ بِعِزْهاةٍ وَلا لَغَبِ

تَنْفَكُّ فِي راحَةٍ وَالقَوْمُ فِي تَعَبٍ * مَكْفُولَةً أَبَداً مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبِ

وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَم تَيْتَمْ وَلَم تَئِمِ

لَو كُنْتَ تَشْهَدُ إِذْ كَرُّوا تَصادُمَهُمْ * وَالرُّوْحُ بِالنَصْرِ لا يَنْفَكُّ قادِمَهُمْ

رَسَوْا فَلَسْتَ تَرَى قِرْناً مُقاوِمَهُمْ * هُمُ الجِبالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصادِمَهُمْ

مَاذا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ

كَم أَرْهَقُوهُمْ عَذاباً إِذْ عَتَوْا صَعَداً * وَمَن أَرَبَّ الرَّدَى لَم يَلْقَ غَيْرَ رَدَى

سَلْ خَيْبَرَاً حِين وَلَّى جَمْعُهُمْ بَدَداً * وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداَ

فُصُولَ حَتْفٍ لَهُم أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ

الجاعِلِي الوُلْدِ شِيْباً عِنْدَ ما وُلِدَت * بَعادِياتٍ عَلَيْهِمْ فِي الحُجُورِ غَدَتْ

المُوْرِدِي الشُّهْبِ لُجَّ المَوْتِ ما وَرَدَتْ * المُصْدِرِي البِيْضِ حُمْراً بَعْدَ ما وَرَدَتْ

مِنَ العِدَى كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ

الكاشِفِينَ دُجَى الهَيْجاءِ ما حَلكَتْ * بِبارِقاتٍ لأَعْمارِ العِدَى بَتَكَتْ
الشّاعِلِينَ بِبِيضِ الهِنْدِ ما فَتَكَتْ * والكاتِبِينَ بِسُمْرِ الخَطِّ ما تَرَكَتْ
أَقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

سِلاحُهُمْ لأَعادِيهِمْ تَحَرُّزُهُمْ * بِعِزِّ مَوْلىً بِهِ قِدْماً تَعَزُّزُهُمْ
قَدْ مَازَهُمْ بِمَزايا هُمْ مُمَيِّزُهُمْ * شاكِي السِّلاحِ لَهُمْ سِيْما تُمَيِّزُهُمْ
والوَرْدُ يَمْتازُ بِالسِّيْما مِنَ السَّلَمِ

هُمُ الكُماةُ أَعَزَّ اللهُ نَصْرَهُمُ * بِهِ وَطَيَّبَ طِيبَ الزَّهْرِ نَجْرَهُمُ
ولَمْ تَزَلْ كُلَّما اسْتَنْشَيْتَ عِطْرَهُمُ * تُهْدِي إِلَيْكَ رِياحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ
فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ في الآكامِ كُلَّ كَمِي

تَسَنَّمُوا صَهَواتِ الجُرْدِ مُنْتَدِباً * يَهْتاجُ مُشْتَمِلاً بِالحَزْمِ مُنْتَقِباً
أَرْسَوْا فَلَسْتَ تَرَى نِكْساً وَلا ثَئِباً * كَأَنَّهُمْ في ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُبىً
مِن شِدَّةِ الحَزْمِ لا مِن شِدَّةِ الحُزُمِ

طَافُوا بِهِمْ فَتَمَنَّوا لِلنَجا نَفَقاً * في الأَرْضِ أَو سُلَّماً يَرْقَى بِهِم أُفُقاً
وَمُذ عَدَوا وَغَدا جَمْعُ العِدَى مِزَقاً * طارَتْ قُلُوبُ العِدَى مِن بَأْسِهِمْ فَرَقاً
فَما تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ والبُهَمِ

مِن كُلِّ نَدْبٍ تَبُتُّ الشَّرَّ شِرَّتُهُ * شَهْمٍ أُمِرَّتْ على العِلاّتِ مِرَّتُهُ
يَكِرُّ مَقْرُونَةً بِالنَّصْرِ كَرَّتُهُ * وَمَن تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ
إِن تَلْقَهُ الأُسْدُ في آجامِها تَجِمِ

غَوْثُ الوَلِيِّ فما يَنْفَكُّ في وَزَرٍ * حَتْفُ العَدُوِّ فَلَم يَبْرَحْ عَلى خَطَرٍ
فَسَرِّحِ اللَّحْظَ في بادٍ وَمُحْتَضِرٍ * فَلَن تَرَى مِن وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ
بِهِ ولا مِن عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمِ

وافَ إلى اللهِ يَدْعُو في أَدِلَّتِهِ * والشِّرْكُ ظَلَّلَ كُلاًّ في أَظِلَّتِهِ
وَمُذ دَهَى العَيَّ مُجْتاحاً بِصَوْلَتِهِ * أَحَلَّ أُمَّتَهُ في حِرْزِ مِلَّتِهِ
كَاللَيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبالِ في الأَجَمِ

كَفاكَ بِالذِكْرِ بُرْهاناً لِمُنْتَضِلٍ * يَرُدُّ كُلَّ دَخِيلِ الأَصْلِ ذِي دَخَلٍ
فَاقْصِمْ بِهِ كُلَّ ذِي رَيْبٍ وَذِي جَدَلٍ * كَم جَدَّلَتْ كَلِماتُ اللهِ مِن جَدِلٍ
فِيهِ وكَمْ خَصَمَ البُرْهانُ مِن خَصِمِ

أُمِّيُّ بَعْثٍ بِهِ أَضْحَتْ مُمَيَّزَةً * تِلْكَ العُلُومُ التي ما زِلْنَ مُلْغَزَةً
إِنْ تَبْغِ مُعْجِزَةً لِلْخَصْمِ مُعْجِزَةً * كَفاكَ بِالعِلْمِ في الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً
في الجاهِلِيَّةِ والتَّأْدِيبِ في اليُتُمِ

أَفْنَيْتُ عُمْرِي وَقَلْبِي في تَقَلُّبِهِ * يَهِيمُ في كُلِّ وادٍ مِن تَخَيُّبِهِ
وَمُنْذُ بُؤْتُ بِعاهِي القَلْبِ مُذْ نَبِهِ * خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ
ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى في الشِّعْرِ وَالخِدَمِ

صُبَّتْ عَلى قَلْبِيَ العانِي مَصائِبُهُ * مِن شِقْوَةٍ وَهَوىً كُلٌّ يُغالِبُهُ
دَعْنِي أُراقِبُ خَوْفاً ما أُراقِبُهُ * إِذ قَلَّدانِيَ ما تُخْشَى عَواقِبُهُ
كَأَنَّنِي بِهِما هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ

دَعْنِي أُمُتْ نَدَماً إِذْ لَمْ أُمُتْ نَدَمَا * مِنْ غَفْلَةٍ ضَاعَ فِيهَا الْعُمْرُ وانْصَرَمَا
وَمُذْ عَصَيْتُ النُّهَى والْحِلْمَ مُجْتَرِمَا * أَطَعْتُ فِيَّ الصِّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا
حَصلْتُ إِلاَّ عَلَى الآثَامِ والنَّدَمِ

فَيَا لِنَفْسٍ تَمَادَتْ فِي شَرَارَتِهَا * لاَ تَرْعَوِي عَنْ قَبِيحٍ مِنْ زِعَارَتِهَا
تَعْتَاضُ عَنْ رِبْحِهَا أَشْنَى خَسَارَتِهَا * فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا
لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ

وَيَا لِأَسْيَانَ سَاهِي الْقَلْبِ غَافِلِهِ * مُسْتَبْدِلٍ حَقَّهُ جَهْلاً بِبَاطِلِهِ
يَبْتَاعُ عَاجِلَهُ الْفَانِي بِآجِلِهِ * وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ
يَبِنْ لَهُ الْغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ

إِنْ فَاتَنِي جُلُّ مَسْنُونٍ وَمُفْتَرَضٍ * فَإِنَّ لِي مِنْ وِلاَءُ أَيِّمَا عِوَضٍ
فَلَمْ أَبِتْ قَطُّ مِنْ ذَنْبٍ عَلَى مَضَضٍ * إِنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ
مِنَ النَّبِيِّ وَلاَ حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ

عَلَى وَلاَئِيهِ مِيلادِي وَتَرْبِيَتِي * وَبِاسْمِهِ كُلَّمَا نُودِيتُ تَغْذِيَتِي
إِنْ خُنْتُ عَهْدِي وَمِيثَاقِي بِمَعْصِيَتِي * فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي
مُحَمَّداً وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ

كَمْ مِنْ يَدٍ لِيَ مِنْهُ أُرْدِفَتْ بِيَدِي * أَرْجُوهُ يَشْفَعُ يَوْمِي مِثْلَهَا بِغَدِي
مَوْلاَيَ خُذْ بِيَدِي وَاعْدِلْ غَداً أَوَدِي * إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي
فَضْلاً وَإِلاَّ فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم

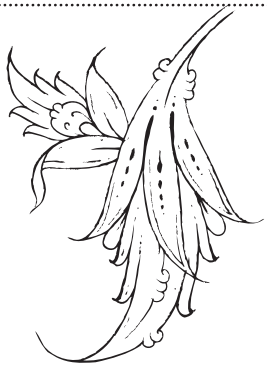

مَوْلىً أفَاضَ عَلَى الدُّنيا مَرَاحِمَهُ * وَذَادَ عَنْ كُلِّ ذِي إثْمٍ مآثِمَهُ
تَراهُ يَحْرِمُ رَاجِيهِ مَغَانِمَهُ * حَاشَاهُ أنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ
أوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ

أَلْزَمْتُ نَفْسِيَ مُذْ كَانَتْ مَمَادِحَهُ * فَمَا عَدِمْتُ عَلَى حَالٍ مَنَائِحَهُ
وكَمْ كَفَانِيَ مِنْ دَهْرٍ جَوائِحَهُ * وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ
وَجَدْتُهُ لِخَلا ِي أيَّ مُلْتَزَمِ

فَاهْرُبْ إلَيْهِ بنَفْسٍ مِنْ مَا هَرَبتْ * إلَيْهِ إلاَّ وَنَالَتْ مِنْهُ مَا طَلَبَتْ
فَلَيْسَ تَعْدُو الْمُنَى نَفْساً لَهُ رَغِبَتْ * ولَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَداً تَرِبَتْ
إنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الأزْهَارَ فِي الأَكَمِ

سَمَّطْتُ بُرْدَةَ مَدْحٍ فِي عُلاَهُ شَفَتْ * أَدِيبَ بُوصِيرَ فَاسْتَوْفَتْ عُلاً وَوَفَتْ
أرْجُو بِهَا الْفَوْزَ فِي الْعُقْبَى وَتِلْ كَفَتْ * ولَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنيَا الَّتِي اقْتَطَفَتْ
يَدا زُهَيْرٍ بِمَا أثْنَى عَلَى هَرِمِ

مَوْلاَيَ عَبْدُ دَلاَّهُ بِمُعْطَبِهِ * خَطْبٌ أَضَاقَ عَلَيْهِ وَجْهَ مَذْهَبِهِ
يَدْعُو وَالْخَطْبُ طَاحٍ فِي تَصَوُّبِهِ * يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ
سِوَا عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ

أَشْفَيْتُ لَوْلاَ مِنْ ذَنْبِي عَلَى عَطَبِي * فَكُنْ شَفِيعِي لِرَبِّي يَوْمَ مُنْقَلَبِي
كَمْ عَمَّ جَاهُ مِنْ نَاءٍ وَمُقْتَرِبِ * ولَنْ يَضِيقَ. رَسُولَ اللهِ. جَاهُ بِي
إذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

فَادْرَأْ بِجَاهِهِ عَنْ نَفْسِي مَضَرَّتَهَا * وَاقْمَعْ عَلَى نَزَقٍ فِيهَا مَعَرَّتَهَا
وَسُقْ إِلَيْهَا بِدَارَيْهَا مَسَرَّتَهَا * فَإِنَّ مِنْ جُودِهِ الدُّنيَا وَ مُرَّتَهَا
وَمِنْ عُلُومِهِ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

كَمْ بِالرَّجَاءِ نَجَتْ نَفْسُ امْرِئٍ وَسَمَتْ * وَبِالْقُنُوطِ هَوَتْ أُخْرَى وَمَا عَلِمَتْ
كَمْ بَيْنَ مَنْ حُرِمَتْ يَأْساً وَمَنْ رُحِمَتْ * يَا نَفْسُ لاَ تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

وَاهاً لِنَفْسِي كَمْ بِالْعَفْوِ يُكْرِمُهَا * رَبِّي الْكَرِيمُ وَكَمْ بِالذَّنْبِ أَظْلِمُهَا
فَازْدَدْ رَجَاءً إِذَا مَا ازْدَادَ مَأْثَمُهَا * لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا
تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسَمِ

يَا رَبِّ دَعْوَةَ رَاجٍ مِنْكَ مُلْتَمِسٍ * أَسِيرِ جُرْمٍ بِبَحْرِ الذَّنْبِ مُنْغَمِسِ
لَوْلاَ رَجَاؤُكَ لَمْ أَبْرَحْ عَلَى يَأْسٍ * يَا رَبِّ فَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسِ
لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ

وَفُّقْ عَبْدَكَ مِنْ ذَنْبٍ تَجَلَّلَهُ * بِعَبْءِ هَمٍّ لِيَوْمِ الْحَشْرِ أَثْقَلَهُ
وَهَبْ لَهُ مِنْ جَمِيلِ الصَّبْرِ أَجْمَلَهُ * وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ
صَبْراً مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

وَبَلِّغِ الْمُصْطَفَى مَعْ كُلِّ نَاسِمَةٍ * أَعْلاَقَ نَفْسٍ لِبُعْدِ الْعَهْدِ نَاسِمَةٍ
وَجُدْ بِمُزْنِ ثَنَاءٍ مِنْكَ سَاجِمَةٍ * وَائْذَنْ لِسَحْبِ صَلاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ
عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ

وَاشْفَعْ بِهِ آلَهُ مَنْ قَدْ زَكَوْا نَسَباً * بِهِ وَأَصْحَابَهُ أَوْفَى الْوَرَى حَسَباً

وَرَنِّحِ الْكَوْنَ مِنْ أَمْدَاحِهِمْ طَرَباً * مَا رَتَّحَتْ عَذَبَاتِ الْبَانِ رِيْحُ صَبَا

وَأَطْرَبَ الْعِيسَ حَادِي الْعِيسِ بِالنَّغَمِ.[1]

والحمد لله ربِّ العالمين.

١ . أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين٩ : ٣٠٣ ـ ٣١٠ ؛ مجلة تراثنا ـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام ٦٠ : ٣٢٦ ـ ٣٣١.

أخبار من الحرمين الشريفين

خلال مراسم البراءة من المشركين، في صعيد عرفات

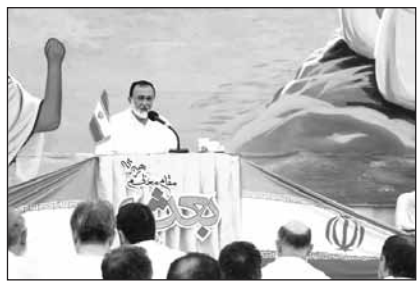

الإمام الخامنئي في نداء الحج: أميركا والصهيونية يسعون لإيقاع الفتنة بين المسلمين

أكد الإمام السيد علي الخامنئي أنّ أميركا والصهيونية يسعون إلى إيقاع الفتنة بين المذاهب الإسلامية، وإلى مؤامرات التخويف من الشيعة أو من السنة، ليحولوا دون وحدة الأمة الإسلامية.

وقال الإمام الخامنئي في ندائه إلى حجاج بيت الله الحرام الذي تلي الخميس في صعيد عرفات خلال مراسم البراءة من المشركين: «إنّ أميركا والصهيونية وبمساعدة عملائهم في المنطقة، يخلقون الأزمات في سوريا، لصرف أذهان الشعوب عن القضايا المهمة في بلدانهم، وعن الأخطار المحدقة بهم».

وأكد سماحته: «قصة سوريا هي قصة الانتقام من حكومة وقفت لوحدها خلال ثلاثة عقود بوجه الصهاينة الغاصبين، ودافعت عن فصائل المقاومة في فلسطين ولبنان». مشدداً على وقوف إيران إلى جانب الشعب السوري.

وأكد الإمام الخامنئي: «نحن نساند الشعب السوري، ونعارض أي تحرك وتدخل أجنبي في هذا البلد»، مضيفاً أنّ أي إصلاح في سوريا يجب أن يتحقق بيد شعبها دون غيره، وبآليات وطنية بحتة.

حجاج بيت الله الحرام يواصلون مناسكهم في منى

بات حجاج بيت الله الحرام في منى، استعداداً لرمي الجمار في أول أيام التشريق الثلاثة، الموافق يوم ٢٧ اكتوبر/ تشرين الأول. ويرمي الحجاج اليوم الجمرات الثلاث، بسبع حصيات لكل جمرة. حيث يبدأون بـ الجمرة الصغرى ثم الوسطى وينتهون بالكبرى.

هذا وقد رمى ضيوف الرحمن أمس جمرة العقبة الكبرى، وهي أقرب الجمار إلى مكة، وأبعدها عن مزدلفة، وقام من عليه هدي منهم بذبح هديه، وبعد الحلق أو التقصير تحللوا من ملابس الإحرام. وبحسب مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات السعودية، بلغ عدد الحجاج لموسم حج هذا العام ٣ ملايين و١٦١ ألفاً و٥٧٣ حاجاً بينهم مليون و٤٠٨ آلاف و٦٤١ من حجاج الداخل، ومليون و٧٥٢ ألفاً و٩٣٢ من حجاج الخارج.[١]

عدد الحجاج عام ١٤٣٣هـ

أعلن وزير الداخلية السعودية: ... قد بلغ إجمالي عدد الحجاج هذا العام (٣,١٦١,٥٧٣) حاجاً، بزيادة عن عدد الحجاج في العام الماضي بنسبة تقدر بـ ٨٪ . . .[٢]

ندوة الحج الكبرى تواصل جلساتها العلمية

واصلت ندوة الحج الكبرى، التي تُنظمها وزارةُ الحج تحت عنوان ـالحج عبادةٌ وسلوكٌ حضاريـ

١ . موقع قناة المنار ٢٧/ ١٠/ ٢٠١٢م.
٢ . صحيفة عكاظ ١٤/ ١٢/ ١٤٣٣هـ/ العدد: ٤١٥٣.

جلساتها العلمية اليوم، بقاعة الذكرى الخالدة بمكة المكرمة، حيث عقدت ثلاث جلسات، تم خلالها طرح عشرة أبحاث، تناولت التقنيات في توعية الحجيج بمقاصد الحج، وفي تنمية السلوك الحضاري أثناء أداء الركن الخامس من أركان الإسلام...

كما تناولت الجلسات الآثار النفسية والاجتماعية؛ لتنمية السلوك الحضاري أثناء أداء فريضة الحج، وأثر أداء الحج في سلوك الحجاج، ومقاصد الحج الاقتصادية، والتعامل الحضاري مع المنجزات، إلى جانب أثر وسائل الإعلام في رفع المستوى الحضاري لمناسك الحج، وتخطيط وتنفيذ وتشغيل المشروعات الكبرى بالمشاعر المقدسة، وجهود المملكة في تنظيم الحج تنظيماً حضارياً وتقنياً في جميع مراحله.

وناقش المشاركون كيفية استثمار «شبكات التواصل الاجتماعي» في خدمة فريضة الحج، من خلال تثقيف الحجاج وزيادة وعيهم بأمور دينهم ومناسكهم...

وأشاروا إلى أهمية توعية الحجاج من خلال تدريبهم وتعليمهم على تأدية فريضة الحج، وتعزيز ذلك باستخدام الأفلام التلفزيونية؛ للتأكد تماماً أن الحاج قد وعى ما يجب أن يفعله؛ لضمان سلامته وسلامة الحج، وارتأوا تأسيس هيئة من الأخصائيين تبحث عن طريقة جديدة موثقة علمياً؛ لصياغة علم نفس جديد تسميه بعلم النفس الإسلامي...[1]

الهيئة تواصل إرهاب حجاج بيت الله وتنتهك حقوقهم

هاجمت فرقة من هيئة الأمر بالمعروف مجموعة من زائرات مقبرة البقيع الغرقد بالمدينة المنورة، ومنعتهن من أداء طقوسهن العبادية

١. مكة المكرمة، جريدة البلاد ٢٣/ ١٠/ ٢٠١٢م - الموافق ٧/ ١٢/ ١٤٣٣هـ.

وشعائر الزيارة لقبر الحمزة سيد الشهداء عمّ النبي محمدﷺ.

تأتي الحادثة استمراراً لمسلسل انتهاكات الشرطة الدينية لحقوق الإنسان في الجزيرة العربية، وتعدياتها على الشأن الخاص بالأفراد والجماعات فيما يتعلق بممارسة شعائر عقائدهم وعباداتهم الدينية.

رجال الهيئة «المعروفون دولياً بالمطاوعة الوهابيين المتشددين» تلفظوا على النسوة الزائرات، واتهموهن بالكفر والشرك، ومنعوهن من إكمال قراءة أوراد الزيارة المأثورة حسب المصادر الشيعية المعتبرة.

وفي تعدٍ صارخ على الحرية الشخصية أجبر رجال الهيئة النساء على إغلاق كتبهن وهواتفهن المحمولة التي بحوزتهن.

أحد عناصر الشرطة الدينية دخل وسط حشد النساء المجتمعات، وقام بزجرهن وتفرقتهن في مخالفة صريحة لما تدعيه السلطة الدينية والسياسية من منع وتحريم الاختلاط بين الرجال والنساء.

يذكر أنّ الزائرات ينتسبن إلى إحدى حملات الحج القادمة من محافظة القطيف.

وتعيد الحادثة إلى الأذهان أزمة البقيع في فبراير ٢٠٠٩م التي تسبب فيها اعتداء رجال الشرطة الدينية على النساء الشيعيات الزائرات لمقبرة البقيع، حيث تواصلت الاشتباكات والاحتجاجات أربعة أيام، راح ضحيتها عدد من الجرحى والمصابين في صفوف الشيعة بعد تدخل قوات الأمن السعودية، التي عمدت لاعتقال عدد من الزوار الشيعة.[١]

علماء القطيف: «نقف جميعاً ضد العنف والمساس بالثوابت الوطنية»

شدّد عدد من علماء القطيف على الوقوف ضد العنف، وعدم المساس بالثوابت الوطنية، وأبدوا في بيان أصدروه ضرورة التأكيد على منهج الملك عبدالله بن عبدالعزيز الداعي إلى رفض التقسيمات المذهبية والطائفية، فيما نددوا بالعنف الصادر من كل الجهات، مركزين على عدم استهداف الأجهزة الرسمية.

وجاء في البيان الذي أصدره سبعة من كبار علماء القطيف، هم: الشيخ عبدالله الخنيزي، والسيد علي السيد ناصر السلمان، والشيخ حسن بن موسى الصفار، والشيخ عبدالكريم بن كاظم الحبيل، والشيخ علي مدن آل محسن، والشيخ يوسف المهدي، والشيخ جعفر آل ربح، وقالوا: «نؤيد وندعم دعوة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، ونلتف حول منهجه الداعي إلى رفض التقسيمات المذهبية والطائفية والأيديولوجية، التي تفتُّ في جسد المجتمع وتماسكه، وفتح آفاق الحوار الوطني بين أطياف هذا المجتمع، ونأمل أن يؤتي ثماره المرجوة، تدعيماً لأسس الحوار، وإرساءاً لدعائم المجتمع المدني، الذي يجب أن يحترم فيه المواطن، وتحفظ فيه كرامته، وتصان حقوقه.

١ . شبكة الملتقى الإخبارية، ٢٠ أكتوبر ٢٠١٢م.

وفيما يلي نصّ البيان:

«انطلاقاً من المسؤولية الشرعية والواجب الوطني، وتلبية لنداءات الضمير، وحرصاً على أمن المجتمع وأهله، نوصي جميع الأحبة من الأبناء والشباب أبناء هذه البلدة الطيب أهلها بالوقوف بحزم ضد العنف بكافة أشكاله، والاستنكار على الاعتداءات التي تطال الأنفس والممتلكات والمؤسسات العامة، فهو من أعظم المحرمات التي شدد عليها الإسلام العظيم.

إنّ لنا في سيرة نبينا الأعظم محمدﷺ والأئمة الهداة عليهم السلام لأعظم وأكبر أسوة، فهم الذين خطوا ورسموا نهج التعايش واحترام الإنسان، يقول الإمام علي عليه السلام: «الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»، فالاعتداء على كل ذي حرمة ممن يتعايش سلماً مع المسلمين، لهو من المحرمات المغلظة، فضلاً عن الاعتداء على المسلم، فكيف بمن يجمعنا معهم دين وأخوة ووطن واحد؟! فيجب علينا جميعاً أن نحافظ على حرمة الدماء وأمن المواطن واستقراره.

فالسلام هو غاية المجتمع الإيماني وعنوان حركته. حيث تؤكد مبادئ الدين على التزام الوسائل والأساليب السلمية في أي حراك داخل صفوف الأمة والمجتمع، وعلى رفض مظاهر العنف، وأي ممارسة تؤدي إلى سفك الدم الحرام، أو التعدي على الأعراض والممتلكات العامة والخاصة. إننا كما ندين أي استخدام للعنف يستهدف الأبرياء من قبل أي جهة من الجهات أو فرد من الأفراد، فإننا ندين كل مظهر للعنف و استخدامه في التعديات على المصالح العامة والخاصة، أو استخدامه ضد أي جهة رسمية، ونعتبر أي ممارسة من هذا القبيل مخالفةً شرعيةً، وإضراراً بمصلحة

المجتمع والوطن.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «لايزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً».

كما نوصي المؤمنين والمؤمنات جميعاً بالتحري والدقة في نقل الأخبار، وعدم الجري وراء ترويج الشائعات والأراجيف، التي تهدف إلى خلق الفتنة وإثارة اللغط والخوض في الحرمات، والتسور على كرامة الناس، والتعمد في إسقاطهم، أو تشويه سيرهم، فما آفة الأخبار إلا رواتها. فكيف ينساق المجتمع المتدين المتثبت بالأخذ برواة مجهولين، يتصيدون في الماء العكر، ولا يعنيهم صيانة المجتمع، أو يهمهم وحدته وتماسكه؟!

إننا نعيش في دولة ذات طوائف متعددة منذ مئات السنين، وننعم في أمن وأمان أرسى دعائمها قادة هذه البلاد، ولا مساومة أو مزايدة على حفظ هذا التاريخ، الذي حمله الأجداد والآباء، ويواصله الأبناء في مؤسسات المجتمع والدولة على امتداد بلادنا الغالية. إنّ خيارنا الوطني الذي نصرُّ عليه هو احترام هذا النسيج، وعدم المساس بالثوابت الوطنية، إننا نؤيد وندعم دعوة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله، ونلتف حول مساعيه الداعية لرفض التقسيمات المذهبية والمناطقية والأيدلوجية التي تفتُّ في وحدة المجتمع وتماسكه. كما أشار حفظه الله في ندائه الأخير في مكة المكرمة وتوصيته بإنشاء مركز للحوار بين المذاهب الإسلامية المختلفة يتخذ من الرياض مقراً له. حيث فتح ـ حفظه الله ـ آفاق الحوار الوطني بين أطياف هذا المجتمع، والذي نأمل أن يؤتي ثماره المرجوة تدعيماً لأسس الحوار، و إرساءاً لدعائم المجتمع المدني، الذي يجب أن يحترم فيه المواطن، وتحفظ فيه

كرامته، و تصان حقوقه».[1]

كنوز ومآثر المدينة المنورة

لقد تمَّ تحديد بدء فعاليات المدينة المنورة عاصمة للثقافة الإسلامية العام القادم، وقد شكلت لجنة؛ لتتابع التحضير لهذه المناسبة العزيزة.

ولاشك أنّ اللجنة لها رؤيتها التي تمكنها من تقديم أفكار هي في مستوى أهمية هذه المناسبة، لكن الذي أود أن أطرحه هنا وأنا على ثقة بأنه ليس بغائب عن إدراكهم، لكنه فقط من باب التذكير، نحن نعرف أنّ المدينة المنورة لها من الكنوز الأثرية الإسلامية مما يصب في قناة الثقافة الجمعية الكثير، وهي ما يمكن تقديمها للمتلقى، وذلك بتحديد تلك المواقع، التي شهدت تلك المواقف الحاسمة في حياة الإسلام مثل موقع معركة «الخندق» وذلك برسمه على شكل «كروكي» يقوم به متخصصون لهم خبرتهم التاريخية؛ لتحديد مكانه من أين بدأ وألى أين انتهى: أيضاً تحديد أماكن بعض الآبار الأثرية الثابتة تاريخياً، ويمكن تحديد مسار النبي صلوات الله عليه من قباء، ومروره ببعض قبائل الأنصار حتى بيت أبي أيوب الأنصاري، وغير ذلك من الأماكن التاريخية المعلومة تاريخياً، كما يمكن إظهار المخطوطات المتعلقة بالمدينة المنورة، سواء كان بما هو موجود في مكتبة «عارف حكمت» وغيرها من المكتبات العامة، أو حتى الاستعانة ببعض المكتبات الخاصة في عرض ما لدى أصحابها من كنوز معرفية «مخطوطة» يتمّ عرضها في صالة كبرى لهذا الأمر.

كما لابد من عرض بعض ما هو متعلق بالمسجد النبوي الشريف كالباب العثماني، الذي يعود تاريخه إلى عام ٩٩٨هـ وأيضاً بعض «الثريات» التي كانت في الروضة

١ . صحيفة عكاظ ـ الثلاثاء: ٣/ ١٠/ ١٤٣٣هـ.

الشريفة حتى عهد قريب.

إنّ هذه بعض الأماني، وبعض الأفكار، نطرحها أمام اللجنة العزيزة وهم أقدر على تحقيقها بإذن الله.[1]

مقتنيات عمرها ألف عام في معرض عمارة الحرمين الشريفين بمكة المكرمة

يعدُّ معرض عمارة الحرمين الشريفين من المعارض الفريدة من نوعها على مستوى العالم؛ كونه يختص بعرض المقتنيات والعناصر المعمارية والنقوش الكتابية المرتبطة بعمارة الحرمين الشريفين.

ويقع المعرض على مساحة إجمالية قدرها (١٢٠٠م٢) بجوار مصنع كسوة الكعبة المشرفة بأم الجود حيث روعي في التصميم التناسق مع النمط المعماري الإسلامي الفريد، والطراز المعماري المتميز لعمارة المسجد الحرام، كما روعي في التصميم الداخلي للمعرض إنسيابية الحركة وتسلسل العرض بما يضمن استدلال الزائر، وإلمامه بجميع المقتنيات والمعروضات، وتنقله بكل يسر وسهولة بين القاعات.

وبيّن مدير معرض عمارة الحرمين الشريفين محسن بن عبدالمحسن السلمي أنّ المعرض الذي افتتح في شهر شوال عام ١٤٢٠هـ ينقسم إلى سبع قاعات هي قاعة الاستقبال، و تضمُّ مجسماً للمسجد الحرام، وصوراً قديمة وحديثة للحرمين الشريفين، وقاعة المسجد الحرام يتوسطها سلم الكعبة المشرفة، الذي يعدُّ من أهم التحف المعروضة، ويعود تاريخه إلى ١٢٤٠هـ، و قاعة الكعبة المشرفة،

---

١ . علي محمد الحسون، جريدة البلاد ٣١/٠٧/٢٠١٢م.

وتحتوي على متعلقات الكعبة المشرفة، ويشمل ذلك نماذج من الكسوة عبر التاريخ، بالإضافة إلى مقتنيات الكعبة المشرفة، ومنها باب الكعبة، وأحد أهم أعمدة الكعبة، الذي يعدُّ من أهم القطع الأثرية الموجودة في المعرض، حيث يعود تاريخه لعام ٦٥هـ، وقاعة الصور الفوتوغرافية التي تضم مجموعة من الصور النادرة، التي تفضل بإهدائها للمعرض الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود، وهي صور نادرة لمكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة، التقطت بين عامي ١٢٩٧هـ ـ ١٢٩٨هـ بواسطة المصوّر المصري صادق بيك.

وأوضح أنّ قاعة المخطوطات تتوسطها خزانة تحتوي على نسخة مصورة من المصحف العثماني، الذي كتب في عهد الخليفة عثمان بن عفان، ومجموعه نادرة من المصاحف والمخطوطات، وقاعة المسجد النبوي، وتضم العديد من القطع التابعة للمسجد النبوي الشريف من أبرزها باب المنبر العثماني، الذي يعود تاريخه لعام ٩٩٨هـ ويتوسط القاعة مجسم للمسجد النبوي الشريف، وقاعة زمزم التي تحوي أجزاءاً من فوهة بئر زمزم القديمة، ومجسماً لقطاع طولي لبئر زمزم، يوضح تفاصيل بئر زمزم، وبهذه القاعة مزولة شمسيه؛ لتحديد أوقات الصلاة، يعود تاريخها لعام ١٠٢٣هـ ، بالإضافة إلى أول ساعة ركبت في المسجد الحرام عام ١٣٥٢هـ في عهد الملك عبدالعزيز.

وأفاد السلمي أنّ الزائر للمعرض يلمس تنوع المعروضات من مصاحف، ومخطوطات ثمينة، وقطع

أثريـة، ونقوش كتابيـة، وصور نادرة، ومجسـمات معماريـة تمثـل العصـور الإسـلامية المختلفـة بـدءاً بالعـصر الأموي، وانتهاءاًبالعصر السعودي... ومجموعة من القطع الأثرية والمعمارية، والصـور الفوتوغرافيـة القديمـة والحديثة للحرمين الشريفين.

وأبان أنه أُضيف للمعرض مجسمان جديدان للمسجد الحرام والمسجد النبوي، روعي في تصميمها المشروعات الجديدة، التي أضيفت للحرمين من أبرزها مشروع توسعة المسعى، ومشروع توسعة الملك عبدالله للمسجد الحرام، وقد صنعت من أفضل المواد، وتعمل بنظام إضاءة داخلي يحتوي كل مجسم على شاشة عرض بمقاس مناسب؛ لعرض بعض المعلومات، التي تحكي تطور عمارة الحرمين الشريفين عبر العصور المختلفة، إضافة إلى فيلم مرئي بعدة لغات لمراحل التوسعات عبر التاريخ الإسلامي.

وبيّن مدير معرض عمارة الحرمين الشريفين أنه يصل متوسط عدد الزوار اليومي ألف زائر يومياً، وعدد زائريه منذ إنشائه أكثر من مليون وتسعمئة ألف زائر.

تجدر الإشارة أنّ المعرض يستقبل زائريه يومياً خلال شهر رمضان المبارك على فترتين صباحية من الساعة العاشرة صباحاً إلى الساعة ٣ عصراً، و مسائية من التاسعة مساءاً إلى الثانية صباحاً.[١]

الفايدي: الآراء حول غار جبل أحد مجرد اجتهادات لا يعتد بها

على الرغم من أنّ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمدينة المنورة نفت علاقتها بإغلاق غار جبل أحد، إلا أنّ «عكاظ» حصلت على خطاب من أمير المدينة المنورة السابق، موجه إلى أمانة المدينة المنورة، يشير إلى أنّ برفقته

١ . مكة المكرمة ـ جريدة البلاد، يوم الإثنين ٢٠١٢/٠٧/٣٠ م - الموافق١١/٩/ ١٤٣٣هـ.

خطاب فضيلة رئيس المحاكم في المدينة المنورة في حينه، المبني على خطاب مدير عام فرع رئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر السابق حول صعود الحجاج من مختلف الجنسيات إلى غار جبل أحد وتبركهم به والصلاة فيه، منتهياً بخطاب سماحة المفتي ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والافتاء المتضمن وجوب إزالة الغار المذكور، وإخفاء معالمه وإزالة الطرق المؤدية إليه سداً للذريعة، وحسماً لأسباب الفتنة، ومما جاء في خطاب الأمير عبد المجيد «نرغب اطلاع معاليكم وانفاذ ما جاء بقرار اللجنة، والمؤيد من سماحة المفتي حسب ما ورد بخطابه»، كما حصلت «عكاظ» على خطاب من أمين المدينة الجديد يوجه بفتحه.

ورأى المؤرخ الدكتور تنيضب الفايدي، أنه نظراً لتعدد التقارير حول غار جبل أحد وعدم وجود دليل يقطع بعلاقته بسيرة رسول الله ﷺ، حيث تدور كل الآراء حول الموضوع في دائرة الاجتهادات، فإنه لا يعتد بها البتة، ويخشى أن تثبت معلومات تاريخية خاطئة عن طريقها، وأكد أنّ أهمية غار أحد تستمد من كونه جزءاً من جبل أحد مثل أي صخرة من صخوره، وأشار إلى أن المؤرخين لم يذكروا أن الرسول ﷺ دخل الغار، أو حمله أحد إليه، وإنما ذكر جمال الدين بن محمد بن أحمد المطري في كتابه (التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة) وهو كتاب محقق وسابق على مؤرخي المدينة المنورة سواء الفيروزآبادي أو السمهودي، بأنه يوجد غار شمالي المسجد، الذي بني في الموقع الذي صلى به رسول الله ﷺ ويسمى مسجد الفسح...[1]

---

١ . الأربعاء ٠٦/ ٠٩/ ١٤٣٣ هـ ، ٢٥يوليو ٢٠١٢م/ العكاظ ـ العدد : ٤٠٥٦.

رغم وعدها بإزالتها الأربعاء الماضي

أمانة المدينة المنورة تتأخر فى إزالة الصبّات الأسمنتية عن غار أحد

غار أحد كما بدا أمس، حيث لا تزال الصبات الأسمنتية تعيق الحركة عند مدخله

لم تف أمانة منطقة المدينة المنورة بالوعود التي أطلقتها على لسان أمينها الدكتور خالد طاهر حول إزالة الصبات الأسمنتية، التي وضعها محتسبون على غار أحد، ذريعة منع الزائرين من ممارسة البدع، حيث لا يزال الغار مغلقاً بالصبّات حتى يوم أمس.

ورصدت «الاقتصادية» أمس خلو الجبل من الزوار، وعدم وجود آليات تدل على عمليات إزالة الصبّات الأسمنتية، التي وضعت على مدخل الغار.

وكانت أمانة المدينة المنوّرة قد أزالت الأسبوع الماضي عدداً من اللوحات الإرشادية، التي وضعها محتسبون «مجهولون»، فيما أكد أمين منطقة المدينة المنوّرة الدكتور خالد طاهر في تصريح إعلامي له أنّ الأمانة ممثلة في بلدية «أحد» ستقوم بإزالة الكتل الخرسانية، التي وُضعت على مدخل الغار، وذلك بعدما وفّرت الشركة المقاولة المعدات اللازمة؛ لتنفيذ عمليات إزالة تلك الكتل الخرسانية قبل نهاية يوم الأربعاء الماضي، إلاّ أنّ تلك الوعود لم تنفذ حتى يوم أمس.

وكان جدل واسع حدث بين باحثين ومثقفين سعوديين، ومهتمين بالتاريخ والسيرة النبوية

حول الدعوة إلى طمس غار أحد بذريعة التخوف من تحوله من معلَم تاريخي مهم إلى مكان مقدس، فيما تمَّ إغلاق الغار قبل ثلاثة أسابيع بصبّة أسمنتية دون أن تعلن أي جهة رسمية مسؤوليتها تجاه ذلك، فيما أكدت مصادر لـ «الاقتصادية» أن شابين عاطلين عن العمل مشتبه فيهما، ألقت الجهات الأمنية القبض عليهما بداية الأسبوع الماضي وتمَّ استجوابهما حيث قاما، حسب اعترافاتهما في التحقيق، بسدّ مدخل الغار بذريعة منع البدع والخرافات، التي يمارسها، حسب قولهما، بعض الزوّار عنده، حيث قاما بوضع خليط من الأسمنت على الغار في وقت متأخر من الليل، نظراً لقلة الحركة في المنطقة، ونفى الشابان علاقتهما باللوحات الإرشادية، التي كانت قبالة الطريق المؤدي إلى غار أحد؛ للتحذير من أنّ زيارته بدعة.[1]

١ . كل الوطن ١٦/ ٧/ ٢٠١٢م.

اختلاف على روايات أهميته .. وصعود الزوار للجبل مستمر

إغلاق غار جبل أحد لمنع التجاوزات

أغلقت لجنة مشتركة من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمانة منطقة المدينة المنورة غار جبل أحد؛ لمنع الصعود إليه من قبل الزوار.

وفيما توقف البعض على أسباب إغلاق الغار التاريخي، نفى لـ«عكاظ» المدير التنفيذي لهيئة السياحة والآثار في منطقة المدينة المنورة الدكتور يوسف بن حمزة المزيني أن يكون الغار من ضمن الآثار النبوية المعتمدة لدى الهيئة، مشدداً على أنه لا علاقة للهيئة بالغار، مشيراً إلى أنه لا علم لها أيضاً بإغلاقه. وكان الكثير من الزوار الذين تحملوا عناء الصعود إلى قمة الجبل للدخول إلى الغار، توقفوا أمام الخرسانة التي سدت مدخله.

وكان الزوار يرتادون الغار عطفاً على الاعتقاد بأنه المكان الذي حظى بشرف احتضان الرسول عليه الصلاة والسلام برفقة عدد من أصحابه بعد إصابته في غزوة أحد لتلقي العلاج، إلاّ أنّ تلك الروايات يؤكد المختصون في الآثار الإسلامية عدم صحتها، لكن الكتابات التذكارية التي تملأ الصخور المجاورة للغار، باتت العلامة المؤكدة على حجم الزيارة التي يتمتع بها الغار من قبل زوار المدينة المنورة...

في المقابل، ذكر لـ «عكاظ» المؤرخ المعروف الدكتور عبدالعزيز كعكي بأن الكثير من كتب السيرة النبوية لمحت لهذا الغار، مبيناً أن التوجيهات التي صدرت لإغلاق الغار جاءت بعد النظر في الكثير من الأمور والتجاوزات، التي تسبب فيها وضع الغار في السابق.

وأضاف أن إحدى الروايات تشير إلى أنّ طلحة بن عبيد الله رفع رسول الله ﷺ، بعد إصابته إلى مرتفع من الشعب، حيث أجمعت الكثير من الروايات إلى أنه رفع عليه الصلاة والسلام إلى صخرة بالقرب من غار جبل أحد، مشيراً إلى أنّ إحدى الروايات تشير إلى أنّ الرسول ﷺ رفع على صخرة من الشعب حتى توارى عن قريش: «وكلمة توارى تعني أنّ رسول الله عليه الصلاة والسلام حجب عن قريش»، فأشار الكثير من الباحثين إلى أنّ المكان الوحيد الذي من الممكن أن يتوارى فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام هو غار جبل أحد، حيث إنّ باقي المكان مكشوف بالكامل، لذا يميل الكثيرون للاعتقاد بأنّ الغار هو المكان الذي توارى فيه الرسول عليه الصلاة والسلام.[1]

---

١ . ماجد الصقيري، العكاظ، السبت ١٤٣٣/٠٨/١٠ هـ ـ ٣٠ يونيو ٢٠١٢م ـ العدد: ٤٠٣١.